






AL-QAYSI

AL-FURUSIYAH

2258
.7427

2258.7427
al-Qayal
al-Furusiyyah

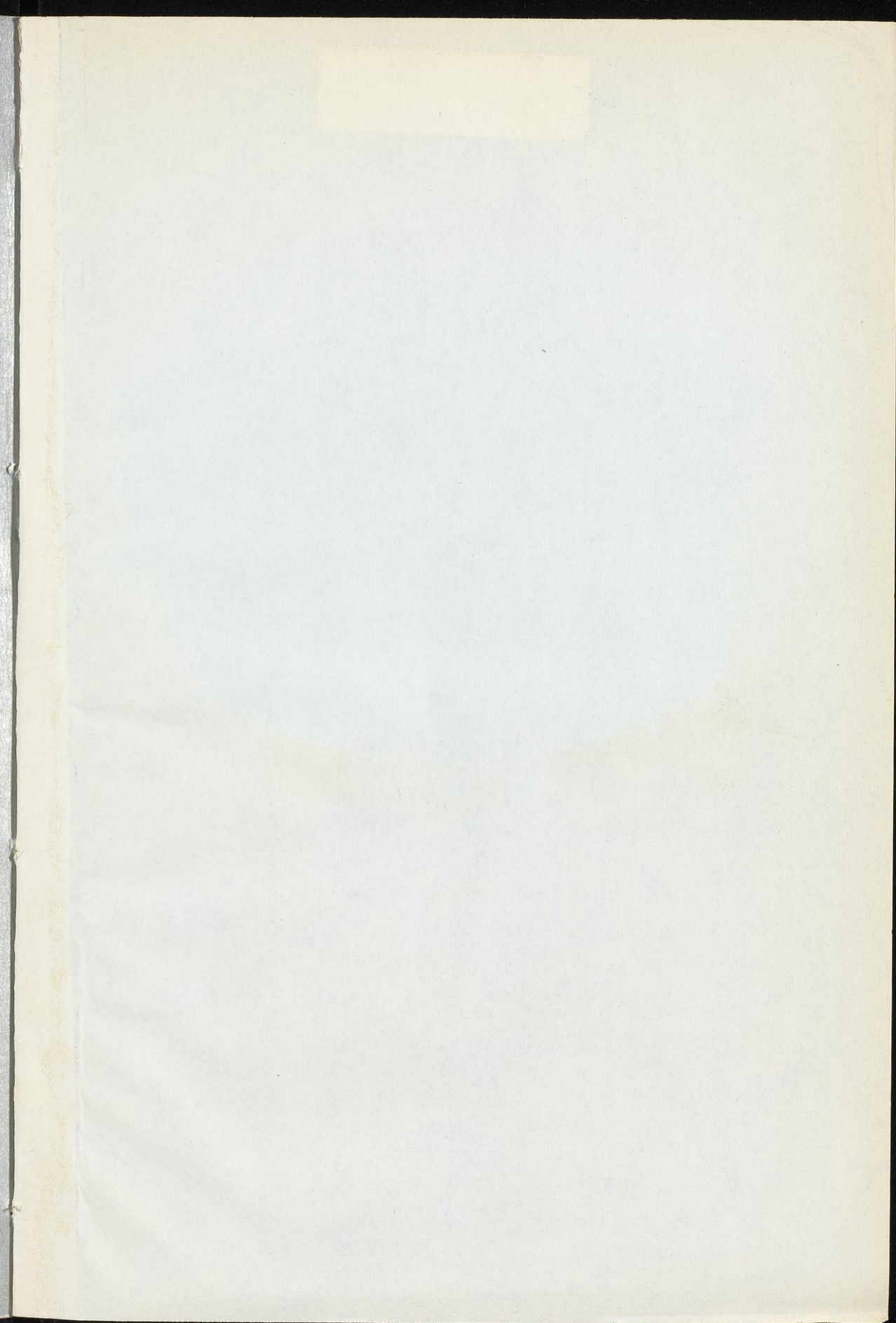
DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
			
			
			
			
			

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR>

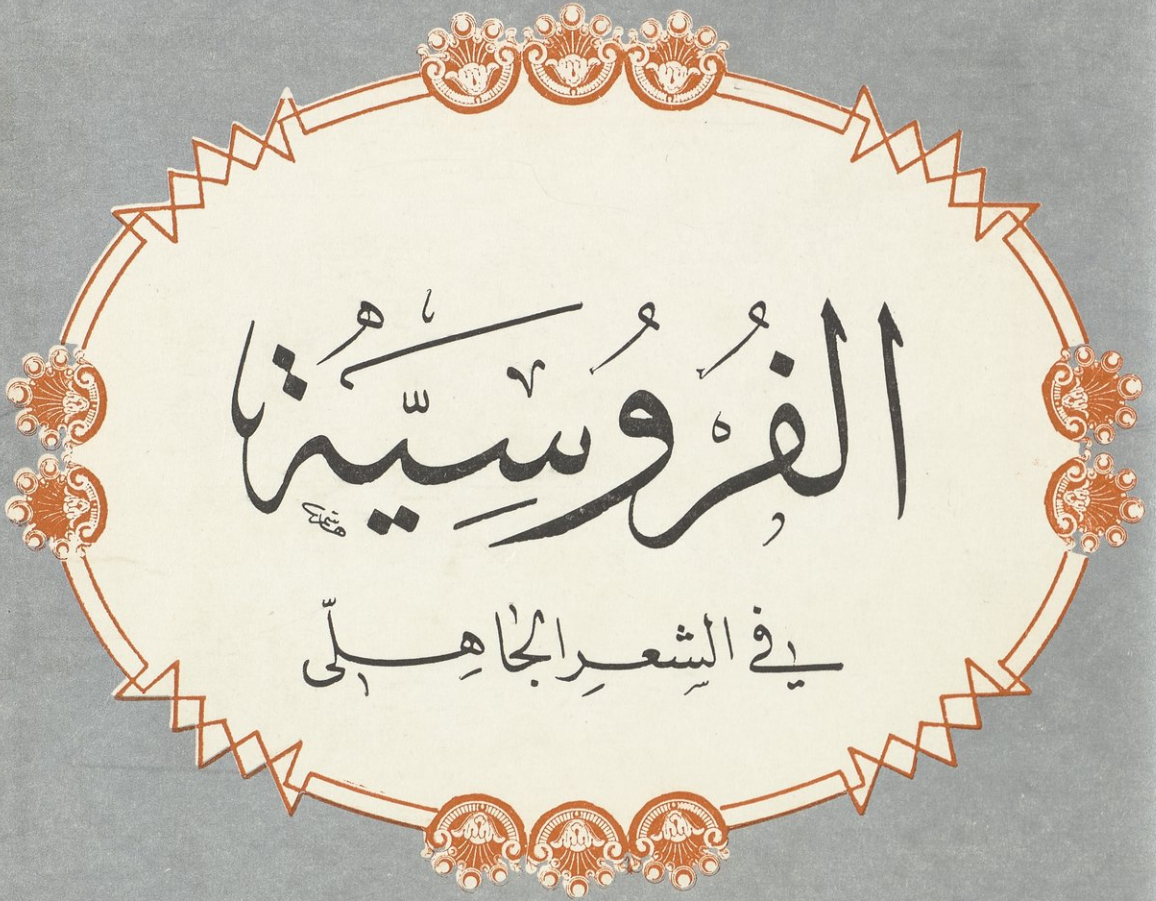
32101 017763283

J





مكتبة جامعة بغداد على نشره



الفروسيات

في الشعر الجاهلي

نوري حمودي الفيضي

مكتبة النهضة - بغداد

Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header, which is mostly illegible due to fading.



Vertical handwritten text on the left side of the page, possibly a list or index.

Vertical handwritten text on the right side of the page, possibly a list or index.

Small handwritten text or notes located in the lower-left quadrant of the page.

Handwritten text in the center of the page, possibly a signature or a specific note.

Handwritten text at the bottom center of the page, possibly a date or a reference.

Handwritten text at the very bottom of the page, possibly a footer or a final note.

الفروسية
في الشعر الجاهلي

الطبعة الاولى / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م

طبع على مطابع دار التضامن - بغداد

١٩٦٤

al-Qaysi, Nūri Hammūdi

نُورِي حَمُودِي الْقَيْسِي

al-Furūsiyah

الْفُرُوسِيَّة

فِي الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ

سأعدت جامعة بغداد على نشره

منتسورات مكتبة النهضة بغداد

بحث نال به مؤلفه درجة الماجستير في الآداب من جامعة
القاهرة بتقدير جيد جدا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

لاستاذنا الجليل الدكتور يوسف خليف

على الرغم من بساطة الحياة الادبية في العصر الجاهلي ، وعلى الرغم من ضيق المجال الذي كان الادب الجاهلي يدور فيه ، فان البحث في هذا الادب يُعدّ عملاً على قدر كبير من المشقة والعناء . فالادب الجاهلي ادب صحراويّ مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبيئة الصحراوية التي عاش فيها ، وهي بيئة "بعُدَ ما بيننا وبينها ، واسدل تطور الحياة فوقها ستارا صفيقا يحجب الرؤيا ويردّ البصر ، حتى أصبحت الصورة الماثلة أمامنا عنها في حاجة شديدة الى جهود الباحثين لتوضيح قسامتها وابرار ملامحها . والادب الجاهلي - بعد ذلك - أدب شفوي ، تناقلته شفاه الرواة عبر أجيال متطاوله ، فلم يصل إلينا منه الا أقله ، أما أكثره فقد ضاع في اثناء تلك الرحلة الطويلة التي قطعها قوافل الرواة من نقطة الانطلاق البعيدة في القرن الثاني قبل الاسلام من فوق رمال البادية الى نقطة النهاية في القرن الثاني بعده في مدن العراق ، وحتى هذا القليل

الذي وصل الينا من هذه الرحلة لهم يَسَلِّم من آثارها ، فقد وصل وهو يحمل معه أثقالا من التحريف والتغيير تارة ، ومن التزويد والاتحال تارة أخرى •

ولكن هذه الرحلة - رغم كل شيء - انتهت الينا وهي تحمل معها باكورة تلك الشجرة الطيبة التي غرستها البادية العريقة ، وتعهدتها بالرعاية حتى أينعت وآتت أكلها ، شجرة الفن العربي الاصيل ••• الشعر • ومع هذه الباكورة وصلت الينا آثار " من سحر البادية الغامض المثير وبقية من عطر أزهارها البريئة النَمَّاذ ، ومن هنا كنا نشعر بأننا مشدودون الى هذه الباكورة الشهية التي تمثل قطعة غالية من تراثنا وماضيها بوشائج متينة ، أو - على حد تعبير ابن الشعر الجاهلي امرئ القيس - « بأمراس كَتَّانٍ الى صُمِّ جندلٍ » •

وعلى الرغم من هذه الوشائج والامراس التي تشدنا الى الشعر الجاهلي أشعر دائما بشيء من الاشفاق على أولئك الذين يُقَدِّمون على البحث في هذا الشعر ، تقديرا لمشقة الطريق ، وادراكا لعناء الرحلة ، ولكن حبي له وفتنتي به يخففان دائما عن نفسي هذا الشعور بالاشفاق ، ويهوِّنان أمامي تلك المشقة وهذا العناء • وبمقدار هذا الحب وبمقدار هذه الفتنة يكون ترحيبي برفاق القافلة الذين يُقَدِّمون معي على اختراق هذه المَفَازَة ، مفازة الشعر الجاهلي التي « فيها الدليلُ يَعْضُشُ بالخمسِ » - كما يقول الشاعر القديم •

وموضوع « الفروسية » من الموضوعات المثيرة حقا في الشعر الجاهلي ، الجديرة بالبحث والدراسة ، لان الفروسية تمثل اللون الزاهي المشرق في الحياة الجاهلية والشعر الجاهلي جميعا ، ففيها تتركز أرفع المثل واكمم القيم التي عرفها المجتمع الجاهلي من ناحية ، ومنها استمد الشعراء أروع صورة رسموها في لوحاتهم الفنية من ناحية أخرى • ولكن هذا الموضوع - كسائر موضوعات الشعر الجاهلي - شائك وعسير ، بل لعله من أقواها شوكة وأشدّها عسرا •

ومن هنا كنت أعاني - في بداية اتصالي بصاحب هذا البحث - من ذلك الصراع التقليدي الذي أعاني منه دائماً مع كل دراسة لهذا الشعر بين الحب والاشفاق • وبين طرفي الصراع قبلتُ الاشراف على البحث ، مرحباً برفيق الطريق الجديد الذي انضم الى القافلة المندفعة فوق الرمال وبين الشّعاب في كثير من الاحساس بالرضا، مع ادراكه لمشقة الطريق وعناء الرحلة •

ورحتُ أرقب الخطوات الاولى التي راح يخطوها في شيء غير قليل من الحماس والاندفاع ، وانا مقدرٌ أن هذه الخطوات - لو استقامت له - ستضع قدميه على بداية الطريق الصحيح • وكانت العقبة الاولى التي رحتُ أرقبه وهو يقتحمها مفهوم الفروسية في المجتمع الجاهلي ، وذلك لان هذا المفهوم شابه شيء من الاضطراب والغموض جاءه من تداخل مفاهيم الفروسية في العصور المتأخرة في بيئات غير عربية • وعندما رأته يحدّد هذا المفهوم ، ويجرّده من كل هذه الشوائب الغريبة التي علقت به ، أيقنت ان الخطى قد استقامت له على الطريق •

والامر الذي لا شك فيه ان الباحث بذل جهداً ضخماً في سبيل اخراج بحثه على الصورة العلمية الدقيقة ، وهو جهد يتمثل في هذا الحشد الضخم المتزاحم من نصوص الشعر الجاهلي التي تنتشر في بحثه انتشاراً واسعاً ، والتي اعتمد عليها في استخلاص نتائجه ، كما يتمثل في هذا العدد العديد من المصادر التي راح يستمد منها مادته العلمية والفنية في شيء كثير من الصبر على البحث ومكابدة مشقاته ، واستطاع بهذا ان يعرض صورة واضحة دقيقة للفروسية الجاهلية ، وان يصفي كثيراً من الشوائب الدخيلة التي علقت بتمثل بعض الباحثين لها • وفي ظني ان هذين العاملين : العرض والتصنيف هما أبرز ما حققه هذا البحث من نتائج •

وبعد ، فاني اهنيء الاستاذ نوري القيسي على بحثه هذا القيم
الخصب ، واقدّر له ما بذله في سبيله من جهد وعناء ، وأشهد بأنه كان
جولة مرهقة في ميدان وعرف فسيح ، ولكن صاحبه خرج منه فارساً كما
دخله فارساً .

ومع ترحيبي برفيق القافلة الجديد في هذه الخطوة الاولى في رحلة
الصحراء ، أتمنى له توفيقاً وسداداً فيما يستقبل من خطى أخرى في هذه
الرحلة وفي غيرها من الرحلات ، وان يكون دائماً في كل خطوة يخطوها
فارساً كما كان في هذه الخطوة فارساً .

يوسف خليف

استاذ الادب العربي المساعد

بكلية الآداب

جامعة القاهرة

القاهرة في { ٢٢ ذي الحجة ١٣٨٣
٥ مايو ١٩٦٤

المقدمة

(١)

لم تكن فكرة الكتابة عن الشعر الجاهلي فكرة طارئة اقتضتها ظروف معينة ، ولم يكن البحث في الفروسية الجاهلية بحثاً فرضته علي مستلزمات الدراسة ، وانما كانت الاسباب التي دفعتني الى العمل ابعـد من هذا التاريخ لانها اسباب نابعة من الواقع الذي رسمته لنفسي منذ فترة بعيدة ، وبدأت اسلك الطريق للوصول اليه ، وكنت اعلم منذ ذلك الوقت بالعوائق الكثيرة التي تشمخ امام الباحث في هذه الفترة لكثرة ما شابها من الغموض والصعوبة والشك ورافقها من الاضطراب والقلق .

لقد برزت صعوبة البحث في الشعر الجاهلي منذ الايام الاولى التي بدأت فيها العمل ، وكانت مصادر البحث اول هذه الصعوبات فمن الحقائق الثابتة في هذا المجال، ان ما وصل الينا من الشعر الجاهلي لا يتكافأ بأي حال من الاحوال مع كثرة الشعراء الجاهليين ومع الفترة الزمنية التي عاشوها . ومرد ذلك يعود الى ضياع القسم الاكبر من هذا التراث واندثاره .

وحتى المصادر التي وصلت الينا لم تدرس الفترة الجاهلية على انها فترة ادبية مستقلة لها طابعها المتميز ، ولكنها تدرسها لتتخذ منها جسراً تنتقل عليه الى الفترات التي تعقبها وتعتمد الشعر الجاهلي

نماذج للمقابلة والموازنة والتمثيل والاستشهاد ، وبذلك كانت الصعوبة بالغة في البحث عن المصادر التي تعين الباحث على الكتابة وتساعد على تقديم البحث الكامل الدقيق •

اما الصعوبة الثانية التي يلمسها الباحث وتكاد تسد الطريق عليه ، فهي نظرية الشك في الادب الجاهلي - وان لم تكن مسألة الشك من المسائل الجديدة في عالم الادب وانما تمتد جذورها الى اصول عميقة ولكنها لم تصل الى ما وصلت اليه في عصرنا الحاضر - فقد تركت هذه النظرية اثارا عميقة في نفوس الباحثين وجعلتهم يتهيئون خوض غمار هذه الفترة او البحث في شعرها •

وصعوبة ثالثة تجابه الباحث في موضوع الفروسية خاصة وتقف دون تفهمه لمعنى الفروسية الجاهلية ، هي ما رافق هذه اللفظة من الاضطراب وشابها من التغيير والتحوير ، نتيجة ما اضفى عليها بعض الباحثين من اوصاف لتأثرهم الى حد ما بالفروسية التي انتشرت في العصور الوسطى في اوربا وفروسية المماليك ، كما حاول البعض ان يسبغ كثيرا من الصفات التي وجدت في فروسية المتأخرين على الفروسية الجاهلية الاصلية التي تعد من مقومات الحياة العربية •

فالفروسية الجاهلية ليست نظاما معيناً يفرض على اتباعه سلوكا خاصا ، وهي ليست فروسية عسكرية ، يتلقى فيها الفارس دروسا معينة ويدخل تدريبات مرسومة ليخرج منها فارسا يحمل شهادة تخوله الانخراط في صفوف هؤلاء الفرسان ، وانما هي مظهر من مظاهر الحياة نشأ عن عوامل اجتماعية واخلاقية وحرية ، وتطور على وفق اساليب معينة ، وقد ساعدت على تطور هذا النظام فطرة عربية سليمة وجدت في قيم المجتمع الجاهلي هدفها الذي تسعى اليه •

وقد حاولت في دراستي هذه ابراز الصورة الحقيقية للفارس الجاهلي والقيم التي يحافظ عليها ويرعاها ويحميها ويدعو اليها بكل وسيلة من الوسائل كما تتمثل لنا في قصائد كثير من الشعراء الفرسان ،

كما حاولت اظهار هذه الطبقة من الناس التي رسمت في ادبنا الجاهلي
اروع صور التضحية والاباء ورفعت ادبنا العربي الى اسنى درجات
الكمال والنبيل ...

(٢)

يقع البحث في ثلاثة ابواب ، وقد تحدثت في الباب الاول عن
الفروسية في المجتمع الجاهلي وقسمته الى اربعة فصول •

الاول في مادة فروسية وما دارت عليه في كتب اللغة والمعاجم
ووجدت انها تدور حول ثلاثة معان • احدها الحدق بامر الخيل
وركوبها والثاني القتل ودق العنق والثالث النفوس والتثبت في النظر
واتتهيت الى ان الفراسة والفروسة والفروسية التي هي الحدق بامر
الخييل وركوبها والتثبت عليها والتعرف على احوالها ، هو المعنى الحسي
الاول للمعاني المتفرعة وان الفرس ودق العنق والقتل هو معنى حسي
مجازي تال للمعنى الاول ، أما الفراسة بالكسر والتي تعني التثبت
والنفوس والتأمل في الاشياء لادراك بواطنها فهو معنى ذهني تال
ايضا للمعنى الاول •

اما استعمالها الادبي فقد وجدت من استعراضي للنصوص التي
وردت فيها هذه الكلمة انها تمثل جانبين من جوانب الحياة الجاهلية ،
جانب الحرب وجانب المثل العليا ، وهي في كلتا الحالتين بناء واحد وروح
واحدة ، لان شخصية الفارس تُملي عليه ان يكون انسانا ساميا
مثله الى جانب بطولته ، ثم عقدت مقابلة بين الفروسية والفتوة وبينت
فيها اوجه الشبه والاختلاف ••

ثم عقدت الفصل الثاني لبحث بواعث الفروسية وقد رأيت انها
ترجع اساسا الى الطبيعة الصحراوية والمرأة والحرب وتمجيد البطولة
وهي بواعث لعبت دورا اساسيا في اثاره حركة الشعر الحربي ، بما
اثارته في نفوس الشعراء ، وما رسمته في اذهانهم من حب واعتزاز

وفخر وانتصار •

اما الفصل الثالث فقد خصصته لعناصر الفروسية المتمثلة في الخيل والسلاح ، وقد تحدثت عن الخيل باعتبارها من أولى معدات الحرب واشدها حاجة وقت الشدة وبما وافق ذلك من ثقة الفارس في فرسه ومحاورته له ، وتطرت الى اهتمام العرب بالخيل ومعرفة شؤونها وأحوالها وأشكالها ووصافها والوانها وخلقتها، وما استحب منها وما كره فيها ، ثم تحدثت عن السلاح باعتباره القوة التي يستند اليها الفارس والصيدق الذي يناجيه الشاعر ويعجب به ويهتم بكل جزء من اجزائه ثم عرضت الى انواع الاسلحة التي استعملها الفرسان •

وفي الفصل الرابع تحدثت عن تقاليد الفروسية واصولها وشاراتها وملابسها ، وتطرت الى بعض العادات التي تعارف عليها الفرسان في معاركهم والاصول التي اتفقوا عليها والشعارات التي وضعوها كما تطرت الى الملابس التي كانوا يرتدونها في المعارك •

اما الباب الثاني فقد بحثت فيه موضوع شعر الفروسية ، وقد تحدثت فيه عن اولية الشعر ، وقد وجدت ان الشعر الجاهلي لم يكن بدائياً - كما تصور البعض - وانما هو ثمرة ناضجة ، وطبيعي ان أتطرق الى نظرية الشك والاتتحال التي اثرت حول هذا العصر والتي بولغ فيها مبالغة اثار الدهشة والاستغراب ولم احاول اثار المناقشات الطويلة التي دارت حول هذا الموضوع وانما اكتفيت ببعض الاشارات التي اثبت فيها خطأ ما ذهب اليه بعض اصحاب هذه النظرية ، وقد قسمته الى ثلاثة فصول ، عرضت في الفصل الاول لمصادر الشعر الجاهلي التي يمكن الاعتماد عليها في البحث لصدق روايتها وثقة روايتها ، وخلصت الى ان المعلقات والمفضليات والاصمعيات والحماسات وجمهرة اشعار العرب والدواوين الشعرية الموثوقة روايتها ، اضافة الى الكتب الادبية والتاريخية التي تعتبر من مظان كتب اللغة وامهات مصادر الادب ، تعتبر بحق المصادر الاصلية في دراسة الشعر الجاهلي ،

اما الدواوين الشعرية وكتب الادب الاخرى التي تثار حولها الشكوك
فمن الواجب النظر اليها بحيطه وحذر وتحفظ .

اما الفصل الثاني فقد عقدته لموضوعات شعر الفروسية وكان اول
هذه الموضوعات الفخر والحماسة ، الغرضان اللذان امتزجا في تيار
واحد فاستنفدا معظم الشعر الجاهلي وأمدا الشعراء بوقود جزل من
التغني بالبطولات .

اما ثاني هذه الموضوعات فهو الهجاء الذي تبادلته الفرسان وقد
وجدت من استقصاء هذا النوع من الشعر انه لم ينحدر الى المستوى
الذي نجده عند الشعراء المتأخرين ، فهو عفيف بعيد عن الاثارة والاقذاع
وهو بعد ذلك اقرب الى اللوم منه الى الهجاء . .

وأخيرا تحدثت عن الرثاء الذي شغل جانبا عظيما من الشعر
الجاهلي لاتصاله الوثيق بالحماسة ولانه رثاء ندب به الابطال في حومات
القتال وعددت فيه مناقبهم وذكرت بطولاتهم .

اما الباب الثالث فقد تطرقت فيه الى نماذج من شعراء الفروسية .
فكان الفصل الاول مخصصا للحديث عن الحب عند عنتره وتحدثت فيه
عن عنتره الفارس الذي تمثلت فيه قيم الفروسية والبطولة ، ثم عنتره
الانسان الذي تمثلت فيه المروءة الجاهلية بكل ما تنطوي عليه من انسانية،
وعنتره العاشق اخيرا ذلك الذي يمثل بداية الحب العذري الذي ظهر
عند العرب في العصور المتأخرة ، وانتهيت الى ان شعر عنتره يعتبر
النواة المشرقة التي مهدت لظهور هذا النوع من الشعر فيما بعد .

وكان الفصل الثاني حديثا عن جانب الكرم عند حاتم الطائي ،
وقد تحدثت في هذا الفصل عن حاتم فارسا يمثل جوانب الفروسية
ويبينت فلسفته في الكرم وقد حاولت ان أرد على بعض من فسروا
الكرم عند حاتم بانه سبيل الى الشهرة والدعاية ، وخلصت الى ان
الكرم عنده طبيعة وفطرة واثبت ذلك بما وجدته ملائما من الشعر
والحديث والرواية .

اما الفصل الثالث فكان عروة بن الورد والاشتراكية • وقد ناقشت في هذا الفصل اشتراكية عروة ، التي أضيفت الى اسمه ، وقد وجدت ان بعض الذين كتبوا عن عروة كانوا متأثرين بالنظريات الاشتراكية الحديثة • ومن هذا التأثير كانت نظرتهم الى عروة • وقد وجدت ان اضافة هذه الصفة على عروة ، يمثل نوعاً من استعمال المصطلحات في غير ما وضعت له واختتمت الفصل بان عروة كان يمثل تيارا انسانيا يشق سبيله بقوة وعزم في خضم الحياة الجاهلية ••

(٣)

اما اساس المنهج الذي سلكته فكان يعتمد اولاً على الدراسة والاستقصاء للشعر الجاهلي الصحيح الذي يعالج الحرب وما يتعلق بها من موضوعات جانبية ، واعتبرت هذا النوع من اقوى ما نظم الشعراء لانه يتصل اتصالاً وثيقاً بحياتهم التي عاشوها وقيمهم التي سعوا من أجل الحفاظ عليها، وهو بعد كل هذا السجل الحافل لامجادهم ومفاخرهم ، ولانه الصورة الحقيقية التي تعكس لنا تلك الامجاد والمفاخر ••

وقد كان اعتمادي في كل هذه الدراسة على طريقة تحليل النصوص واستقراء النماذج المتشابهة واستخلاص النتائج التي اجدها مطابقة للبحث ومتفقة مع المثل التي سعى اليها الفرسان ، مسجلاً من خلال ذلك الظواهر البارزة في حياة هذه الطائفة •

ثم مضيت الى هذا الشعر لاستجلي مظاهره ووقائعه ومعانيه ، وكان لزاماً علي ان اتطرق الى المصادر التي اعتمدها في البحث ، محاولاً الابتعاد عن كل مصدر يثار حوله الشك وتدار حول قصائده الشبهة فكانت المجاميع الشعرية التي اتفق المؤرخون على صحتها واجمعوا على كونها اوثق المجاميع دقة ورواية هي اساس بحثي هذا •

(٤)

وقد حاولت في دراستي هذه ان أحدد الزمن الذي اخترته لهذا الموضوع فكان بداية العصر الادبي الذي عرف الشعر الجاهلي ، او الذي امتدت معرفتنا به مضافا الى ذلك فترة ظهور الاسلام ، لان التقاليد الجاهلية كانت لا تزال باقية على حالها حتى هذا العصر وخاصة فيما يتعلق بأساليب القتال وتمجيد البطولة واستعمال السلاح والاهتمام بالخيال والحفاظ على التقاليد والابتعاد عن اقتراء ما ثم الحرب •

وبعد ، فهذا ما تمكنت من تحقيقه في دراستي ، كما رأيته متشلا في جوانب الحياة التي عالجتها ، والبحث هو بداية دراستي للعصر الجاهلي ، ولا انكر ما في هذه الدراسة من نواقص ، ادعو الله العلي القدير أن اتبعها بدراسات تكملها وتسد النقص الذي وقع فيها • ، وحسبي أن اكون قد اخلصت فيه وسعيت بكل ما استطيع الى كماله وهذا ما يخفف عني عناء البحث ومشقة العمل وصعوبة المسلك •

ولا يسعني في الختام الا ان اقدم جزيل شكري الى اساتذتي الافاضل الذين أسهموا في بناء هذا البحث بما ابدوه من ملاحظات ثمينة وتوجيهات سديدة ، خاصا بالذكر منهم استاذي الجليل الدكتور يوسف خليف الذي لم يأل جهدا في رعايتي والاخذ بيدي وتوجيهي ، وعضوي لجنة المناقشة الفاضلين الدكتور شوقي ضيف والدكتور عبد الحميد يونس اللذين تجشما قراءة رسالتي وتقضلا بالحضور لمناقشتي فيها ، وكذلك الاخوة الاستاذ الفاضل احمد ناجي القيسي والدكتور احمد مطلوب والاستاذ سامي مكى العاني لمعاوتهم لي خلال بحثي بما اشاروا به علي من ملاحظات • • ولا يفوتني في الختام الا ان أقدم الشكر الوافر لموظفي مكتبة الدراسات الاسلامية في بغداد كافة الذين كانوا لي خير عون في تقديم ما احتاج اليه من المراجع والمصادر جزاهم الله جميعا عني خيرا ، انه الموفق وانه نعم المولى ونعم النصير •

نوري حمودي القيسي

٨ رمضان ١٣٨٣

٢٢ كانون الثاني ١٩٦٤

{ القاهرة في }

Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is extremely faint and illegible.

Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is extremely faint and illegible.

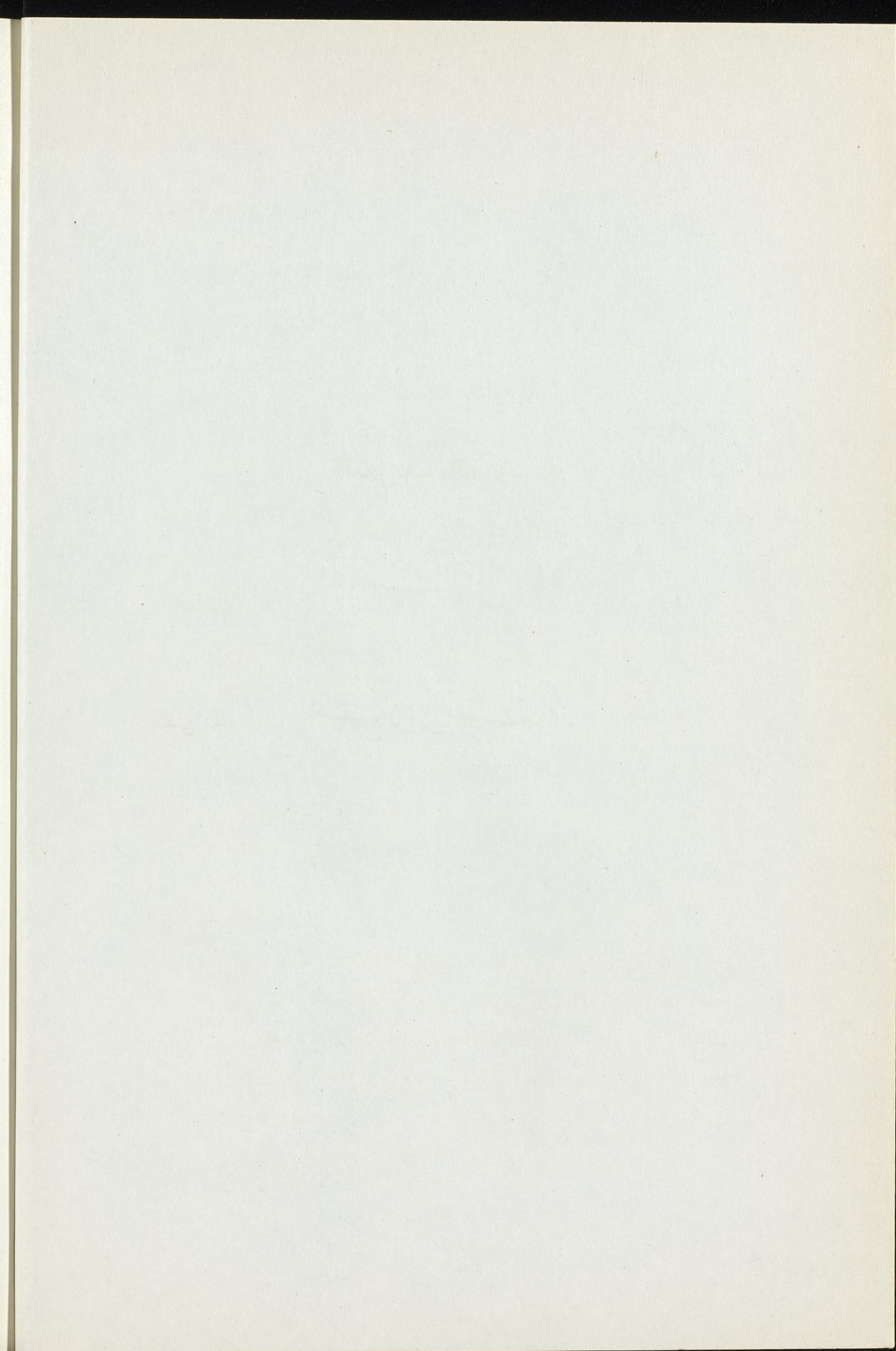
Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is extremely faint and illegible.

Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is extremely faint and illegible.

Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is extremely faint and illegible.

الباب الأول

الفروسيّة



الفصل الاول

التعريف بالفروسية في المعاجم وكتب اللغة

في الصحاح (١)

فرس الاسد فريسته يفرسها فرسا ، وافترسها ، أي دق عنقها ،
واصل الفرّس هذا ، ثم كثر واستعمل حتى صير كل قتل فرسا • وقد
نهيَ عن الفرّس في الذبح وكسر عظم الرقبة قبل أن تبرد •
قال ابن السكيت : فرس الذئب الشاة فرسا ، وافرس الراعي ،
أي فرس الذئب شاة من غنمه • قال : وافرس الرجل الاسد حماره ،
اذا تركه ليفترسه وينجو هو • وابو فراس كنية الاسد •

وفي لسان العرب (٢)

فرس الذبيحة يفرسها فرسا قطع نخاعها وفرسها فرسا فصل عنقها
ويقال للرجل اذا ذبح فنخع قد فرس وقد كره الفرّس في الذبيحة ،
والفرّس أن تدق الرقبة قبل ان تذبح الشاة وفرس الشيء فرسا دقه
وكسره والاصل في الفرّس دق العنق ثم كثر حتى جعل كل قتل فرسا •

(١) مادة (فرس) ص ٩٥٤ •

(٢) مادة (فرس) الجزء الثامن ص ٤٠ •

وفي المحيط (٣)

الفراس الاسد وفرس فريسته يفرسها دق عنقها وكل قتل فرس
والفريس القليل ♦

وفي تاج العروس (٤)

الفرس واحد الخيل سمي به لدقه الارض بجوافره واصل الفرس
الدق كما قال الزمخشري وأشار له ابن فارس ♦

والفراس الاسد كل ذلك مأخوذ من الفرس وهو دق العنق
والفراس للمبالغة ويوصف به فيقال اسد فراس كثير الافتراس وفرس
فريسته يفرسها دق عنقها وقال ابو عبيد الفرس : الكسر وكل قتل فرس
والاصل فيه دق العنق وكسرها وقد فرس الذئب الشاة فرسا اخذها فدق
عنقها والفريس كأمير القليل يقال ثور فريس وبقرة فريس جمعها
فرسى كقتلى ♦

وابو فراس كنية الاسد وكذلك ابو فراس واقتصره الذئب
اصطاده وقيل قتله ومنه فريسة الاسد وفرس الذبيحة فرسا قطع
نخاعها او فصل عنقها واقتصر السبع الشبي وفرسه اخذه فدق عنقه ♦
هذا هو الاصل الاول لكلمة الفروسية وقد وردت لها مفاهيم
اخرى نستطيع ان نلمسها من خلال المعاني والاشتقاقات الموجودة في
المعاجم فقد جاء في الصحاح (٥)

الفرس يقع على الذكر والاثني ، ولا يقال للاثني فرسة ♦
وتصغير الفرس فريس وان اردت الاثني خاصة لم تقل الا فريسه بالهاء ،
عن ابي بكر بن السراج والجمع افراس ،
وراكبه فارس ، وهو مثل لابن وتامر ، اي صاحب فرس ويجمع

-
- (٣) مادة (فرس) الجزء الثاني ص ٢٣٦ .
(٤) مادة (فرس) الجزء الرابع ص ٢١٥ .
(٥) مادة (فرس) ص ٩٥٤ .

على فوارس وهو شاذ لا يقاس عليه لان فواعل انما هو جمع فاعلة
مثل ضاربة وضوارب او جمع فاعل اذا كان صفة للمؤنث مثل حائض
وحوائض • اما مذكر ما يعقل فلم يجمع عليه الا فوارس وهوالك
ونواكس ، فاما فوارس فلأنه شيء لا يكون في المؤنث فلم يُخَفَ فيه
اللبس ، واما هوالك فانما جاء في المثل ، يقال « هالك في الهوالك »
فجرى على الاصل لانه قد يجيء في الامثال ما لا يجيء في غيرها واما
نواكس فقد جاء في ضرورة الشعر قال ابن السكيت : اذا كان الرجل
على حافر برذونا كان او فرسا او بغلا او حمارا ، قلت مر بنا
فارس على بغل ، ومر بنا فارس على حمار ، قال الشاعر :

واني امرؤ للخيل عندي مزية على فارس البرذون او فارس البغل

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير لا أقول لصاحب البغل :
فارس ولكني أقول بغال ولا أقول لصاحب الحمار : فارس ولكني
أقول : حمّار •

والفراسة بالفتح : مصدر قولك رجل فارس على الخيل بين
الفراسة والفروسية • وقد فرّس بالضم يفرّس فروسة وفراسة
أي حذق أمر الخيل •

وفي لسان العرب (٦)

الفرّس واحد الخيل والجمع افراس الذكر والانثى في ذلك سواء
ولا يقال للانثى فيه فرسة قال ابن سيده واصله التأنيث فلذلك قال
سيبويه وتقول ثلاثة افراس اذا اردت المذكر الزمونه التأنيث وصار في
كلامهم للمؤنث اكثر منه للمذكر حتى صار بمنزلة القدم قال وتصغيرها
فريس نادر وحكى ابن جنى فرسه • الصحاح وان اردت تصغير الفرس
الانثى خاصة لم تقل الا فريسه بالهاء عن ابي بكر بن السراج والجمع

(٦) مادة (فرس) الجزء الثامن ص ٣٨ •

افراس وراكبه فارس مثل لابن وتامر ♦♦

والفارس صاحب الفرس على ارادة النسب والجمع فرسان
وفوارس وهو احد ما شذ من هذا النوع فجاء في المذكر على فواعل ♦

والفراسة بالفتح مصدر قولك رجل فارس على الخيل الاصمعي
يقال فارس بين الفروسة والفراسة والفروسية ♦

وقد فرّس فلان بالضم يفرّس فروسة وفراسة اذ حذق أمر
الخيال قال وهو يتفرس اذا كان يرى الناس انه فارس على الخيل ♦

يقال رجل فارس بين الفروسة والفراسة في الخيل وهو الثبات
عليها والحذق بامرها والفراسة بالفتح العلم بركوب الخيل وركضها من
الفروسية قال والفارس الحاذق بما يمارس من الاشياء كلها وبها سمي
الرجل فارسا ♦

ابن الاعرابي فارس في الناس بين الفراسة والفراسة وعلى الدابة
بين الفروسية والفروسة لغة فيه ♦

وفي المحيط (٧)

والفراسة بالكسر اسم من التفرس وبالفتح الحذق بركوب الخيل
وامرها كالفروسة والفروسية ♦

وفي تاج العروس (٨)

الفرس واحد الخيل وراكبه فارس اي صاحب فرس على ارادة
النسب كلابن وتامر قال ابن السكيت اذا كان الرجل على حافر
برذونا كان او فرسا او بغلا او حمارا قلت مر بنا فارس على بغل ومر
بنا فارس على حمار قال الشاعر ♦♦

واني امرؤ للخيل عندي مزية على فارس البرذون او فارس البغل

(٧) مادة (فرس) الجزء الثاني ص ٢٣٦ ♦

(٨) مادة (فرس) الجزء الرابع ص ٢١٥ ♦

وجمعها فرسان وفوارس وهو احد ما شذ في هذا النوع • •
والفراسة بالفتح الحذق بركوب الخيل وامرها وركضها والثبات
عليها وقال الاصمعي يقال فارس بين الفروسة والفراسة والفروسية
وقال ابن الاعرابي والفراسة على الدابة بين الفروسية وقال ابن القطاع
وفرس الخيل فروسة وفروسية احكم ركوبها •

وفي المخصص (٩)

الفرس واحد الخيل والجمع افراس الذكر في ذلك والاثني سواء
واصله التأنيث وتصغيره بهاء وغير هاء • وحكى ابن جنى فرسه فان كان
كذلك فانما ذهبوا الى التوثق من التأنيث ، ابن السكيت : الفارس
صاحب الفرس على ارادة النسب والجمع فرسان وفوارس وهو احد
ما شذ من هذا الضرب والمصدر الفراسة والفروسة •

وقد جاءت الكلمة على معان اخرى غير المعاني المتقدمة فقد جاء
في الصحاح (١٠) • والفراسة بالكسر : الاسم من قولك تفرست فيه
خيلا وهو يتفرس ، اي يتثبت وينظر • تقول منه : رجل فارس النظر
وفي الحديث اتقوا فراسة المؤمن •

وجاء في لسان العرب (١١)

والفراسة بالكسر الاسم من قولك تفرست فيه خيلا وتفرس فيه
الشيء توسمه والاسم الفراسة بالكسر وفي الحديث اتقوا فراسة
المؤمن قال ابن الاثير يقال بمعنيين احدهما ما دل ظاهر الحديث عليه
وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب اوليائه فيعلمون احوال بعض الناس
بنوع من الكرامات واصابة الظن والحس والثاني نوع يتعلم بالدلائل
والتجارب والخلق والاخلاق فتعرف به احوال الناس وللناس فيه

(٩) المخصص السفر السادس ١٣٥ •

(١٠) مادة (فرس) ص ٩٥٥ •

(١١) مادة (فرس) الجزء الثامن ص ٤٠

تصانيف كثيرة قديمة وحديثة واستعمل الزجاج منه افعال فقال افرس
الناس اي اجودهم واصدقهم فإساسة * * *
وهو يتفرس اي يتثبت وينظر تقول منه رجل فارس النظر * واذا
فارسا بعينه ونظره فهو بين الفإساسة بكسر الفاء ويقال ان فلانا لفارس
بذلك الامر اذا كان عالما به * * *

وجاء في المحيط (١٢)

والفإساسة بالكسر اسم من التفرس وتفرس تثبت ونظر وارى
الناس أنه فارس *

وفي تاج العروس (١٣)

والفإساسة بالكسر اسم من التفرس وهو التوسم يقال تفرس فيه
الشيء اذا توسمه وقال ابن القطاع الفإساسة بالعين ادراك الباطن وبه
فسر الحديث اتقوا فإساسة المؤمن فانه ينظر بنور الله * وقال الاصمعي
واذا كان فارسا بعينه ونظره فهو بين الفإساسة بالكسر وقال ابن الاعرابي
فارس في الناس بين الفإساسة *

وتفرس الرجل اذا تثبت وتأمل للشيء ونظر تقول منه رجل فارس
النظر اذا كان عالما به ويقال انا افرس منك اي ابصر وأعرف *

وقال الزجاج افرس الناس فلان اي اجودهم واصدقهم فإساسة *
هذه هي أهم المعاني التي وردت للمفظة فرس ومشتقاتها في المعاجم
وتستطيع تلخيصها فيما يأتي :

١- الفإساسة والفروسة والفروسية وهي الحدق بأمر الخيل
وركوبها والثبات عليها والتعرف على احوالها وهي المعنى الحسي الاول
للمعاني المتفرعة *

(١٢) مادة (فرس) الجزء الثاني ص ٢٣٦

(١٣) مادة (فرس) الجزء الرابع ص ٣٠٧

٢- الفرس : دق العنق والقتل وهذا معنى حي مجازي تالٍ للمعنى الاول .
 ٣- الفراسة بالكسر وهي التفرس والتثبت في النظر والتأمل في الاشياء لادراك بواطنها وهذا معنى ذهني تالٍ ايضا للمعنى الاول .
 ويؤيدنا في هذا ابن فارس حيث يرى أن الفاء والراء والسين أُصيّل يدل على وطء الشيء ودقه . يقولون : فرس عنقه ، اذا دقها ويكون ذلك من دق العنق من الذبيحة . ثم صير كل قتل فرسا ، يقال فرس الاسد فريسته وأبو فراس : الاسد ، ويمكن ان يكون الفرس من هذا القياس لركله الارض بقوائمه ووطئه اياها ثم سمى راكبه فارسا . يقولون هو حسن الفروسية والفراسة ومن الباب : التفرس في الشيء ، كاصابة النظر فيه وقياسه صحيح^(١٤) .



معنى الفروسية في النصوص الجاهلية :

لقد حفل الشعر الجاهلي بالحديث عن الفروسية لانها كانت الطابع المميز للحياة الجاهلية والسمة الغالبة على طبائع العرب ولأنها مجموعة المثل الرفيعة والبطولات الحربية التي تردت على السنة الشعراء الفرسان وتجاوبت أصدائها في أطراف الصحراء الواسعة وامتدت معانيها امتداد الرمال ، فكانت اسلوب الحياة لمختلف الناس دون تمييز ، يعبرون عنها بما يتناسب ومفهومها عندهم .

والفروسية مظهر من مظاهر الحياة نشأ نتيجة عوامل اجتماعية واخلاقية وحرية معينة وتطور وفق أساليب حيوية شاملة ، وقد ساعدت على تطوره فطرة عربية سليمة وجدت في المثل السامية قيمها الحقيقية وهدفها الذي تسعى اليه .

(١٤) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ٤/٤٨٥

ولم يكن هذا المظهر الا حصيلة الطبيعة الصحراوية الواسعة التي
 أكسبت العربي القوة والصبر والشجاعة والكرم والمروءة وكل المثل
 التي يحاولها الفرد في حياته . وقد تميزت هذه الظاهرة بميزات واضحة
 وأصبحت لها تقاليد معروفة حمل لواءها اولئك الفرسان الاماجد الذين
 تألقت اسمائهم في عالم الانسانية كأروع أمثلة للتضحية والكرم
 والبطولة .

فالفارس الجاهلي يتغنى بالحرب ويترنم بنشيدها فتنتطلق اساريه
 حلوة باسمه لتلتقي على متاهات الرحاب فاذا اشتدت الخطوب وتعاضمت
 الامور وعلا غبار المعركة وتنادت الخيل وأسرعت الى بعضها البعض تجد
 فرسانا كراما لا تمل الحروب ولا تعدل عنها ، وسوف يظهر من بلائهم
 ما يستدل به على حسن صبرهم وثباتهم في جلادهم يستجيبون لصراخ
 المستنجد تعجلا لغوثه ويلبون النداء دفاعا عن صاحبه ، وفي ذلك
 يقول الافوه الاودي (١٥) :

واذا الامور تعاضمت وتشابهت فهناك يعترفون أين المفزع ؟
 واذا عجاج الموت ثار وهلمت فيه الجياد الى الجياد تسرع
 بالدارعين كأنها عصب القطا الاسراب تمعج في العجاج وتمزع
 كنا فوارسها الذين اذا دعا داعي الصياح به اليه فزع
 كنا فوارس نجدة لكنها رتب فبعض فوق بعض يشفع

والنابغة الذبياني يخاطب عامر بن الطفيل فيرسم له صورة الفارس
 الجلد الصبور الحاذق بركوب الخيل العارف بامورها ، يستوي على
 السرج ويثبت في المعركة ويقتحم سعيها وهو يتأجج قوة ويفيض
 حماسة ، فيقول (١٦) :

(١٥) ديوان الافوه الاودي ص ١٩ . في مجموعة الطرائف الادبية . تحقيق
 عبد العزيز اليمني .

(١٦) الأعلم : مختار الشعر الجاهلي ١/١٩٣

فان تكن الفوارس يوم حسى أصابوا من لقاءك ما أصابوا (١٧)
فوارس من منولة غير ميل ومرة فوق جمعهم العقاب (١٨)

وقيس بن الخطيم يفخر بانتصاره في موضع الردم وتركه الخصوم
وهم بين قتلى ومشردين بعد أن أتاهاهم وقت الصباح بفرسان كرمت
أخبارهم وحسن بلاؤهم ، يحمون الذمار فيقول (١٩) :

فانا تركناكم لدى الردم غدوة فريقين مقتولا به ومطرّدا (٢٠)
صبحناكم منا به كل فارس كريم النّثا يحمي الذمار ليحمدا (٢١)

وعنتره فارس بني عبس تتمثل في شخصه بطولة الفارس الحربية
وترتفع في نفسه العفة والكرامة ، فالجوع المميت والمستديم ليل نهار
يطويه الفارس ويقنع به حتى ينال المأكل الكريم الخالي من العيوب
والمثالب ، وهو المقدم في أهوال الحرب ، مقتحما مصائبها في الوقت
الذي يحجم بقية الفرسان ويزورّ الجبان المدعور لشدتها وهولها ، ثم
ترمق عيون الابطال باجلال الفارس الحامي ليشد الجموع ويلم
الفرسان ، وهناك يقف الصامد ويثبت الشجاع فيستمد من نسب أمه
الذي يطعن به القوة والجلد والاندفاع لاثبات علو نسبه وأصاله
فروسيته • وهو كما يعلمه الفرسان تعلمه الخيول لانه أذاق فرسانها
المرارة والبطش فتميزت علاماته ووضحت شخصيته لانه في مقدم
الرغيل وعلى رأس الكتيبة لا يعرف التواكل ولا الهزيمة وانما هو

(١٧) يوم حسى : كان لبني بغيض بن ذبيان على عامر بن الطفيل : قتل
فيه أخوه حنظلة بن الطفيل .

(١٨) منولة : اسم ام حي من العرب ومرة هو ابن عوف بن سعد بن
ذبيان وميل جميع أميل ، وهو الذي لا يستوي على السرج أو الجبان
أو الذي لا رمح له أو الذي لا ترس له ، والعقاب : الراية .

(١٩) الأعلم : مختار الشعر الجاهلي ٢/٥٩٠

(٢٠) الردم : موضع . مطرد : مشرد .

(٢١) صبحناكم : أتيناكم في وقت الصباح . النّثا : السمعة وما أخبرت
به عن الرجل من حسن أو سيء - الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .

الذي يحمي القوم ويدفع عنهم الذل والهوان (٢٢) :

- (٢٣) ولقد أبيت على الطوى وأظكته حتى أنال به كريم المأكل
(٢٤) وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألقيت خيرا من معمم مخول
(٢٥) والخيل تعلم والفوارس أنني فرقت جمعهم بطعنة فيصل
(٢٦) اذ لا أبادر في المضيق فوارسي ولا أوكل بالرغيل الاول
(٢٧) ولقد غدوت أمام راية غالب يوم الهياج وما غدوت بأعزل

والحصين بن الحمام المثري الذي يعد من اوفياء العرب
وفرسانهم يظفر بخصومه فيهزمهم ويقتل منهم فيكثر فتعلوه نشوة
النصر فينطلق مفتخرا بظفره وشجاعته واستهاتته بالموت ويصر على
هجاء خصومه ويذكرهم بفارسهم الذي قتله امعانا في التحريض والهابة
لتأجيج جذوة الحقد ، فيقول (٢٨) :

فلمت بمتاع الحياة بسبة ولا ممتع من رهبة الموت سئلما (٢٩)

-
- (٢٢) الأعلم أ مختار الشعر الجاهلي ٣٨٨/١
(٢٣) الطوى : خمص البطن . قال الاصمعي : ابيت بالليل على الطوى
واظل النهار كذلك . حتى أنال به كريم المأكل : أي ما لا عيب
فيه علي .
(٢٤) الكتيبة : الجماعة اذا اجتمعت ، واحجمت : جنبت وضعفت .
تلاحظت : نظر الابطال بلحاظ عيونهم الى البطل الحامي الذمار
ومعم مخول : بصيغتي اسم الفاعل والمفعول كريم الاعمام والاقوال .
(٢٥) الفيصل : الفاصل بين القوم المفرق لجموعهم .
(٢٦) كذا بديوان عنثرة بطبعاته المختلفة . والبيت بهذا الشكل غير
مستقيم الوزن . لا أبادر فوارسي : أي لا أكون أول منهزم ، فلا
أسبق الفرسان ، ولكن أكون وراءهم أحمي عورتهم ، والرغيل :
الجماعة من الخيل والناس وغيرهم .
(٢٧) غالب : حامل رايته . الاعزل : هو الذي لا سلاح معه .
(٢٨) المفضل : المفضليات ٦٧/١ طبع دار المعارف .
(٢٩) يقول لا اشترى الحياة بما أسب عليه ولا اطلب النجاة من الموت .
فلا مهرب منه فمن علم انه ميت لا محالة لم يحتمل المذلة .

ولكن خذوني أي يوم قدرتم علي فحزوا الرأس أن أتكلما (٣٠)
بآية أني قد فجعت بفارس اذا عرد الاقوام اقدم معلما (٣١)

وهذا الاعشى الكبير يفتخر بقومه بعد انتصارهم على بني سيار
رعاية لحماهم ودفاعا عن عرضهم الذي استبيح وانتصارا لقطيمة التي
أهانها بنو سيار وحلقوا لها شعر رأسها وهذا ما جعل القبيلة تجد في هذا
العمل تحديا لابائها وذلا لعزها ومجدها فهبت تدفع عنها الضيم
والاذلال (٣٢) :

كلا زعتم بانا لا تقاتلكم انا لامثالكم يا قومنا قتل
نحن الفوارس يوم العين ضاحيةً جنبي (قطيمة) لا ميل ولا عزل (٣٣)
قالوا الركوب فقلنا تلك عادتنا أو تنزلون فانا معشر نزل (٣٤)

من هذه النصوص نستطيع أن ندرك المفهوم المتداول للمعنى
الفروسية في العصر الجاهلي كما صورته لنا تلك النصوص ، فهي
البطولة في الحرب والبلاء في المعركة والعفة عند توزيع الغنائم واطعام
الضيف وحماية الحقيقة والذود عن المرأة وتلبية دعوة المستغيث
واستجابة لصرخة المنادي ، الى غير ذلك مما تستوجه النخوة ويتطلبه
الشعور الانساني ♦

وهكذا كانت الفروسية تمثل لنا جانين من جوانب الحياة
الجاهلية جانب الحرب وجانب المثل العليا لانهما بناء واحد وروح واحدة

- (٣٠) فمتى وجدتموني فخذوني وحزوا رأسي حتى لا اتكلم ، والمعنى
اني اقول فيكم واهجوكم واذمكم ما حييت .
(٣١) الآية : العلامة . فجعت : فجعتكم بقتل فارس منكم . عرد :
هرب . المعلم الذي يجعل لنفسه علامة في الحرب يعرف بها .
(٣٢) الأعلم : مختار الشعر الجاهلي ١٠٧/٢
(٣٣) ضاحية : ظاهرة . ميل : واحدها أميل وهو الذي يميل على
السرّج ولا يثبت في الحرب .
(٣٤) ان قاتلتم بالرماح وانتم راكبين فتلك عادتنا وان نزلتم تجالدون
بالسيوف نزلنا .

وان ظهرت بمظهرين متلازمين وشكلين مترابطين ، فشخصية الفارس
البطل تملي عليه ان يكون انسانا ساميا في مثله الى جانب بطولته •
والحياة الجاهلية بطولة متصلة وحماسة متشابكة يكمل الجزء منها
بقية الاجزاء وتجتمع الاسس ليقوم عليها البناء الشامخ الذي احتضن
الفروسية بكل مفاهيمها ومعانيها •

الفروسية والفتوة :

لا بد لنا ونحن نتحدث عن معنى الفروسية أن نتطرق الى الفتوة
في العصر الجاهلي لتقارب مفهومها من مفهوم الفروسية في هذا العصر
ونشير الى الدلالات التي استعملت فيها مستعينين بالنصوص الاديية
لاستخلاص المعاني التي مرت بها هذه الكلمة والاضاع المختلفة التي
وردت عليها ••• وتدور هذه المادة في اللغة حول معنيين اساسيين •
الشباب من ناحية والكرم من ناحية اخرى • وكأنهم - كما يلاحظ
الاستاذ احمد امين - لما لاحظوا في الفتوة الشباب والقوة لاحظوا ان
القوة أكثر ما تستمد في وسطهم من الكرم والحرية (٣٥) •

فقد جاء في الصحاح (٣٦)

الفتى : الشاب • والفتاة : الشابة ، وقد فُتِيَ بالكسر يفتي فتى
فهو فتى السن بين الفناء •

وجاء في اللسان (٣٧)

الفتاء ، الشباب والفتى والفتية الشاب والشابة والفعل فُتِيَ
يفتو فتاء ويقال افعل ذلك في فتائه وقد فتى بالكسر يفتي فتى فهو فتى
السن بين الفناء •

(٣٥) احمد امين : الصعلكة والفتوة في الاسلام ص ١١

(٣٦) مادة (فتى) الجزء السادس ص ٢٤٥١

(٣٧) مادة (فتا) الجزء العشرون ص ٣

وفي المحيط (٣٨)

الفتاء كسواء الشباب والفتى الشاب •
هذا ما ورد من معاني المادة التي تدل على الشباب والفتوة
والنشاط والحيوية والشجاعة ، اما ما ورد منها في المعنى الثاني المتضمن
معنى الكرم والسخاء فقد جاء في الصحاح (٣٩) :

الفتى : السخي الكريم • يقال : هو فتى بين الفتوة وقد تفتى
وتفاتي ، والجمع فتيان وفتية •

وجاء في لسان العرب (٤٠)

والفتى : السخي الكريم ، يقال هو فتى بين الفتوة وقد تفتى
وتفاتي والجمع فتيان وفتية وفتو على فعول وفتي •

وجاء في المحيط (٤١)

الفتى ، الشاب والسخي الكريم وهما فتيان وفتوان • • والفتوة
الكرم وقد تفتى وتفاتي وفتوتهم غلبتهم فيها •

وجاء في أساس البلاغة (٤٢)

هذا فتى بين الفتوة هي الحرية والكرم وتقول العرب فتى من
صفته كيت وكيت من غير تمييز •

أما الحقيقة التي تطالعنا ونحن نستقريء النصوص الجاهلية
فهي اننا نجد للفتوة مدلولات كثيرة ومعاني متباينة وان كانت
هذه المدلولات والمعاني تتقارب في أغلب الاحيان من المعنى الاصلي
لهذه اللفظة •

(٣٨) مادة (الفتاء) الجزء الرابع ص ٣٧٣

(٣٩) مادة (فتى) ص ٢٤٥٢

(٤٠) مادة (فتا) الجزء العشرون ص ٣

(٤١) مادة (الفتاء) الجزء الرابع ص ٣٧٣

(٤٢) الجزء الثاني ص ١٨٤

فقد استعملت في معنى الشجاعة والوفاء بالوعد والبر بالعهد والصبر على الشدائد ودفع الملمات وتحمل الاعباء وكثير من الصفات المحمودة ، وهذا الاستعمال كان غالبا على كل الاستعمالات الاخرى .
قال امرؤ القيس حين توجه الى قيصر (٤٣) :

فدع ذا وسل الهيم عنك بجسرة ذمول اذا صامَ النهار وهجرًا (٤٤)
عليها فتى لم تحمل الارض مثله أبرَّ بميثاق وأوفى واصبرا (٤٥)
وقال طرفة بن العبد (٤٦) :

ويوم حبست النفس عند عراكه حفاظا على عوراته والتهدد (٤٧)
على موطن يخشى الفتى عنده الردى متى تعترك فيه الفرائض ترعد (٤٨)
وقال يصف لهوه وتنقله (٤٩) :

حين نادى الحي لما فزعوا ودعا الداعي وقد لجج الذعر (٥٠)

- (٤٣) ديوان امرؤ القيس ص ٦٣ و ٦٥ ، طبع دار المعارف .
(٤٤) فدع ذا من أساليب العرب في الانتقال من غرض الى غرض في القصيدة وقد يجيء ابتداء . والجسرة : الناقة القوية النشيطة .
الذمول التي تسير الذميل وهو سير سريع . صام النهار : قام واعتدل قائم الظهره ويقال هجر القوم واهجروا وتهجروا : ساروا في الهاجرة وهي اشتداد الحر . يقول دع ما أنت فيه من الشعر واذهب عنك الهيم بركوب هذه الناقة القوية السريعة عند اشتداد الحر حين يفتر فيها سواها من الابل فبمثلها تبلغ المراد .
(٤٥) فتى : يعني نفسه ، والميثاق : العهد . يقول ان هذه الناقة تحمل فتى يبر بعده اذا عهد ويفي اذا وعد ويصبر على الشدة .
(٤٦) الأعلام : مختار الشعر الجاهلي ٣٢٢/١
(٤٧) يقول ورب يوم حبست نفسي على القتال والفزعات وتهدد الاقران محافظة وأنفة من قبح الاحدوثة .
(٤٨) الفريضة : عضلة من الجنب الى الكتف ترعد عند الفزع ، يقول حبست نفسي في موضع من الحرب يخشى الشجاع فيها الهلاك . ومتى تعترك الفرائض فيه ارعدت من فرط الفزع وهول المقام .
(٤٩) الأعلام : مختار الشعر الجاهلي ٣٣١/١
(٥٠) لجج الذعر : اشتد الفزع .

أيها افتيان في مجلسنا جردوا منها وِرادا وشقّر (٥١)
وقال يذكر يوم قرضه (٥٢)

أجدر الناس برأس صلدم حازم الامر شجاع في الرغَم (٥٣)
كامل يحمل آلاء الفتى نبه سيد سادات خضم (٥٤)
خير حي من معد علسوا لكفي ولجاروا بن عم (٥٥)
وقال في معلقته (٥٦) :

اذا القوم قالوا من فتى خلت أني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد (٥٧)
ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد
وقال لييد (٥٨) :

وفتية كليوث الغاب من أسد ما للندی عنهم نزع ولا شحط (٥٩)

(٥١) جردوا: ألقوا عنها جلالها وأسرجوها للقاء . أو الجريدة من الخيل التي تختار وتجرد أي تكمش في مهم الامور والوراد جمع الورد وهو بين الكميت والاشقر من الخيل وشقر بضمين جمع اشقر حركت العين للضرورة . واشقر: الاحمر حمرة صافية يحمر فيها العرف والذنب ، فان اسود فهو الكميت .

(٥٢) قال الأعلم وهو يوم التحالف وقضه جبل اقتتلوا قريبا منه وكان الحارث بن عباد أمرهم بخلق رؤوسهم وكان هذا اليوم ل بكر على تغلب وانما أمرهم بذلك ليكون علما يعرف به بعضهم بعضا .

(٥٣) رأس: رئيس . وصلدم: شديد . الرغَم: الحرب يقول هو الحي الذي يقوم بنفسه ولا يحتاج في معونة الى غيره .

(٥٤) كامل: كامل الاداة والشجاعة والآلاء . النعم وقيل الحالات . والنبه الشريف المرتفع الذكر يعني الحارث بن عباد وخضم . سيد حمول معطاء .

(٥٥) الكفي والكفيء: المائل في النسب .

(٥٦) الأعلم: مختار الشعر الجاهلي ٣١٥/١

(٥٧) يقول اذا القوم قالوا: من فتى يكفي مهما او يدفع شرا تيقنت أنني المراد بقولهم فلم أكسل ولم أتوان عن اجابتهم .

(٥٨) الأعلم: مختار الشعر الجاهلي ٥٧/٢

(٥٩) نزع: بعد . شحط: بعد .

بيض بها ليل ينفي الجهل حلمهم وتفزع الأرض منهم انهم سخطوا (٦٠)
اذا تخمط جبار ثوه الى ما يشتهون ولا يشون ان خمطوا (٦١)
وقال الاعشى الكبير (٦٢) :

أفي فتية يبيض الوجوه اذا لقوا قبيلك يوما أبلغوه المخنقًا (٦٣)
اذا اعتفرت اقدمهم عند معرك ثبتن به يوما فان كان مزلقا (٦٤)
وقال الاعشى ايضا (٦٥) :

لما رأيت زمانًا كالحا شبمًا قد صار فيه رؤوس الناس اذ نابا (٦٦)
يمت خير فتى في الناس كلهم الشاهدين به أعنى ومن غابا (٦٧)
وقال يمدح هوزة بن علي الحنفي (٦٨) :

فتى لو ينادي الشمس ألقت قناعها او القمر الساري لألقى المقالدا (٦٩)
ويصبح كالسيف الثقيل اذا غدا على ظهر انماط له ووسائد (٧٠)
وقال في مدح هوزة أيضا (٧١) :

-
- (٦٠) بهليل جمع بهلول وهو السيد الجامع لكل خير .
(٦١) خمط الرجل : غضب وتكبر ومثلها تخمط والتخمط : الغلبة والقهر .
(٦٢) الأعلم : مختار الشعر الجاهلي ٣٠٦/٢ .
(٦٣) يبيض الوجوه : كرام . القبيل : الجماعة من الثلاثة فأكثر . المخنق : موضع الخنق من الرقبة .
(٦٤) اعتفرت : غطاها الفبار اي التراب . المزلق : الموضع الذي تزل فيه القدم وتسقط وهذا كناية عن الشدة .
(٦٥) الأعلم : مختار الشعر الجاهلي ٣٢٢/٢ .
(٦٦) كالحا : عابسا . الشبم : البردان الجائع .
(٦٧) يمت : قصدت .
(٦٨) الأعلم : مختار الشعر الجاهلي ١٠٩/٢ .
(٦٩) ألقت قناعها : كشفت وجهها وأسفرت . للقى المقالد لاطاع وانقاد . والمقالد : جمع مقلد وهو المفتاح .
(٧٠) الصقيل : اللامع الجلو . انماط : جمع نمط وهو نوع من الابسطة .
(٧١) الأعلم : مختار الشعر الجاهلي ١٢٩/٢ .

ولم يسع في الاقوام سعيك واحد وليس أناء للندی كأنائكا
سمعتُ بسمع الباع والجود والندی فادليت دلوي فاستقت برشائكا (٧٢)
فتى يحمل الاعباء لو كان غيره من الناس لم ينهض بها متماسكا
وقال لييد (٧٣) :

واذا الاسنة أشرعت لنحورها ابدین جد نواجذ الايناب (٧٤)
يحملن فتیان الوغى من جعفر شعثا كأنهم أسود الغاب (٧٥)
الى جانب هذا المعنى استعملت في معان أخرى ، منها المروءة ،
بكل ما تضمنه من نجدة وكرم وشهامة وغير ذلك من القيم الخلقية
التي تعارف عليها المجتمع الجاهلي وقدرها .
قال لييد يرثي أخاه أربد (٧٦) :

أيا مَيَّ قومي في المآتم واندبني فتى كان ممن يبتني المجد أروعا (٧٧)
فتى عارف للحق لا ينكر القرى ترى رفده للضيف ملآن مترعا (٧٨)
وقال يرثيه أيضا (٧٩) :

لعمرى لئن كان المخبر صادقا لقد رزئت في سالف الدهر جعفر (٨٠)
فتى كان أما كل شيء سألتُهُ فيعطي وأما كل ذنب فيغفر

- (٧٢) الرشاء : الجبل الذي يستخدم في رفع الماء من البئر .
(٧٣) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٤٨٠/٢
(٧٤) أشرعت لنحورها : وجهت الى النحور . أبدین : أظهرن . النواجذ ،
الناجذ : السن التي هي آخر الاضراس .
(٧٥) الوغى : الحرب . شعثا : جمع أشعث وهو الذي اتسخ شعر رأسه
وتلبد بفعل العرق والتراب . الغاب : الغابات .
(٧٦) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٥٠٠/٢
(٧٧) المآتم : مجتمعات النساء في حزن او فرح . والمراد هنا الحزن .
أروع : من يعجبك بحسن منظره وجماله . او لشجاعته .
(٧٨) القرى : ما يقدم للضيف من طعام وشراب وغيره . الرفد : العطاء
والصلة . مترع : ملآن .
(٧٩) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٥٣٢/٢
(٨٠) رزئت : اصبت في أعز ما تملك . سالف الدهر : الازمان الماضية .

أو اتباع الاهواء ، والانصباب على اللذات ، ومعاقرة الشراب ،
والاستمتاع بالحياة .

قال طرفة بن العبد (٨١) :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدكلم أحفل متى قام عودي (٨٢)
فمنهن سبق العاذلات بشربة كسيت متى ما تعلق بالماء تزد (٨٣)
وكرى اذا نادى المضاف مَحْنَبًا كسيد الغضى نبهته المتورد (٨٤)
وتقشير يوم الشدجن والدجن معجب بهكنة تحت الخباء المعمد (٨٥)
وقال الاعشى الكبير (٨٦) :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاوٍ ميشل شلول شلشل شول (٨٧)
في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يخفى وينتعل
نازعتهم قصب الريحان متكئا وقهوة مزرة راووقها خضل (٨٨)

- (٨١) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٣١٧/١
(٨٢) وجدك : وحظك . والعود هنا : جمع عائد أو عائدة . يقول لولاحبي
ثلاث خصال هن من لذة الفتى الكريم لم أبال متى قام عائداتي
بيكينني وينحن علي .
(٨٣) يقول احدي تلك الخلال اني أسبق العواذل يشربه من خمر حمراء
متى صبت عليها الماء أزيدت .
(٨٤) كرى : عطفي . المضاف : الخائف المدعور . المحنب : الذي في قوائمه
أو ضلوعه انحناء قليل . وسيد الغضى ذئب خبيث ويعني تلبية
دعوة المستفيث .
(٨٥) ولهوى يوم القيم بامرأة حسناء في بيت مرفوع العمد . يقول
لولا هذه الثلاث لم أبال في أي وقت جاء الموت وهي شرب الخمر
والحرب والتمتع بالنساء .
(٨٦) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ١٠١/٢ .
(٨٧) الحانوت : الخمارة . شاو : يشوي اللحم . مشل : من شل أي
طرد وكذلك شلول وشلشل خفيف في العمل سريع . شول
يحمل الشي يقال شلت به وأشلته .
(٨٨) راووقها : الاناء الذي تروق فيه الخمر . خضل : الدائم الندى
لكثرة استعمالهم .

وقال ليبيد يرثي أخاه (٨٩) :

وان تشرب فنعم أخو الندامى كريم ماجد حلو الندام
وفتيان يرون المجد غنما صبرت لحقهم ليل التمام (٩٠)

وقال الاعشى (٩١) :

وكأس كعين الديك باكرت حدها بفتيان صدق والنواقيس تُضرب (٩٢)
وقال أيضا (٩٣) :

على كل أحوال الفتى قد شربتها غنيا وصعلوكا وما ان اقاتها (٩٤)
هذا وقد وردت في بعض النصوص وهي تحمل معنى طراءة السن
وصغره ، كما استعملت للدلالة على القوة والشباب .

قال عمرو بن كلثوم في معلقته (٩٥) :

نصبنا مثل رهوة ذات حد محافظة وكنا السابقينا (٩٦)
بفتيان يرون القتل مجدا وشيب في الحروب مجرينا (٩٧)

وقال الاعشى الاكبر يمدح هوزة بن علي الحنفي (٩٨) :

قد حملوه فتى السن ما حملت ساداتهم فاطق الحمل واضطلعا (٩٩)

(٨٩) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٤٧٣/٢

(٩٠) ليل التمام : الليالي الطوال .

(٩١) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٢١٥/٢ .

(٩٢) وكأس كعين الديك أي صافية صفاء عين الديك باكرت شربت
في الصباح . حدها : سورتها . بفتيان صدق بفتيان شجعان عرفوا
بالشدة والصلابة والجد .

(٩٣) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ١٢٤/٢

(٩٤) ما ان اقاتها : لا املك ما اقاتت به أي آكله .

(٩٥) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ٣٩٩

(٩٦) رهوة : جبل أو أعلى الجبل . ذات حد : كتيبة ذات سلاح . والمعنى :
نصبنا كتيبة مسلحة أو أقمنا حربا عنيفة ذات حد مثل رهوة ،
وذلك محافظة على أحسابنا .

(٩٧) المجد : الشرف والرفعة .

(٩٨) ديوان الاعشى ص ١٠٩ .

(٩٩) أطلق : احتمل . اضطلع : نهض .

وجربوه فما زادت تجاربهم أبا قدامة الا الحزم والقنعا (١٠٠)

وقال عبيد (١٠١) :

كم من فتى مثل غصن البان في كرم محض الضريبة صلت الخد وضاح (١٠٢)

وهكذا نجد كلمة الفتوة في هذه الفترة خاضعة للبيئات المختلفة التي تداولتها وكانت كل بيئة تلبسها ما تراه مناسبا للمثل العليا التي توسمتها في فتاها المقصود (١٠٣) .

فالفتى في عرف العرب القدامى هو الانسان الذي تتجسد فيه الصفات التي تتطلبها القبيلة على أتم وجه ، فهي شجاعة في القتال تضمن حماية القبيلة ، وكرم يصون اسمها ويرفع ذكرها ، وشهامة تزيد مركزها علوا وشموخا ، ومروءة تجمع الخصال الحميدة الاخرى .

والفتوة في الاصل . كانت تعني الشباب . ثم استعملت للدلالة على القوة . ثم انتقلت الى السخاء والكرم ، ومن هنا اصبت الكلمة خاضعة للبيئات المختلفة ، وان استعمالها يختلف باختلاف نظر الاشخاص اليها ، فالبعض يراها في فصاحة اللسان والحكمة كما جاء في قول زهير :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم
وبالعوض الآخر يراها في التلذذ ببهاج الحياة كما وجدنا ذلك
عند طرفه .

والذي نستطيع ان نقوله هو اننا لا يمكن ان نقول انه كانت هناك جماعة يسمون الفتيان لهم نظام خاص يجمعهم وتقاليد معينة

(١٠٠) الحزم : ضبط الامر . الاخذ فيه بالثقة . القنع محرقة . الخير والكرم والزيادة وحسن الذكر .

(١٠١) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٣٢/٢

(١٠٢) محض : خالص . الضريبة : الطبيعة . صلت : بارز في استواء ، وضاح : أبيض جميل .

(١٠٣) انظر احمد امين : الصعلكة والفتوة في الاسلام ص ١١

تربطهم ، وانما كل ما في الامر ان الكلمة كانت تطلق على افراد في كل قبيلة ، جمعوا مع الشباب صفة بيّنة من الصفات قد تتمثل في الكرم او النجدة او الفصاحة ، وقد تكون في اغاثة الملهوف ومساعدة المحتاج وحماية المستضعفين ، وغير هذه الصفات في الغالب ولكن الظاهر ان التلذذ والمنادمة كانت من أغلب المعاني التي جاءت عليها •

اما الفروسية فهي مظهر من مظاهر الفتوة دعت اليها الحياة التي يحيونها ، والبيئة التي ينزلون فيها ، والنظام القبلي الذي قامت عليه حياتهم •• وهي تتخذ مظاهر متعددة وترسم جوانب واضحة •• ففروسية الصعاليك تتسم بطابع المغامرة والجرأة والشجاعة ، وهي فروسية فرضتها ظروف معينة • وتختلف في بعض مظاهرها عن الفروسية المعروفة في العصر الجاهلي والتي تمثلت في سادات القبائل وابطالها •

اما اخلاق الفرسان فهي الاخلاق التي يتصف بها العرب جميعا وان اختص قسم منهم ببعضها •• فالفارس شجاع وكريم وعزيز النفس يحترم المرأة ويدافع عنها ويجير المستجير ويعمل على رفع الظلم ، وهو حلیم ، سمح الخلق الا اذا ظلم فعندئذ يصبح ثورة عارمة ••

وهو صادق ووفي يكره الغدر ويأبى نقض المواثيق وهو عفيف في الحرب لا يخوضها من اجل الاسلاب والغنائم ••

والفروسية ترتبط ارتباطا قويا بالسيادة الفارس له مكاتته الاولى في القبيلة ، وبالتالي فهي اسلوب الحياة المتمثل في الميل الطبيعي نحو الخير •

تقد تمثلت لنا الفروسية بجانيها الخلقي والحربي في شعر الفرسان الذي طبع بطابعهم المتميز فرسموا لنا اخلاقهم التي عاشوها ومثلهم التي سنوها وقيمهم التي بذلوا دونها المهج والارواح •• فاختلفت بطولاتهم الحربية بمكارم اخلاقهم ••

ومن هنا كانت الحماسة هي المنبع الثر الذي نهلوا منه اغراض

شعرهم •

وبعد فالفتوة في العصر الجاهلي لم تتخذ صفاتها او تتضح معانيها
كما وضحت معالم الفروسية وانما هي مجموعة من الخصال يتفاوت
مفهومها لدى كل جماعة ولكن الغالب عليها هو فتوة السن والشباب
والكرم وتعاطي الملذات • وبهذا فالفتوة يدخلها عنصر اللهو والعبث الى
جانب العناصر الاخرى الحميدة •

اما الفروسية فقد عرفها العرب قديما ، في تقاليدهم ومثلهم وحياتهم
وصوروها في اشعارهم ، التي خلفوها فتركوا لنا ادبا وافرا يحصل النواة
الاصيلة لشعر الفروسية والشجاعة والحروب، الخالي من الخلاعة واللهو
والعبث •

ومن هنا نجد أن صورة الفتى في المجتمع الجاهلي كانت تقارب
صورة الفارس في هذا المجتمع من حيث المثل والقيم التي سعى اليها
والتزم بها كل واحد منهما •

فقد كانت الشجاعة والكرم والنجدة والمروءة عناصر مشتركة بين
الفارس والفتى ، فكانت الفروسية والفتوة تنتمي الى عنصر واحد
من حيث الخلق والشجاعة •

وملاحظة اخيرة يمكن ان تتضح في استعمال هاتين الكلمتين هي
ان الفتى كانت تطلق في غالب الاحيان على فتى السن الذي يتمثل فيه
هذا الخلق كما جاء في معلقة عمرو بن كلثوم (١٠٤) ومعلقة طرفة
ابن العبد (١٠٥) •

اما لفظه الفارس فكانت تطلق على الرجل الشجاع الذي أمضى
عمره الطويل في تحقيق النصر لقبيلته ، فكتب لها الذكر الحميد في سجل
مفاخرها وخاض المعارك الطوال لرفع اسمها ، فكان عنتره مثلا فارس
بني عبس ودريد بن الصمة فارس هوازن •

(١٠٤) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩٩

(١٠٥) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ص ١٨٢

الفصل الثماني

بواعث الفروسية

الطبيعة الصحراوية :

تشمل جزيرة العرب الجنوب الغربي لآسيا ، وتستحق أن تسمى قارة للوحدة الجغرافية الواضحة التي تشكلها ، فمساحتها تزيد على ثلاثة ملايين كيلو متر مربع ، وهي على العموم هضبة واسعة من صخور قديمة ، ويقال انها كانت متصلة بشرقي افريقيا فقامت في العصور الجيولوجية المتأخرة سلسلة من الانهيارات أسفرت عن ظهور واد عظيم غمرته المياه ، فكان البحر الاحمر وخليج عدن . وقد أسفر تفسخ الطبقة الصخرية غربي الجزيرة مناطق حُممية واسعة تصلبت مساحات جرد منها عرفت بالحرات^(١) .

وقد أجمع المؤرخون والباحثون على ان جزيرة العرب كانت تختلف اختلافا كبيرا من حيث وفرة المياه والخصب وكثرة الامطار عما هي عليه الآن ، فقد وجد (فيلبي) محارا من نوع المياه العذبة ، وأدوات من الصوان في الربع الخالي ، ويعتقد أن تاريخ هذه الآثار يعود الى

(١) الحرات : جمع حرة . وهي أرض بركانية ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار .

الازمان التي كانت فيها الجزيرة تتمتع بالخصب^(٢) .

وبلاد العرب كثيرة الجبال الجرد ، المختلفة الالوان ، وتتخلل هذه الجبال الوديان الصالحة لاقامة السكان الذين يعتمدون على ما تنبتة أرضهم وما يجدونه فيها من ماء يشربونه ومرعى يسمون فيه أنعامهم ، ولما كانت مياه هذه الاودية لا تسد حاجة الجزيرة فقد غلب عليها الجذب لأن الكثير من مائها يفيض في جوف الارض .

على ان جذب جزيرة العرب لا يشمل جميع أقسامها ، وانما هناك مناطق خصبة كهضبة نجد العالية التي ترتفع عن سطح البحر زهاء أربعة آلاف قدم ، والاوودية التي تقطع جبال السراة الى تهامة والمنتھية الى البحر^(٣) . والبقاع الخصبة التي تتخلل الحجاز والتي انتشرت حولها القرى فكانت مصيفا للمترفين .

أما مناخ الجزيرة في جملته فحار شديد الحرارة . وتكثر في نجد رياح السموم التي تهب صيفا فتشوي الوجوه ، وألطف رياحها الشرقية وهي التي يسمونها الصبا ، وقد اكثر الشعراء من ذكرها ، والتغني بطيب نشرها ، فحملوها تحيات الاحبة لرقنتها وعدوتها . .

ونظرا لجفاف الصحراء كان مناخها في حرارته وبرودته متطرفا ، والتطرف المناخي بسبب قارئته الشديدة يلعب دورا مهما في تنقل البدو غير الاعتيادي ، فقد تهطل الامطار الغزيرة ، وتحدث الفيضانات ، ثم تعقبها فترة طويلة من الجفاف التام ، وتنبأين درجات الحرارة تباينا عظيما ، وكلما كان هذا التغيير المناخي قاسيا ، عظم تأثيره في حدوث الغارات وعدم الاستقرار .

وهذا المناخ الرهيب هو الذي جعل الصحراء فريدة في حالتها من

(٢) مجلة سومر ١٩٤٩/٢ ، وقد ذكرت أدلة كثيرة اخرى في هذا المقال يمكن الرجوع اليها .

(٣) الهمداني : صفة جزيرة العرب ص ٦٧

الجذب ، لان الافراط المناخي هو الذي يجذب الصحراء ، فالغيث اذا
كثر جرف كل شيء ، والقحط اذا دام أهلك الحرث والنسل ، وكثيرا
ما يكون تساقط الامطار على شكل دفعات غير منتظمة ، او بغزارة في
بعض المواسم مثار وحي الشعراء ، فوصفوا البرق وأبدوا فنتهم به ،
ووصفوا الغيث وتتبعوا مراحلها من بدايتها حتى نهايتها ، وأضفوا عليه
صفة العظمة والقوة ، وتحدثوا عن تراكم السحاب ، وعنف المطر
وقسوته على الرمال وقد وصف امرؤ القيس ذلك ، وشبه حركة
البرق بمصاييح الرهبان ثم وصف نفسه وقد أخذته الحيرة أمام هذه
الظاهرة ، فبدأ بوصف السحاب وهو يسح الماء ، ووصفه ثانية عند
سكونه ثم عاد الى وصفه وهو يسح بغزارة فيتراكم ، فيصبح سيلا
متدفقا يكتسح البيوت ، ثم وصف جبلا غشيه المطر فعمه الخصب
وتفتحت أزهاره (٤) .

لقد كان امرؤ القيس من الشعراء الذين تحدثوا عن الطبيعة
واسنغرقوا معظم شعرهم في أوصافها ، فقد تطرق الى المطر ، فوصف
غزارته ، ودوام هطوله حتى يعم الارض ويغطيها ، فاذا خفت حدة المطر
ظهر الوتد ، واذا عادت وارتته وأخرجت الضب من مكمنه ، فيعموم
باسطا برائنه كما يفعل الانسان لمهارته ، وقد تبلغ شدة المطر درجة
تغمر الاشجار فلا يبدو منها الا القسم العلوي الذي أحاط به الزبد
فلاح كالعمائم (٥) .

وكما تحدث امرؤ القيس تحدث سائر الشعراء ، فوصفوا البرق
والمطر والسحاب والعواصف ، وعنوا بهذه الاوصاف عناية فائقة ،
وصوروا هذه الظواهر تصويرا بارعا . . .

(٤) ديوان امرئ القيس : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٢٤ و ٢٥
و ٢٦ (المعلقة من البيت رقم ٦٧ - ٧٧) .

(٥) ديوان امرئ القيس : ص ١٤٤ - الابيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

لقد كان نزول الغيث مثيرا لشجاعتهم حتى قالوا : انهم اذا اخصبوا هاجت أضغانهم وطلبوا الثأر من أعدائهم ، وتسبوا أن يتصل الغيث حتى يغيروا على الملوك فيسلبوها عروشها ، وكانوا يغيرون في الخصب لا في الجذب ، والى ذلك يشير الحارث بن دوس الايادي مخاطبا المنذر بن ماء السماء^(٦) :

قوم اذا نبت الربيع لهم نبتت عداوتهم مع البقل
على ان هذه المياه التي تحدث عنها الشعراء ، لا تكفي للزراعة
وانما هي مقصورة على انبات الاعشاب والنباتات القليلة في أعقابها ،
لنزولها - كما ذكرنا - بصورة نادرة وبلا نظام ، فهي تكون سيولا
طويلة وغزيرة ، وتكون بحيرات وانهارا في ساعات أو أيام أحيانا ، كما
ان انقطاعها يشكل جدبا مستديما أحيانا اخرى .

ولعل معنى الحرمان ، وندرة المياه ، وجذب الارض هو الذي
جعلهم يبالغون في تقدير الخصب ، ويرون له رونقا خاصا في هذه البيئة
الجرداء ، ومن هنا نجد القصص الطويلة التي دارت حول الآبار والمياه،
وما ورد حول زمزم وحفرها من روايات دليل على ما ذكرناه^(٧) .

وهم بعد هذا لم يكتفوا بتقدير الخصب وحده ، وانما قدسوا
مواطن الماء القديمة ، واعتقدوا فيها أسراراً غامضة ، وأضفوا عليها من
القوى الخفية ما لم يضيفوه على غيرها من الاماكن ، حتى كان اذا غم
عليهم أمر الغائب جاءوا الى بئر قديمة ، بعيدة الغور ونادوا يا فلان ،
أو أبا فلان: ثلاث مرات ، فان كان ميتا لم يسمعوا في اعتقادهم صوتا^(٨) .

قال شاعرهم^(٩) :

-
- (٦) البكري : التنبيه ص ١٩
(٧) ابن هشام . السيرة ١٥٤/١ ومحي الدين العطار : بلوغ الارب في
مآثر العرب ص ١٣٨ ، ١٦٢
(٨) الالوسي : بلوغ الارب في احوال العرب ج ٣ ص ٣
(٩) الالوسي : بلوغ الارب ج ٣ ص ٣ .

دعوت أبا المغوار في الحفر دعوة فما أض صوتي بالذي كنت داعيا (١٠)
أظن أبا المغوار في قعر مظلم تجرّ عليه الذاريات السوافيا
وقال آخر (١١) :

وكم ناديته في قعر ساج بعادي البئار فما اجابا

أما المياه الباطنية فتتوفر في الجزيرة ، وتكون على مسافات قريبة ،
بحيث تنهياً لمن يريد الحصول عليها بالحفر البسيط ، وعند هذه المناطق
التي تتوفر فيها المياه ، تقوم الواحات الاستقرارية الى جانب قبائل البدو
الرحل الذين ينتقلون شتاء الى سهول النفوذ ، ويعودون صيفا الى
واحات نجد لتبادل التجارة وكذلك الغزو وشن الغارات •

ان الظروف الطبيعية تتحكم في الاسس الاجتماعية والاقتصادية
والسياسية لحياة البشر وتتبدى آثار هذه الظروف في أنماط معيشتهم
وتوزعهم على سطح الارض ، وأماكن اقامتهم وطراز مساكنهم ، ونوع
غذائهم وشكل كسائهم فالانسان مدفوع بغريزته الى التحري عن
وسائل المعيشة والبقاء، وهو في تحريه هذا مرتبط جزئيا أو كليا بالظروف
الطبيعية المحيطة به •

والبيئة ذات أثر كبير في تكوين الانسان ، وقوته أو ضعفه ، كما لها
مساس ملحوظ باخلاق الشعوب ، وعاداتهم ، ولون تفكيرهم وطبائعهم
النفسية • والمناخ بدوره أهم عنصر من عناصر البيئة ، بحكم أهميته
البالغة في التأثير في حياة البشر ، والظروف المناخية تحمل في طياتها
الضوء الذي يفسر لنا كثيرا مما غمض من اعمال الانسان ، وهذه
الظروف - في أية بقعة - توجي دائما باتباع طرق معينة لكسب الرزق ،
وممارسة مظاهر خاصة للنشاط الاقتصادي ••

(١٠) أض : رجع ، وقعر مظلم : كناية عن القبر •

(١١) الالوسي : بلوغ الارب ج ٣ ص ٣ •

وما طريقة الحياة التي يحيها شعب من الشعوب الا تفاعل بين العوامل الطبيعية وفعاليات الانسان نفسه ، فالبدوي اذا وجد خيلا جيدة يركبها وسلاحا قويا يحمله ، أصبح الغزو عادة مستحكمة فيه ، وعندما تحل فترات الجفاف وتهزل الحيوانات ، لانعدام العشب ويحس وطأة الجوع تطبق عليه يصبح الغزو وسيلة لا بد منها للحصول على الطعام الذي يرد عنه غائلة الجوع ، ولهذا اصبح الغزو عملا مشروعا يمارسه البدوي دائما ، ويلجأ اليه باستماتة ، كلما لاحت سنوات المحل وبدت مظاهر الجفاف .

وهذا النمط من الحياة يوجب على البدوي ان يكون متمتعا بصفات فطرية معينة تؤهله للقدرة على تحمل المشاق عند الغزو أو رد عاديته أو قدرته على تحمل قابلية القيادة والقدرة على البت السريع في مجابهة الطواريء ، والاستجابة الآنية لمتطلبات الحياة ، والتعاون مع ابناء عشيرته ، وهذه العادات هي التي ساعدت على نمو الصفات الفطرية وجعلتها من متطلبات الحياة البدوية ، لان البدوي يتعرض للفناء السريع ان لم تكن له الصلابة الجسمية الكافية لتحمل هذا النوع من الحياة . فهو يكافح الصحراء حينما يقتحمها في طلب الرزق ، ويكافح الآخرين حينما يهبطون عليه من كل فجج يريدون به وبأهله سوءا ، ويكافح طبيعة الارض الجرداء التي لا تثبت شيئا ولا تغني من الجوع فتىلا ، ولذلك كانت القوة هي الاساس الاول والاخير الذي تقوم عليه حياته .

وكانت حياة العربي في الجاهلية صراعا دائما بينه وبين بيئته القاسية ، لان كل ما فيها يوحى بالقوة وينطق بأن البقاء للأصلح والاقوى ، وكان الطبيعة قد أعدت الجزيرة العربية هذا الاعداد ، لتهد لشعبها العريق السجايا الكريمة التي لم يفسد الزمن طبائعها ، والخلق النبيل الذي أصبح عنوانا للبطولة ، ورمزا للمثل الرفيعة الشامخة .

ان الحياة القاسية التي ارتبطت بها حياة العربي جعلته يتناحر على طلب الكلاء والماء ويتخاصم من أجل الاحتفاظ بهذا المورد الحيوي

فيخرج الى الصحراء باحثا عنهما ، ميمماً شطر وجودها ، يتصارع من أجل الحصول عليها ، فيغير ويغزو ليتسكن من الثبات امام قانسون الحياة ، ويعتتم ما يقيم اوده ، فكانت حياته قتالا دائما او تأهبا للقتال .

وكانت القوة شرطا من شروط وجوده ، وعاملا من العوامل التي تلعب دورها الفعال في مجتمعه ، ولذلك كان الفارس مكرمة من مكارم قومه ، ومفخرة من مفاخرهم التي يعتزون بها ويشيدون ببطولتها ، فهم قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها الى سواهم ، ولا يثقون فيها بغيرهم ، فهم دائما يحملون السلاح ويتلفتون من كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوم الا غرارا (١٢) .

عنى أن عرب الجاهلية لم يخرجوا في حياتهم عن الدائرة التي اختارتها لهم الطبيعة ، فلم تقع أعينهم على شيء سوى الصحراء الواسعة ، وما تبعته في نفوسهم من العظمة والمهابة والغموض الذي تضل في ادراك كنهه العقول . فخلقت من ابنائها رجالا أقوى لان الصحراء تغرس في نفوس ابنائها الشجاعة والقوة ، وتربيها على الكبرياء والترفع ، وتعودها على الحرية والانطلاق ، لتكون قادرة على التحكم في هذه البيئة ، ومسيطرة على عواملها التي لا ترحم ، لان البيئات الصحراوية لا تسمح الا بأنواع خاصة من النشاط الانساني ، ولذلك يحاول الانسان ان يعمل أفضل ما يستطيعه من التكيف بموجب مقتضيات حياة البادية ، وطبيعة الحياة الصحراوية تخلق المساواة بين الافراد ، ولذا فالعربي لا يحتل الضيم وقد حق له ان يفتخر بحريته الشخصية ، وقد شبه من يقبل الضيم بالحمار الذي لا يفقه الظلم ، او الوتد الذي يذل من كثرة الضرب ويشج فلا يرثي له أحد قال المتلمس (١٣) :

ولن يقيم على خسف يسام به الا الاذلان عير الحي والوتد

(١٢) ابن خلدون : المقدمة ص ١٢٥ .

(١٣) لويس شيخو : شعراء النصرانية ١/٣٤٤ .

هذا على الخسف مربوط برمته وذا يُشجُّ فما يرثي له احد (١٤)

يضاف الى ما تقدم حب البدوي لحماية الجار فهو يرى في العدوان على جاره عدوانا عليه ، فيهب للذود عنه مهما يكلفه ذلك من متاعب ، ويسبب له من حروب •

وإذا استقصينا أيام العرب وجدنا ان بعض هذه الايام كانت تقع بسبب الجار ، واذا ضمنا الى جانب حماية الجار ما عرف به العربي من حب لقبيلته، وتعصب لها وحرص على الاخذ بالثار استطعنا أن نتصور حياة البدو وعاداتهم وما كانت تستلزمه من حروب وغارات لا يهدأ لهم بدونها بال ولا يقر قرار (١٥) •

وهكذا تكون العوامل الطبيعية والظروف القاهرة لتلك البيئة هي التي تدفع البدو ان يكونوا وحدات اجتماعية ، يطلق على كل واحدة منها أسم قبيلة، والقبيلة تجمع العوائل، والعمارة تجمع البطون، والبطون تجمع الافخاذ ، والافخاذ تجمع الفصائل (١٦) وتقيم كل من هذه الوحدات كيانا خاصا تعتر به •

على ان هذه التشكيلات لا تفقدها صلتها الوثيقة بالفرع الذي تفرعت عنه • والعرب بحكم نظامهم القبلي السائد ، وطبيعة هذا النظام الاجتماعي الذي كان لا يرحم الضعيف بل يقوده الى الهلاك والاقراض، هذا النظام نفسه كان سببا من أسباب نشوء القوة وضرورتها ، فمدحها العربي ومدح كل ما يؤدي اليها ، وتعنى بالشجاعة والاقدام ، وأثنى على كل من اتصف بهذه الصفات وافتخر بحروبه وغزواته ووقائعه ، ودم الضعيف وكل الصفات التي يتصف بها كالجن والتردد والخنوع والتخلف عن الغزوات والاحجام عن الحرب وعدم الصبر على المكاره •

(١٤) الرمة : القطعة من الجبل البالي ، ويشج : يدق رأسه •

(١٥) عبدالرؤف عون : الفن الحربي في صدر الاسلام ص ٣٥ •

(١٦) ابن رشيق : العمدة ٢/١٨٢

ولعلنا لا نغلو اذا قلنا: انه لم تتوفر لدى أية امة من اسباب التناحر والتقاتل والتطاحن بقدر ما توافرت لدى أمة العرب في جاهليتها ، وخاصة القبائل العدنانية البدوية ، فقد انتشروا في انحاء الجزيرة يطلبون لماشيتهم الكلاً وينتجعون مواقع الغيث ، وكان من عادة القبائل انها تترك الاماكن الخصبة اذا أجذبت ، فهم يقعون مع الغيث كلما وقع في بلد صاروا اليه وغلبوا أهله عليه قال الاخنس التغلبي (١٧) :

ونحن اناس لا حجاز بأرضنا مع الغيث ما نثقي، ومن هو غالب

فهم ينتزعون المرعى الخصب من أهله باسنة الرماح ، ويكفي بعد هذا أن تكون غارة بين قبيلتين أساساً تقوم لها الحرب ، فتبقى آمادا وأجالا ، يشبب أوارها بين آونة وأخرى طلبا لثأرات ، أو انتقاما لمال يغتصب أو امرأة تهان أو جار يعتدى عليه ..

ان النظام القبلي كان الاصل في المجتمع البدوي ، ويعد أفراد العشيرة الواحدة أنفسهم أبناء دم واحد ، يخضعون لرئيس واحد : وهو أسن أعضاء القوم وأبرزهم ومن أكبر بيوتهم ..

والقبيلة : هي دولة الاعرابي ، وموئله ، ووحدته الاجتماعية ، توافرت فيها المسؤولية المشتركة بين أفرادها جميعا ، فكل فرد صورة مصغرة لقبيلته ، وهي مسؤولة عن جرائم الافراد وحياتهم ، وبذلك تكوّن (عقد اجتماعي) يضم أعضاءها ويؤلف منها عصابة واحدة (١٨) .

والعصية للقبيلة هي القومية بالقياس الى العرف البدوي ، وقد تتوسع هذه العصية في الاحلاف فتشمل القبائل والعشائر المتحالفة بالنسب أو بالجوار والداخلة في الحلف (١٩) .

(١٧) الفضل الضبي : المفضليات ٦/٢

(١٨) احمد الشايب : تاريخ النقائص ص ٣٧

(١٩) الحلف : مجتمع قبلي ولكنه لا يستقيم لامد طويل ، فقبائل تدخل وقبائل تخرج وأحلاف تولد وأخرى تموت ككل كائن حي .

وليست هذه العvisية الا ضرورة ، خلقتها الظروف التي تحيي فيها ، والوضع الطبيعي الذي تعيش فيه ، فهذه العvisية تدافع عن نفسها وعن وجودها وتجد لها رزقا في قبيلة أضعف منها ، فالحياة في البادية صراع مستمر ، يفرض على أهله التكتل والتحالف ، لان في ذلك دواما لبقائها ، واستمرارا لوجودها ••

فالخيمة وما فيها من متاع تعتبر ملك الفرد ، واما الماء والمرعى والارض الزراعية فهي ملك مشاع للقبيلة ، والغزو محور نشاط فرسان القبائل ، ومراد معيشتها ، لانه وسيلتها في الحياة ، والثأر واجب مقدس وقد فرض على البدوي ان يكون محاربا لان من واجبه حماية أهله وأمواله وكل ما يعود اليه •

ويعتاد البدوي منذ صغره على مشاهد الحياة المأوى بالاطار ، فيعوده ابوه على ذلك عندما يحين دوره مما يدفعه الى ازدراء كل ما يبعد عن العنف معجبا بالقوة مهما كانت نتائجها^(٢٠) •

ولم يكن غريبا في عالم الادب الجاهلي ظهور شعر الفروسية ولم يكن غريبا على العربي في جاهليته ان يتغنى بالبطولة ، ويترنم بأمجادها ، ويقدم مثلها وقيمتها ، لان الحياة بطبيعتها كانت تفرض عليه هذا النوع من الحياة ، وتضطره الى الانتقال من مكان الى مكان ، لان ضيق أسباب المعيشة وضآلة الموارد ، أوجد في الجزيرة حركة مستمرة نحو الماء والمرعى وكون تسابقا بين القبائل للاستيلاء على هذه الاماكن وأوجد فيها هجوما ودفاعا ، هذا يهاجم لانتزاع الارض من قوم نزلوا فيها قبلا ، وذلك يدافع عنها ، لانه حازها بالسيف • والاكتساب بالسيف حق لا ينازع فيه أما الكلمة فللسيف • فمن كان سيفه أمضى وأقوى كانت له الكلمة ، وكان له الحق وعلى المغلوب وزر ضعفه • فنشأت الغارات ونشأت العداوات وقامت الايام والحروب ، وكانت الصحراء

(٢٠) بلاشير : تاريخ الادب العربي - العصر الجاهلي ص ٣٧ - •

مجالاً فسيحاً ، وميداناً واسعاً ، لاظهار الشجاعة والفروسية ، وكان هوى ذلك يتجسد في نفوس الشعراء قصائد عامرة بالانتصار زاخرة بالفخر والحماسة مشيدة بأعمال البطولة التي تتمثل في القبيلة المنتصرة ، وساخرة من هزيمة الاعداء .

المرأة

لا بد لنا ونحن نتحدث عن المرأة من أن نحدد الهدف الذي نريده من حديثنا ، لان المفهوم المطلق للمرأة مفهوم عام وشامل ، ترتبط به المرأة ، وهي تقوم مقام الام والبنت والاخت والزوجة والحبيبة والشاعرة والمحاربة والمغنية والامة والسبية وغيرها ، وقد جمع الشعر الجاهلي نماذج وصوراً كثيرة لهذه الالوان ، وعرض لها بالدراسة والتفصيل ، وتطرق الى الحديث عنها في كل مجال من مجالاته ، فكانت حقاً ثروة زاخرة ، ومجالاً ثرا لكل دارس يريد البحث فيه .

ولسنا نريد في هذا المجال ان نتطرق الى المرأة بصورة عامة لان ذلك قد يخرج عن مجال بحثنا ، ويتعد عن خطة عملنا ، وانما سنقصر الحديث عن المرأة في المجالات التي كانت فيها باعثاً قويا لالهاب مشاعر الفرسان واذكاء بطولاتهم في ميدان المعركة .

لقد تمثل في المرأة الجمال الحي الذي أكسبته هذه الطبيعة من الصفاء والاصالة ما أضفى عليه طابع الهدوء والاناقة ، فكان لها سحرها الروحي في نفوس الرجال ، وكان لها سلطانها العنيف على مشاعرهم وأحاسيسهم ، فكانت ملهمتهم في روائعهم وباعثة عواطفهم الصافية الرقراقة التي خلدوا لنا فيها أدبا يحمل كل معاني السمو والاباء . . .

والعربي عاش في بيئة غنية بالجمال الاصيل ، مليئة بالمحاسن المطبوعة ، فهو يسرح طرفه في امتداد الصحراء ، فلا يجد الا اتساعاً في الطبيعة ، وصفاء في اللون ، وانطلاقاً في الحياة، والانسان بطبيعته ميال

للجمال ، مدرك لاصالته ، يعجب بكل كائن يملك هذه الصفة ويعبر بما
يملكه من وسائل التعبير عن اعجابه •••

والشعر العاطفي تصوير صادق في أغلب الاحيان للمشاعر
الانسانية ، وينبوع غزير للعواطف التي يحسها المرء في كل عصر وفي كل
زمان ، وحكاية الحب اخذت من حياة العربي وأدبه مكانا رحبا ، فخلقت
لنا هذا الشعر الغنائي في أبسط صورته • يتحدث فيه الشاعر عن نفسه
ويصور عواطفه واهواءه ويرسم رغباته وآماله •

ان اعجاب الرجل بالمرأة لم يقف عند الاحتفاء بجمالها الجسدي ،
بل يتعدى ذلك الى الاحتفاء بجمالها الروحي ، الذي يكون في كثير من
الاحيان أعمق أثرا من الجمال الجسدي الزائل ، فالرجل يشعر بجمال
المرأة ، فيعبر عن هذا الشعور وهو لا يعلن هذا الجمال المملأ ، ليلفت
اليه النظر ، وانما يريد بذلك تأدية ما حمله من أمانة ، ليثبت في نفس
السامع ما يحمله على عذره في حالة هيامه ، ولأنه ينشد الجمال في الحياة
ولن يظفر به كما يشاء الا عن طريق الحب •••

ولقد وجد الشاعر الجاهلي في محبوبته المثل الاعلى الذي يصوره،
فهو يتوجه اليها بأجمل أغانيه ، ويقدم لها كل ما تقوم به من أعمال
حربية مجيدة ، فهو ينادي اسمها في ساعات القتال الحرجة ، وحين يلفظ
انفاسه الاخيرة ، وحتى اذا أراد الشاعر ان يتدح نفسه بالكرم
والشجاعة ، لم يكن يخاطب الا المرأة اعتقادا منه أن المرأة اذا رضيت
عنه ، فكأنما رضي الناس جميعا •• وقد ترددت هذه المعاني في
قصيد الشعراء كثيرا ، ولا سيما الفرسان منهم ، فهذا عنتره يرسم
معاناته في ساعة المعركة لعبلة ، فيقول (٢١) :

يا عبل كم من غمرة باشرتها بالنفس ما كادت لعمرك تجلي
فيها لوامع لو شهدت زهاءها لسلوت بعد تخضب وتكحل

(٢١) ديوان عنتره : تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شليبي ص ١٢١

أما تريني قد نحتت ومن يكن غرضا لأطراف الاسنة ينحل
وهو يطلب أن تسأل عن مواقفه وأفعاله في الوغى فيقول (٢٢) :

فلئن صرمت الجبل يا ابنة مالك وسمعت في مقالاة العُدال
فسلي لكيما تخبري بفعائلي عند الوغى ومواقف الاهوال
والخيل تعثر بالقنا في حاجم تهفو به ويجلن كل مجال (٢٣)
وأنا المجرب في المواقف كلها من آل عيس منصبي وفعالي
وهو يقدم لها كل بطولاته وامجاده قربانا عند محرابها ، فيقول
وهو خارج الى العراق (٢٤) :

أيا عبل ما كنت لولا هـواك قليل الصديق كثير الاعادي
وحقك لا زال ظهر الجواد مقيلي وسيفي ودرعي وسادي (٢٥)
السى أن أدوس بلاد العراق وأفني حواضرها والبوادي
إذا قام سوق لبيع النفوس ونادى وأعلن فيها المنادي
وأقبلت الخيل تحت الغبار بوقع الرماح وضرب الحداد (٢٦)
هنالك اصدم فرسانها فترجع مخذولة كالمعاد
وأرجع والنوق موفورة تسير الهوينى وشيبوب حادي (٢٧)
وتسهر لي أعين الحاسدين وترقد أعين أهل الوداد

ولقد كانت قصائد الغزل ترجمانا للعواطف المزدحمة في قلوب
الشعراء الجاهليين ، فلا يكادون يصيرون معنى ، أو يظفون بموضوع ،

-
- (٢٢) ديوان عنتره : تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ص ١٢٩
(٢٣) الحاجم : المكان الشديد الحر . يريد ميدان الوغى . تهفو : تسرع .
(٢٤) ديوان عنتره : تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ص ٥٣ .
(٢٥) مقيلي : حيث أقيل : أي أنام نصف النهار والمعنى أنه لا يبرح
ظهر جواده .
(٢٦) الحداد : أي السيوف .
(٢٧) موفورة : أي غنية بما عليها من اسلاب . والهوينى : المشي في لين
ورفق وذلك لكثرة ما تحمل ، أو لأنها آمنة لا يزعجها شيء ...

حتى يبنوا بذكر الحبيبة ، ويتغنوا بحاسنها ، ويمتدحوا شمائلها ، لقد فرضوا على أنفسهم ذلك ، فكانت هذه الوجدانيات مطالع قصائدهم ، ومذاهب غنائهم ، ومجتلى الهامهم ، وما زالوا يلزمون أنفسهم كل هذا ، حتى أصبح الابتداء بالنسيب تقليدا شعريا ، وأصبح الحب حافزا من حوافز البطولة ، وباعثا من بواعث الالهام الشعري ، وقوة تدفع الى جلائل الاعمال . . .

ان الحب المقرون بالفروسية والعفاف ، كان المثل الاعلى في الحياة الجاهلية ، لما فيه من الحرص على الاعراض ، ومحافظة على القيم النبيلة . وسعى الى اعلاء شأن المرأة .

قال عنتره (٢٨) :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
 يخبرك من شهد الواقعة انني اغشى الوغى واعف عند المنعم
 وقال المرقش الاكبر مخاطبا حبيته وواصفا لها جده في الحرب (٢٩) :

هلا سألت بنا فوارس وائل فلنحن أسرعها الى أعدائها
 ولنحن أكثرها اذا عد الحصى ولنا فواضلها ومجد لوائها (٣٠)
 وقال عامر بن الطفيل (٣١) :

ان تسألني الخيل عنا في مواقعها يوم المشقّر والابطال في زعج (٣٢)
 يخبرك أني أعيد الكر بينهم اذا القنا حطمت في يوم معتلج (٣٣)

(٢٨) ديوان عنتره : تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي ص ١٤٩-١٥٠

(٢٩) الفضل الضبي : المفضليات ٣/٣٤

(٣٠) الحصى يضرب مثلا لكثرة عدد القبيل .

(٣١) ديوان عامر بن الطفيل ص ٣٧

(٣٢) يوم المشقّر : يعني يوم الصفقة وهو أحد الايام التي أبلى بها الشاعر ، الزعج : الخوف .

(٣٣) يخبرك : جواب ان تسألني . يوم معتلج : يوم فيه ازدحام وأراد به الازدحام في المعركة .

وقال عامر بن الطفيل أيضا مفتخرا بيسالته (٣٤) :

هلا سألت بنا وانت حَقْبَةٌ بالقاع يوم تورعت نهد (٣٥)
أي الفوارس كان أنك في الوغى للمقوم لما لاحها الجهد (٣٦)
لما رأيت رئيسهم فتركته جزر السباع كأنه لهد (٣٧)

وكما تحدث عنترة والمرقش وعامر بن الطفيل ، تحدث غيرهم من الشعراء عن بطولاتهم في الحرب ، وثباتهم في المعارك ، وبلائهم فيها .
تحدثوا بشعرهم ، وهم يعلمون كل العلم ان هذا الحديث سيطرق اذهان المرأة .
وسيدور في مجالسها ، فظهروا في حديثهم اروع المواقف التي خاضوها ، وبنوا أرفع آيات العفة في توزيع الغنائم ، وتطرقوا الى الحديث عن كل ما يشرف الفارس ، ويرفعه الى مصاف الابطال الشجعان .
لان هذا الحديث هو السبيل الوحيد الى قلبها .

ومن هنا كانت المرأة باعنا قويا من بواعث الفروسية ، ومنطلقا واسعا من منطلقاتها الرحبة ، ومجالا فسيحا يظهر فيه الفرسان بطولاتهم النادرة

مكائنها :

اذا استعرضنا منزلة المرأة ، كما صورها الشعر الجاهلي ، وجدناها سامية في غالب الاحيان ، فالشاعر يناجها في السر والعلانية ، ويستشيرها في كثير من أموره ، ويحتكم اليها ، ويكرس قدرا كبيرا من اشعاره لها ، ويتعرض لوصفها ، والحديث عنها في مختلف الادوار التي تؤديها .
وان تفاوت قدر العناية بها ، واختلفت المشاعر التي كان يبديها نحوها ، كما أن وقائع الشعر وصوره ، تثبت بما لا يتطرق اليه الشك ، ان

(٣٤) ديوان عامر ص ٤١

(٣٥) حفية : مشفقة . بارّة . وتورعت : جبت وتأخرت وهابت . نهد : قبيلة من قضاة .

(٣٦) أنك : أشد . لاحها أضمرها وغير لونها .

(٣٧) اللهد : الورم . ولعله أراد انه لما قتله انتفخ فصار كأنه وارم .

العرب خاضوا أطول حروبهم من أجلها •
لقد احتلت المرأة في أدبنا العربي صفحات كثيرة ، لأنها كانت مدار
حياة الرجل ، ومكان شرفه ، وحمى وطنه ، فكانت مكائنها تتناسب مع
الخدمات التي تؤديها ، والواجبات التي تقوم بها ، وسط مجتمع كان
الرجل يقوم فيه بمهمة الحرب والعمل في وقت واحد •

وقد أهلتها هذه الأهمية لأن تكون في مكانة رفيعة ، ومنزلة
عالية ، لأن الدفاع عنها بطولة وشجاعة ، والموت في سبيلها مفخرة
تستحق الثناء والذكر ، والحفاظ عليها مروءة ونبل ، فهي صاحبة رأي
وارادة ، واثقة ورفعة • ففاطمة بنت الخرشب كانت إحدى ثلاث عرفن
بالمنجبات ، وقبلها حبيبة بنت رياح الغنوية أم الاحوص ، وماوية بنت
عبد مائة بن مالك • وكان لفاطمة ثلاثة أبناء يعرفون بالكلمة وهم الربيع
وعمارة وأنس (٣٨) •

وفي يوم أغار حمل بن بدر الفزاري على بني عبس ، وهي القبيلة
التي تنتهي إليها فاطمة فأسرها ، فلما أخذ بخطام البعير ، وابتعد بها عن
الحي وأهله ، صاحت به ، وطلبت منه تركها ، لأن الناس سيقولون في
هذا الحال ما شاءوا • فرد عليها : « اني اذهب بك حتى ترعي ابلي »
فلما أيقنت أنه ذاهب بها رمت بنفسها على رأسها من البعير ، فماتت
خوفا من أن يلحق ببنيتها عار فيها (٣٩) •

ومن الاسماء التي غدت مضرب المثل في الوفاء بين النساء فكيهة ،
ومما يروى من أمرها ان السليك بن السلركة أغار على بني عواد (بطن
من بني مالك) ، فلم يظفر منهم بفائدة ، وأرادوا مساورته • فقال
شيخ منهم : انه اذا عدا لم يتعلق به شيء ، فدعوه حتى يرد الماء ، فاذا
شرب وثقل لم يستطع العدو وظفرتهم به ، فلما علم أنه مأخوذ جاملهم
وقصد لادنى بيوتهم حتى وليج على امرأة منهم يقال لها فكيهة ، فاستجار

(٣٨) أبو الفرج الاصفهاني ١٩/١٦ ساسي •

(٣٩) أبو الفرج الاصفهاني ٢١/١٦ ساسي •

بها ، فمنعته وجعلته تحت درعها واخترطت السيف وقامت دونه ،
فكاثروها فكشفت خمارها عن شعرها وصاحت بأخوتها فجأؤها ودفعوا
عنها حتى نجا من القتل ، فقال السليك في ذلك (٤٠) :

لنعم الجار أخت بني عوارا	لعمر اييك والابناء تنمي
ولم ترفع لاختوها شنارا	من الخطرات لم تفضح اباه
تقى درجت عليه الريح هارا	كأن مجامع الارداف منها
ويتبع المنعسة النوارا	يعاف وصال ذات البذل قلبي
بنصل السيف واستلبوا الخمارا	وما عجزت فكيفة يوم قامت

والحرب التي قامت بين عبس وذيان ، والتي ظلت مستعرة نحو
من اربعين سنة ، لم يفكر في اطفاء نارها الا امرأة • ولم تتمكن من
اطفائها الا بما لها من المكانة وحسن الرأي ، وذلك ان بهيسة بنت أوس ،
لما زوجها ابوها من الحارث بن عوف المري ، وأراد أن يدخل عليها ،
قالت : أتفرغ لنكاح النساء والعرب ، تقتل بعضها • قلت : (والخطاب
لزوجها) : فيكون ماذا ؟ ، قالت : أخرج الى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ،
ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك • فقلت : والله اني لارى همة وعقلا ،
ولقد قالت قولاً • قال : فأخرج بنا • فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا
فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على ان يحتسبوا القتلى ، فيؤخذ الفضل
ممن هو عليه • فحملنا عنهم الديات • فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث
سنين فانصرفنا بأجمل الذكر (٤١) •

وقد اشتهر فريق من نساء الجاهلية بنظم الشعر وحفظه وتقده •
حتى ان أبا نواس وحده كان يروي لستين شاعرة ، وجمع الاب لويس
شيخو مجموعة لشواعر النساء ، صنف فيه لما يزيد على ثلاثين شاعرة
جاهلية ، وكذلك فعل بشير يموت في كتابه شاعرات العرب في الجاهلية

(٤٠) أبو الفرج الاصفهاني : الاغاني ١٣٧/١٨ ساسي •

(٤١) أبو الفرج الاصفهاني : الاغاني ٢٩٦/١٠ دار الكتب •

والاسلام .

وقد حفل الادب الجاهلي باسماء كثير من الامهات اللواتي كان
لهن شأن كبير في الحياة الجاهلية ، ومشاركة طيبة في الادب الجاهلي ،
منهن أم أوس ، وأم تابط شرا ، وأم ثواب الهزانية ، وأم السليك بن
السلكة ، وأم محارب زوجة النابغة الجعدي ، وأم هيثم زوجة عمرو بن
الاهتم ، وغنية بنت الحشرج ، وفاطمة بنت الخرشب وعشرات غيرهن .

ومن مبلغ اهتمام العرب بالمرأة ظاهرة النسب للام . فقد نسب
كثير من الشعراء الى أمهاتهم ، وهذا ما دفع محمد بن حبيب الى تصنيف
رسالة فيمن نسب الى امه من الشعراء ، وقد جمع فيها لما يربو على
المائة والثلاثين من الشعراء (٤٢)

وقد حملت هذه المكانية السامية للمرأة بعض الباحثين من
المستشرقين على القول بأن العرب كانت تتبع في الازمنة القديمة نظام
الامومة . وهو النظام الذي ينسب فيه أهل القبيلة أو الامة الى امهاتهم
بدلا من ابائهم . ومن هؤلاء المستشرقين الذين بحثوا في موضوع
الامومة ونظام العائلة باجيهوت ودارغون واميرا وويلكن وستارك
وسمث وغيرهم (٤٣) .

ولو رجعنا الى أدلة هؤلاء جميعا ، لما وجدنا قولا صريحا او ثابتا
في تأييد رأيهم ، وانما كل ما هنالك اشارات وامور لا تقوم أدلة كافية
ومقنعة على ما اعتمده . فانتساب بعض القبائل او البطون او
العشائر الى امهاتهم وتأنيث اسماء القبائل واشتقاق لفظة الامة من الام ،
واطلاق لفظ الخال على أهل الام ، وتعدد أنواع الزواج ، وامتلاك بعض
النساء عصمتن بالطلاق ، وغير ذلك مما عول عليه أصحاب هذه النظرية

(٤٢) محمد بن حبيب : من نسب الى أمه من الشعراء ضمن مجموعة

نوادير المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون .

(٤٣) جرجي زيدان : انساب العرب القدماء ص ١٨

في أثبات بعض اقوالهم ، لا يجوز اعتباره دليلا على ان أساس الاسرة عندهم المرأة ، وانما على العكس ، يمكن اعتباره من الادلة القويّة على احترام منزلة المرأة ، كما ان وجود هذه الاحوال في جاهلية العرب لا ينافي انتسابهم الى اباؤهم •

أما قضية احوال الزواج فلا يمكن اعتبار ذلك قاعدة ، بل هي تعد من الشواذ ، واذا جاز لنا ان نجعل الشواذ قواعد لفسدت الاحكام •

ومن هنا كانت الادلة التي ساقها ويلكن (٤٤) وسمت وغيرهما في اثبات نظريتهم حول وجود الامومة عند العرب غير كافية ، لان التاريخ يثبت عكس ما جاءوا به • فالمجتمع السامي يعد الرجل رأس العائلة • والزوج هو السيد ، كما ان القرآن الكريم لم يورد في نص من نصوصه فقرة تشير الى الامومة ، أو تدل على وجودها ، أو أثر شيوعها ولو على سبيل النقد ، أو النهي ، أو الاصلاح ، ثم ان القبائل التي نسبت الى الام قليلة جدا ، وهو امر لم يكن غريبا حتى في عصرنا هذا • والشعراء الذين نسبوا الى امهاتهم لم يكونوا من الكثرة اذا قيسوا بغيرهم من الشعراء ، وهناك ردود اخرى ، يمكن الرجوع اليها في كتاب انساب العرب القدماء (٤٥) ونظرية الانساب في الميزان (٤٦) •

وطبيعي ان يدفع اصحاب هذه النظرية الى انكار الانساب العربية كما فعل سميث ، الذي قال : ان الانساب العربية اختلفت منذ زمن عمر (رضي) لكي يستطيع تنظيم العطاء (٤٧) •

-
- (٤٤) ويلكن : الامومة عند العرب ، تعريب بندلي الجوزي •
(٤٥) جرجي زيدان : انساب العرب القدماء ص ٢٢ - ٢٧ ، والدكتور صالح احمد العلي في محاضرات في تاريخ العرب ص ١٣٩ ، ومحمد عبدالمعيد خان : الاساطير العربية قبل الاسلام ص ٦٤ •
(٤٦) عبد الوهاب حمودة : نظرية الانساب في الميزان •
(٤٧) روبرت سميث : القرابة والزواج عند العرب (الفصل الاول) بالانكليزية •

والرد على سب لا يحتاج الى كثير من العناء ، لان الاخبار التاريخية عن حياة النبي (ص) وحروب الردة ، تؤيد وجود هذه القبائل كوحداث مستقلة في معظم انحاء الجزيرة ، وقد وردت اسماء هذه القبائل في الشعر الجاهلي ، وهو يلقي ضوءا هاما على العلاقات بينها . كما ان الرسول عليه الصلاة والسلام ، كان يؤكد على حفظ الانساب ، وما قول عمر بن الخطاب (رضي) ببعيد عنا حين قال : « تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا » (٤٨) .

فهل يصح بعد هذا ان نقول ان العرب لم تكن تربطهم بالنسب رابطة . وهل يصح بعد هذا ان تكون الانساب موضوعة في عصر متأخر أو أن الانساب وضعت لتنظيم العطاء كما يدعي سبث ؟

واذا فرضنا جدلا ان الانساب وضعت في القرن الاول الهجري ، فكيف ترضى القبائل التي أبعدها النسب عن النسب النبوي ، فقل عطاؤها أو ضعفت حقوقها ؟ وكيف لا تحتج على ذلك ؟ ولم لم تظهر مظاهر الاحتجاج في أخبار المؤرخين ؟ ولم سكت الشعوييون عن ذلك ؟

لقد تمتعت المرأة باحترام الرجل في العصر الجاهلي ، فهي لا تزوج الا بعد اخذ موافقتها . وكان لها الحق في رفض من لا تريده من الرجال ، كما حصل بالنسبة للخنساء حين رفضت دريد بن الصمة (٤٩) ، وكما وقع لهند بنت عقبة ، فقد جاءها ابوها يشاورها في رجلين من قومها رغبا في الزواج منها فقالت صفهما لي فوقع اختيارها على واحد منهما فتزوجته (٥٠) .

كما كان للمرأة حق التملك ، فجلييلة بنت المهلهل كان لها ابل يرعاها

-
- (٤٨) ابن خلدون : المجلد الاول من تاريخه ص ١٠٩ .
 (٤٩) القالي : الامالي ٢ / ١٦١ .
 (٥٠) القالي : الامالي ٢ / ١٠٤ .

زيد الخيل (٥١) ، وكانت خديجة بنت خويلد تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم (٥٢) ، كما كانت كذلك اوسط نساء قريش نسبا ، وأعظهن شرفا ، وأكثرهن مالا (٥٣) .

وقد ورد في الاخبار ان قسما من الشعراء كانوا يعتذرون لنسائهم عن اعمال قاموا بها أو ارتكبوها ، كشن الغارات ، أو ركوب المخاطر ، كما وقع لابي الطمحان القيني مع امرأته (٥٤) . وكما وقع لازهر بن هلال التميمي حين انتهى من حربه ، وقص على زوجته امره ، فقال لها وكأنه يطلب منها الصفح أو الاعذار (٥٥) :

أعاتك ما وليت حتى تبددت رجالي وحتى لم اجد متقدما
أعاتك أفناني السلاح ومن يطل مقارعة الابطال يرجع مكلما

وقد تميزت هذه الظاهرة في شعر الصعاليك . ويعد عروة بن الورد خير من يمثل هذه الظاهرة من بين الشعراء الصعاليك ، فهو يقول مخاطبا امرأته عندما نهته عن الخروج في غزوة مع أصحابه لما تخوفت عليه من الهلاك (٥٦) :

أرى أم حسان الغداة ، تلومني تخوفني الاعداء والنفس أخوف
تقول سلمي : لو أقمت لسرنا ولم تدراني للمقام أطوف
لعل الذي خوفتنا من اماننا يصادفه في أهله المتخلف

(٥١) الاصفهاني : الاغاني ١٦ / ٥٠ ساسي .

(٥٢) ابن هشام : السيرة ١ / ٢٠٣ .

(٥٣) ابن هشام : السيرة ١ / ٢٠٥ .

(٥٤) الاصفهاني : الاغاني ١٣ / ٨ دار الكتب .

(٥٥) زكي المحاسني : شعر الحرب في أدب العرب ص ٣٧ . .

(٥٦) ديوان عروة ص ٩١ - بيروت .

ويقول أيضا وكانت امرأته قد نهته عن الغزو (٥٧) :

أقلي علي الموم يا بنت منذر ونامي وان لم تشتهي النوم، فاسهري
ذريني ونفسي ، أم حسان انني بها قبل أن لا أملك البيع مشتري

كما نلاحظ ان قسما من الشعراء قد ارتضى المرأة حكما ، كما
جرى في قصة أم جندب وكيف فاضلت بين امرىء القيس وعلقمة (٥٨) .

لقد كان احترام الرجل للمرأة واضحا ، انعكست صورته في الشعر
والادب والتاريخ . لانها عاشت الى جانبه ، وشاركته عيشه في الدعة
والاضطراب ، وقاسمته الحياة في السراء والضراء ، فاصطفى جسدها
بنيران الحرب والسبي والقتل ، واضطرم قلبها بنيران الحب والهوى .

المرأة في الحرب :

لقد كان للمرأة دور كبير في الحرب ، لانها رمز القوة المعنوية ،
يستلهمها الرجل في ساعات الشدة والضييق ، فيستمد عزما من رؤيتها
الى جانبه ، فتثور فيه الحمية والحماسة والشجاعة . .

وقد رويت لنا مواقع كثيرة رافقت فيها النساء الرجال الى ميادين
القتال حتى اذا رأين دائرة الحرب أوشكت ان تدور على قبيلتهن ،
حسرن البراقع وكشفن الشعور وبرزن الى المعركة ، يستثرن حمية
الرجال ، ويدفعنهم الى الدفاع عنهن وحياتيهن من السبي وهوانه .
قال عمرو بن كلثوم في معلقته (٥٩) :

على آثارنا بيض كسرام نحاذر أن تفارق أو تهونا (٦٠)

(٥٧) ديوان عروة ص ٦٣ - بيروت .

(٥٨) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٥٨ .

(٥٩) التبريزي : شرح القصائد العشر ص ٢٤٧ .

(٦٠) نساؤنا خلفنا نقاتل عنهن ونحذر ان نفارقهن او يصرن الى غيرنا
ويقع عليهن الذل والهوان .

طعائن من بني جشم بن بكر
 أخذن على بعولتهن عهدا
 اذا ما رحنا يمشين الهوينا
 يفتن جيانا ويقلن لستم
 اذا لم نحمهن فلا بقينا
 وما منع الطعائن مثل ضرب
 خلطن بيسم حسبنا ودينا (٦١)
 اذا لاقوا فوارس معلمينا (٦٢)
 كما اضطربت متون الشاريننا (٦٣)
 بعولتنا اذا لم تنعوننا (٦٤)
 لشيء بعدهن ولا حيننا
 ترى منه السواعد كالقلينا (٦٥)

واذا كان ا كبار الشجاعة واحترام مظاهر البطولة يستحقان
 الاعجاب والتقدير من جميع الاشخاص ، فان اعجاب المرأة بهما أشد ،
 وتقديرها لهما أعظم ، لحاجتها الشديدة الى من يعولها ويعني بشأنها
 ويدافع عنها .

وكانت حماية المرأة جزءا من الخطة الحربية عند العرب دائما ، فما
 يروى في ذلك : أن قبائل مذحج عندما خرجت في يوم فيف الريح تريد
 بني عامر كان معها النساء والذراري حتى لا يفروا . اما ظفروا واما
 ماتوا جميعا (٦٦) .

فالعربي يحارب حتى آخر رمق فيه ، ذابا عن نسائه اللاتي كن
 اذا جد الجد ، واشتبكت الرماح، صحن القبيلة ووقمن خلف الصفوف

- (٦١) طعائن : جمع طعينة وهي المرأة في الهودج . الميسم : الحسن . أي
 لهن مع جمالهن حسب ودين .
- (٦٢) البعول : جمع بعل وهو الزوج وأصله في اللغة ما علا وارتفع .
- (٦٣) ابدان : جمع بدن وهو الدرع من الزرد أو الدرع عامة . البيض :
 الحديد والمعنى أنهم يسلبون اعداءهم ويسوقونهم أمامهم أسرى
 مقيدون بالسلاسل .
- (٦٤) يفتن من القوت ، وكانوا لا يرضون للقيام على الخيل الا بأهليهم
 اشفاقا عليها ، ويقلن أنتم لستم لنا أزواجا ان لم تدافعوا عنا .
- (٦٥) القلون : جمع قلة وهي الخشبة التي يلعب بها الصبيان .
- (٦٦) ابو عبيدة : النقائص بين جرير والمفرزدق ١٢٧/٢ تصحيح الصاوي

حتى اذا وجدن دائرة الحرب تدور على قبيلتهن كشفن عن وجوههن ،
لما يداخلهن من الرعب أو تشبها بالآماء ليأمن السبي وليثرن الحمية في
نفوس الرجال فيدفعنهم الى الاستماتة ، قال عمرو بن معد يكرب (٦٧) :

لما رأيت نساءنا يفحصن بالمعزاء شدا (٦٨)

وبدت لميس كأنها بدر السماء اذا تبدى (٦٩)

نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكبش بدا (٧٠)

وفي يوم جدود (٧١) الذي وقع بين بني منقر من تميم ، وبين بكر
من ربيعة نادى الاهثم بن سمي بأعلى صوته : يا آل سعد ، ونادى
الحارث : يا آل وائل * وشد كل واحد منهما على صاحبه ولحقوا بنو
منقر فقاتلوا قتالا شديدا ، ونادت نساء بني ربيعة : يا آل سعد ، فاشتد
قتال بني منقر لما نادت النساء ، فهزمت بكر بن وائل وخلوا ما كان في
أيديهم من السبي والاموال ولم تكن لرجل منهم همة الا أن ينجو
بنفسه وتبعته منقر فمن قتيل وأسير *

فالمرأة كانت تثير الهمم في نفوس الرجال ، وتحرضهم على القتال .
فعندما التقى الرسول (ص) وأصحابه مع جيش المشركين في أحد ودنا
بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن
الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول (٧٢) :

-
- (٦٧) أبو تمام : الحماسة : شرح المرزوقي ١٧٧/١
(٦٨) المعزاء : الارض الحزنة ذات الحجارة ومعناه يؤثرن لشدة العدو في
المعزاء .
(٦٩) وبرزت هذه المرأة كاشفة عن وجهها سافرة .
(٧٠) كبش الكتيبة : رئيسها
(٧١) أبو عبيدة : النقائض بين جرير والفرزدق ٣٤/٢
(٧٢) ابن هشام : السيرة ١٣/٣ .

ويها^(٧٣) بني عبد الدار ويها حماة الادبار^(٧٤) ضرباً بكل بتار^(٧٥)

وتقول :

ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق^(٧٦)

أو تدبروا تفارق فراق غير وامق^(٧٧)

وكانت بعض النسوة يشتركن في الحرب فعلا ، فقد ذكر سعيد بن زيد الانصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أم عمارة ، فقلت لها : يا خالة ، أخبريني خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعني سقاء فيه ماء ، فانتهيت الى رسول الله (ص) وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين^(٧٨) فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله (ص) فقامت أباشر القتال ، واذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح اليّ ، فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت ، ما أصابك بهذا ؟ فقالت : ابن قمنة أقمأه الله^(٧٩) ، لما ولى الناس عن رسول الله (ص) أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا ، فاعترضت له انا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله (ص) ف ضربني هذه الضربة ، فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كانت عليه درعان^(٨٠) . ويذكر الرواة أن لقيطاً كان يصحب ابنته دخنتوس في غزواته^(٨١) . وكانت النساء يحملن القتلى بعد انتهاء المعارك .

(٧٣) ويها : كلمة معناها الاغراء والتحريض .

(٧٤) الذين يحملون اعقاب الناس .

(٧٥) البتار : السيف القاطع الماضي في ضربته .

(٧٦) جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة .

(٧٧) الوامق : المحب .

(٧٨) الدولة : الغلبة .

(٧٩) أذله وأحقره .

(٨٠) ابن هشام : السيرة ٣/٣٠ .

(٨١) الاصفهاني : الاغانى ١١/٣١١ دار الكتب .

وكان الغناء الحربي من شأن النساء لما في تعنيهن من تأثير في نفوس الرجال ، ولم يكن شيء يثير حماسة الرجال ويدفعهم الى الاقدام مثل غناء النساء ، لان في بروزهن الى المعارك وغنائهن ما يثير عاطفة الرجال ، ليزيدوا ثباتا في الحرب ولتدب الشجاعة الى نفوسهم ، فيستقتلوا في الدفاع عن اعراضهم ، ويستمتيتوا في سبيل شرف القبيلة .

فهند بنت النعمان بن المنذر - والتي كانت تلقب بالحرقة - طلبها كسرى من أبيها للزواج فأبى النعمان أن يزوجها ، فجدد كسرى الجنود وفتك بالنعمان . وهربت هند ملتجأة الى بوادي العرب في خفاء ، فأجارتها صفية الشيبانية ، وحارب قومها كسرى وجنوده ، مما اضطر كسرى الى جمع جيش كبير ، ودارت المعركة الفاصلة في التاريخ (يوم ذي قار) فلما اشتد البأس ، رأس القوم عمرو بن ثعلبة الشيباني (أخو صفية) فسفرت هند بين يديه وقالت (٨٢) :

حافظ على الحسب النفيس الارفع بمدججين مع الرماح الشرع
وصوارم هندية مصقولة بسواعد موصولة لم تمنع
وسلاهب من خيلكم معروفة بالسبق عادية بكل سبيدع
واليوم يوم الفصل منك ومنهم فاصبر لكل شديدة لم تدفع
يا عمرو يا عمرو الكفاح لدى الوغى ياليت غاب في اجتماع المجمع
أظهر وفاء يا فتى وعزيمة أتضيع مجدا كان غير مضيع

وكرمة بنت ضلع وهي أم مالك بن زيد فارس بكر كانت تهيج الرجال في الحرب بقولها ، منسدة مع النساء (٨٣) :

نحن بنات طارق نمشي على النارق

(٨٢) لويس شيخو : شعراء النصرانية القسم الاول ص ٢٣ وبشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ٢٣ مع بعض الخلاف .

(٨٣) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ٤٢ .

مشي القطي البارق المسك في المارق
والدر في المخانق ان تقبلوا نعانق
أو تدبروا نمارق فراق غير وامق
عرس المولي طالق والعار فيه لاحق

وهند بنت حذيفة بن بدر الفزاريه تحرض قومها على الاخذ بثأر
أخيها حصن بن حذيفة ، وكان قد قتل يوم وقعة حجر (٨٤) :

تطاول ليلى للمهوم الحواضر وشيب رأسي يوم وقعة حاجر
لعمري وما عمري علي بهين ولا حالف برُّ كآخر فاجر (٨٥)
لقد نال كرز يوم حاجر وقعة كفت قومه أخرى الليالي الغوائر (٨٦)
فله عينا من رأى مثله فتى تناوله بالرمح كرز بن عامر
فيا لبني ذيبان بكوا عميدكم بكل رقيق الحد أبيض باثر
وكل رديني أصم كعوبه ينوء بنصل كالعقيقة زاهر

وأم قرفة زوجة حذيفة بن بدر كانت عزيزة الجانب ، يضرب
بعضها المثل قتل قيس بن زهير ابنها قرفة وحمل ديتة الى ابيه فرضيها،
فلما علمت بذلك قالت ترثيه وتعيّر زوجها بقوله الدية (٨٧) :

حذيفة لا سلمت من الاعادي ولا وقيت شر النساء
أقتل قرفة قيس فترضى بانعام ونوق سارحات
أما تخشى اذا قال الاعادي حذيفة قلبه قلب البنات
فخذ ثأرا باطراف العوالي وبالبيض الحداد المرهفات
والا خلني أبكي نهاري ويلي بالدموع الجاريات

- (٨٤) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ٤٦ .
(٨٥) الحالف البر : الصادق في يمينه .
(٨٦) تريد أن كرزاً قتل سيذا كريما فاكسب ذلك قومه شرفا الى
آخر الدهر .
(٨٧) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ٤٣ .

لعل منيتي تأتي سريعا وترميني سهام الحوادث
فذاك أحب من بعل جبان تكون حياته اردا الحياة

هذه طائفة من شاعرات الجاهلية ، وهناك غيرهن كثيرات من
الشاعرات اللواتي لعبن دورا كبيرا في استثارة الهمم وتحريض الرجال
للدفاع عن الحسى ، وقد زخر الادب العربي بصور كثيرة لبطولاتهن
النادرة في كل مجالات الحياة •

وكثيرا ما استفزت النساء في أغانيهن الرجال بتهمك مر ، ومثل هذا
التهمك يدفع بالعربي الى الاستماتة في القتال ، والاندفاع وراء الثأر غير
مفكر في شيء ، لثلاث تسمت به النساء ، ولهذا السبب كان الرجال
يبدلون أقصى ما يستطيعونه في سبيل المحافظة عليهن من أجل حمايتهن
من السبي • وكان الحفاظ على الطعينة في مجاهل الصحراء ومفازاتها
دليلا من أدلة البطولة والفروسية • وكان الفارس الحقيقي يسير بطعنته
في الصحراء منفردا ، وكان لقب حامي الطعينة من الالقاب التي يفخر
بها الفارس ويعتز ، لانه رمز من رموز القوة والشجاعة •

وقد كثرت أحاديث الطعينة في شعر الشعراء، وضرب المثل بحمايتها •
فمما رواه صاحب الاغاني في أخبار ربيعة بن مكرم قوله (٨٨) :

خرج دريد بن الصمة في فوارس من بني جشم ، حتى اذا كانوا
بواد لبني كنانة يقال له الاخرم ، وهو يريد الغارة على بني كنانة ، رفع
له رجل من ناحية الوادي معه طعينة ، فلما نظر اليه قال لفارس من
أصحابه ، صح به ان خل عن الطعينة وانج بنفسك ، وهو لا يعرفه •
فانهى اليه الرجل ، فصاح به ، وألح عليه ، فلما أتى القى الزمام وقال
للطعينة :

(٨٨) الاصفهاني : الاغاني ١٦/٦٥ دار الكتب ، القالي : الامالي ٢/٢٧١
ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/١٧٠ - ١٧٣ •

سيري على رسلك سير الآمن سير رداح ذات جأش ساكن
ان اثنائي دون قرني شائتي وابلي بلائي واخبري وعائني

ثم حمل على الفارس فقتله ، وأخذ فرسه ، فأعطاه الطعينة فبعث دريد
فارسا آخر ، لينظر ما صنع صاحبه ، فرآه صريعا ، فصاح به ، فتصامم
عنه ، فظن أنه لم يسمعه فغشيه ، فألقى الزمام اليها ، ثم حمل على
الفارس ، فطعنه فصرعه ، وهو يقول :

خلّ سبيل الحرة المنيعة انك لاق دونها ربيعة
في كفه خطية مطيعة أو لا فخذها طعنة سريعة
فالطعن مني في الوغى شريعة

فلما أبطأ على دريد بعث فارسا آخر لينظر ما صنعا • فاتتهى اليهما
فرآهما صريعين ، ونظر اليه يقود طعنيته ، ويجرر رمحه ، فقال له
الفارس : خل عن الطعينة • فقال لها ربيعة : اقصدي قصد البيوت ، ثم
أقبل عليه فقال :

ماذا تريد من شتيم عابس ألم تر الفارس بعد الفارس (٨٩)
أرداهما عامل رمح يابس

ثم طعنه فصرعه ، وانكسر رمحه ، فارتاب دريد وظن انهم قد
أخذوا الطعينة ، وقتلوا الرجل فلحق بهم ، فوجد ربيعة لا رمح معه وقد
دنا من الحي ، ووجد القوم قد قتلوا • فقال دريد : أيها الفارس ، ان
مثلك لا يقتل ، وان الخيل ثائرة باصحابها ، ولا أرى معك رمحا ،
وأراك حديث السن ، فدونك هذا الرمح ، فاني راجع الى اصحابي ،
فمشط عنك ، فأتى دريد أصحابه ، وقال : ان فارس الطعينة قد حماها ،
وقتل فوارسكم ، وانتزع رمحي ، ولا طمع لكم فيه ، فانصرف القوم •
وقال دريد في ذلك :

(٨٩) شتيم : كرية الوجه .

ما أن رأيت ولا سمعت بمثله
أردى فوارس لم يكونوا نهزة
متهلل تبدو أسرة وجهه
يزجى طعينته ويسحب رمحه
وترى الفوارس من فخامة رمحه

فقال ربيعة :

ان كان ينفك اليقين فسائلي
هل هي لأول من اتاها نهزة
اذ قال لي ادنى الفوارس ميتة
فصرفت راحلة الطعينة نحوه
وهتكت بالرمح الطويل أهابه
ومنحت آخر بعده جياشة
ولقد شفعتهما بأخر ثالث
عني الطعينة يوم وادي الاخرم
لولا طعان ربيعة بن مكدم
خل الطعينة طائعا لا تندم
عمدا ليعلم بعض ما لم يعلم
فهوى صريعا لليدين وللقيم
نجلاء فاغرة كشدق الاضجم^(٩٣)
وأبى الفرار لي الغداة تكرمي

ثم لم يلبث بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدم ، أن أغاروا على بني جشم رهط دريد ، فقتلوا واسروا وغنموا ، وأسروا دريد بن الصمة ، فأخفى نسبه ، فبينما هو عندهم مجبوس ، اذ جاء نسوة يتهادين اليه . فصرخت امرأة منهن ، فقالت : هلكتن واهلكتن ، ماذا جر علينا قومنا ؟ هذا والله الذي اعطى ربيعة رمحه يوم الطعينة ثم القت عليه ثوبها وقالت : يا آل فراس ، أنا جارة له منكم ، هذا صاحبنا يوم الوادي . فسألوه من هو ؟ فقال : أنا دريد بن الصمة ، فمن صاحبي ؟ قالوا ربيعة بن مكدم ، قال : فما فعل ؟ قالوا : قتله بنو سليم ، قال :

(٩٠) نهزة : فرصة لمن يريدهم بشر .

(٩١) يمناه من اليمن أي توجه ظافرا ميمونا . (٩٢) البغات : الطيور الضعيفة . والاجدل : الصقر .

(٩٣) جياشة : طعنة تجيش بالدم . والاضجم : صفة من الضجم ، وهو عوج في الفم وميل في الشدق .

فمن الطعينة التي كانت معه ؟ قالت المرأة : ربيعة بنت جندل الطعان ، وأنا هي ، وأنا امرأته • فحبسه القوم وأمروا انفسهم ، وقالوا : لا ينبغي أن تكفر نعمة دريد على صاحبنا • وقال بعضهم والله لا يخرج من أيدينا الا برضا المخارق الذي أسره • وانبعثت المرأة في الليل فقالت :

سنجزي دريدا عن ربيعة نعمة	وكل فتى يجزى بما كان قَدِّما
فان كان خيرا كان خيرا جزاؤه	وان كان شرا كان شرا مذمما
سنجزيه نعمى لم تكن بصغيرة	باعطائه الرمح السيد المقوما
فقد ادركت كفاه فينا جزاءه	وأهل بأن يجزى الذي كان انما
فلا تكفروه حق نعماء فيكم	ولا تركبوا تلك التي تملأ الفما
فلو كان حيا لم يضق بثوابه	ذراعا ، غنيا كان او كان معدما
فكفوا دريدا من اسار مخارق	ولا تجعلوا البؤسى الى الشر سلما

فاصبح القوم فتعاونوا بينهم ، فأطلقوه وكسته ربيعة وجهازه ، ولحق بقومه ولم يزل كافا عن غزو بني فراس حتى هلك •

وكما سمي ربيعة بن مكدم حامي الطعينة سمي حنظلة بن ثعلبة مقطع النوضن^(٩٤) لأنه قطع وضم النساء في يوم ذي قار ليدفع الرجال الى الاستماتة والقتال ، فعندما قام قال : يا معشر بكر • ان الشباب التي مع هؤلاء الاعاجم تفرقكم فعالجوا اللقاء وابدأوا بالشدة • وقال هاني بن مسعود : يا قوم : مهلك معذور خير من منجى مغرور • ان الجزع لا يرد القدر وان الصبر من أسباب الظفر • المنية خير من الدنية • واستقبال الموت خير من استدباره ، فالجد الجد ، فما من الموت بد ، ثم قام حنظلة بن ثعلبة ، فقطع وضم النساء ، فسقطن الى الارض وقال :

(٩٤) الوضينة : الكرسي المنسوج ، والوضين : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر والوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب والحزام للسرّج • والوضين : بطن منسوج بعضه على بعض يشد به الرجل على البعير وقيل الوضين يصلح للرحل والهودج والبطان للقتب خاصة (لسان العرب ج ١٧ ص ٣٤٢) •

ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته ، فسمي مقطع الوضن (٩٥) .

وفي غزوة أحد ، خرجت قريش بحددها وجددها وحديدها وأحايشها
ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظعن (٩٦) ،
التماس الحفيظة (٩٧) ، وأن لا يفروا ، فخرج أبو سفيان بن حرب ، وهو
قائد الناس (معه) بهند ابنة عتبة . وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم
حكيم بنت الحرث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن
المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة (٩٨) .

كما كانت المرأة عاملا قويا من عوامل استمرار الحروب بين
القبائل العربية ، بتحريضها على أخذ الثأر ، فلو لم تتغن البسوس بنت
منقذ خالة جساس حينما اصاب كليب سرايا ناقة جاراها الجرمي ، لما
اندفع جساس الى قتل صهره كليب ، ولما وقعت حرب البسوس (٩٩) .
ولو لم تغير كبشه أخت عمرو بن معد يكرب قومها ، وتثر في نفوسهم
الحمية ، وتهجم لادراك الثأر ، وترك التباطوء والتكاسل ، لما ثار
قومها ، ووقعت بينهم الحرب (١٠٠) .

كما روى الراوون أن ذؤاب بن أسماء العبسي ، قتل عبدالله بن
الصمة - وكان ذؤاب بطلا أيذا قويا - فلبث دريد يترقبه ، حتى
أعياه ، فلما انقضى الحول ، ولم يأخذ بثأر أخيه ، قالت أمه ربحانه
بنت معد يكرب : يا بني . ان كنت عجزت عن طلب الثأر بأخيك ،
فاستعن بخالك وعشيرته من زييد ، فأنف لذلك . وحلف لا يدّهن ولا

(٩٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٩٦) الظعن : جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج واصلها الهودج فلما
كانوا لا يطلقون على الهودج ظعينة حتى تكون فيه النساء ، توسعوا
فاطلقوها على المرأة .

(٩٧) الحفيظة : الانفة والغضب .

(٩٨) ابن هشام : السيرة ٣/٥ - ٦ .

(٩٩) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٢١٤ .

(١٠٠) الاصفهاني : الاغانى ١٤/٢٣ ساسي .

يكتحل ولا يمس طيبا ولا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثأره .
ثم استجمع بعبس وفاجأهم ، وأوقع بهم واقتاد ذؤابا أسيرا وذهب
به الى فناء أمه ، فقتله بسرّب منها ثم قال لها : هل بلغت ما في نفسك ؟
قالت : نعم . متعت بك (١٠١) .

لقد كانت المرأة مبعث الهمم ، فكانت الكلمة تخرج من فيها هادئة
وادة فيكون لها أبعاد الآثار في اثاره النفوس .

أما مشاركتها في غناء الحرب ، فقد كانت مشاركة فعالة ، فكن
يذهبن مع الرجال - كما مر - الى ساح المعارك فيثرن في قلوب الرجال
الحماسة والاقدام ويحضضنهم على لقاء الاعداء والصبر على ذلك ويبشن
فيهم روح المقاومة والاستماتة ، وأي رجل يرى ذات خدر تخوض
غمرات الحرب ، وتقاتل قتال الابطال ، ولا تثار نخوته، وتضطرم الحمية
في نفسه، فيندفع في حومة الوغى ساخراً بالموت، ولا يأبه لصلصلة البيض،
ولا يجزع من رنين القسي ، ولا يخشى التماع الأسنّة ؟

وقد ازدهرت صفحات الادب الجاهلي ببطولة بعض النساء
اللواتي خلدن أمجادهن ، ورسمن أروع المآثر الخالدة ، وبذلك حفل
التاريخ العربي بسواطن سامية لها وآيات رقيقة لمناقبها ، التي تستحق
كل تقدير واجلال .

فهذه صفية بنت ثعلبة الشيبانية تخاطب قومها وتستشير في نفوسهم
الهمم ليكونوا أكثر ثباتا في المعركة ضد كسرى وجيوشه عندما غزوههم
فتقول : (١٠٢) :

ماذا ترون بني بكر فقد نزلت كبرُ الذوائب والاخري على الاثر
أتصبرون لشعواء مملمةٍ فيها الاعاجم بالنشاب والوتر

(١٠١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٧١٣/٥ .

(١٠٢) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ١٦ .

أم لستم أهل صبر في لوازمها عند الحفاظ والجارات والخفر
 أنى أجرت بكم يا قوم فاصطبروا فالصبر يحلل فوق الانجم الزهر
 ايها أجيوا بني بكر حبيجتكم ما عندكم ويحكم من غاية الخبر (١٠٣)
 يا أيها الشم أنتم حافظو ذمي واتم فلعمري العز من عمري
 أما صبرتم فلا ادعو لغيركم وان جزعتم اناذي كل ذي حضر
 بكل سام الى الهيجاء ذي شرف واري الزناد كريم الجد من مضر
 ذي مرة لا يخاف الجند ان كثروا في سادة قادة معروفة صبر

فاجابها قومها الى طلبها ، وقاموا على الاستعداد للقاء جند
 كسرى ، فلما قدموا ، أقبلت صنية على قومها تحرضهم وتشجعهم ،
 فرقة فرقة ، وقييلة قييلة ، فخاطبت بني حنيفة بقولها (١٠٤) :

ايها أجيوا الضرب يا حنيفة فانتم الجمجمة الشريفة
 ان الجنود حولكم كثيفة فلا تهلكم وتزدكم خيفة

ثم أقبلت على بني لجميم فقالت (١٠٥) :

لجميم قومي وبنو أيننا ليسوا لدى الهيجامغكينا
 بل ظافرون وحماة فينا العز فيهم حين يلجمونا
 ويسرحون ثم يحملونا ايها بني الاعمام فانصرونا

ثم اقبلت الى بني عجل وفيهم أبوها وأخوها وهي تردد شعرا تثير
 فيه حسيتهم (١٠٦) ، ثم مرت على بني ذهل وبني شيبان فسارت وهم
 من خافها وهي تقول شعرا (١٠٧) .

فحمل العرب على جنود كسرى (الذي كان يقود جنوده في تلك

(١٠٣) حبيجتكم : لقب الشاعرة صنية بنت ثعلبة .

(١٠٤) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ١٦

(١٠٥) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ١٦

(١٠٦) نفس المصدر ص ١٧

(١٠٧) نفس المصدر ص ١٧

الوقعة) • وتكاثر جنود العجم على العرب ، حتى كادوا ينهزمون •
فقامت صفيّة تقطع الجبال ، فسقطت النساء عن الجمال ، ورأى رجالهن
ذلك فعضفوا على القتال عطفة من لا يرجو الحياة ، وصاحت صفيّة
بأعلى صوتها تنادي أباها (١٠٨) :

يا عمرو يا عمرو الفتى بن ثعلبه حامٍ على جارتك المُستقربة

وهكذا انتهت معركة ذي قار بانتصار العرب ، فكانت معركة
فاصلة في حياتهم ، بذل الرجال فيها ما يستطيعون من قوة ، وبذلت
النساء ما يملكن من شجاعة وبطولة ••

الحرب :

الحرب ظاهرة بشرية صحبت الانسان منذ فجر التاريخ ، وان
تباينت الصور التي جاء فيها القتال ، ولا بد ان يكون الامر قد بدأ
قتالا بين أفراد ، للتنازع على ملكية شيء ما ، مهما كانت قيمة هذا
الشيء ، وان هذا القتال قد بدأ تماسكا بالأيدي ، او تقاذفا بالأحجار ،
أو تضاربا بالعصي • ولكن الفكرة لا تخرج عن نطاق القوة الجسدية
التي كانت عاملا له قيمته في تلك البيئة •

فالحياة البدوية ، بطبيعتها الصحراوية ، وظروفها الحيوية •
كانت منطلقا واسعا ، وميدانا فسيحا لقيام الحرب • وهي في الوقت
نفسه وهبت العربي حب الانطلاق ، فعاشت الحرية في دمه فقدسها •
وجعلها مثلا عاليا من مثله • وتقليدا محترما من تقاليد ، فهو يَأبى
العبودية ، ولا يرضى بها من أية جهة كانت ، ويتمرد على الهوان ولا
يخضع للمذلة ويفضل الموت ، وهو يقتل تحت صليل السيوف ، من
أن يعيش عبدا ذليلا في ظل نعيم وافر :

(١٠٨) بشير يموت : شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ص ١٨ •

تقود ونأبى أن تقاد ولا نرى لقوم علينا في مكارمهم فضلا (١٠٩)
والحرب • أكبر ميدان لتدريب الفرسان ، فيها يتقوم الضعيف ،
ويشدد ساعده ، ويقوى عوده ليكون اهلا للنزال اذا التحمت المعارك ،
واشتدت المنازعات ، وليذود عن حماه ، ويدافع عن الحقيقة ، ويصون
العرض ، ويرفع اسم القبيلة عاليا في مجالات المجد والرفعة والسؤدد ،
قال الطفيل الغنوي (١١٠) :

وفينا ترى الطثولى وكل سميع مئرب حرب وابن كل مئرب (١١١)
طويل نجاد السيف لم يرض خُطّة

من الخسف وراذ الى الموت صقعب (١١٢)
وفينا رباط الخيل كل مطهم رجيل كسرحان الغضا المتأوب
فهذه الطبيعة وهذا المزاج ، كانا يؤديان الى اصطدام مع القبائل
الآخري التي كانت تؤمن ايماناً كلياً باخضاع القبائل لمشيئتها ، فبعض
القبائل كانت تسعى وراء المجد الرفيع ، والسلطان الشامل على حساب
القبائل الآخري ، وهذا بطبيعته كان يدفع القبائل الى التناحر والتصادم
محافظة على وحدتها وسمعتها ، ويدفع بكثير من القبائل القليلة العدد
والتي تستشعر بتهديد الحرب لها على تكوين الاحلاف (١١٣) دفاعاً عن
المصالح المشتركة ، وتقوية لنفوذها • وكانت معظم القبائل داخلية
في هذه الاحلاف ، الا عدداً قليلاً منها لا تدخل مع غيرها ، وتسمى

(١٠٩) شعر الافوه الاودي ص ٢٢ الطرائف الادبية .

(١١٠) شعر الطفيل الغنوي ص ٤ - ٥ كرنكو .

(١١١) السميع : السيد الموطأ الاكثاف او السيد الذي يلاذ به ويضاف
في كنفه .

(١١٢) الصقعب : الطويل .

(١١٣) الاصل في الحلف ان يكون بين قبائل او عشائر ، كانت مرتبطة
فيما بينها برباط ، تتفاوت وثاقته . والظاهر انهم كانوا يرمون
من اقامة هذا الحلف الى توحيد الجماعات التي كانت مفرقة الكلمة
وقد كان لقسم من هذه الاحلاف اهمية كبيرة ، لانها عقدت للاخذ
بناصر المظلومين ، كما هو الحال بالنسبة لحلف الفضول .

هذه القبائل « جمرات العرب » • منها بنو عامر بن صعصعة ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة ، وبنو عبس ، فاذا تحالفت اطفئت • فقد جاء في كتاب التاج قول أبي عبيدة : « اطفئت جمرتان من جمرات العرب ، بنو ضبة لانها صارت الى الرباب فحالفتها • وبنو الحارث ، لانها صارت الى مذحج فحالفتها • وبقيت بنو نيزر الى الساعة ولم يدخل بينها أحد (١١٤) •

وتتميز هذه القبائل عن غيرها بقوتها ، وكثرة عددها • فكانت تتفاخر بنفسها لانها لا تعتمد على حليف يدافع عنها ، بل كانت تأخذ حقها بيدها • وتنال ثأرها بسلاحها ، كما ان بعض القبائل كانت تشرك مواليها في الحرب اذا وجدت حاجة لذلك ، الى جانب الصرخاء ، كما فعلت مذحج في يوم الكلاب ، والى ذلك يشير ربعة بن مقروم فيقول : (١١٥) :

وساقت لنا مذحج بالكلاب مواليها كلها والصميما (١١٦)
فدارت رحانا بفرسانهم فعادوا، كأن لهم يكونوا، رميما
بطعن يجيش له عاند وضرب يفلق هاما جثوما

ومما تقدم ، نستطيع أن نقول ان العرب كانوا يخوضون الحرب من أجل مظاهر الخصب كلها ، الى جانب أسباب أخرى ، منها اجارة المستجير التي كانت تكفي للمحاربة في سبيل ايوائه ، أو حماية الجار ، أو الدفاع عن العرض ، والاخذ بالثأر ، والوصول الى الرئاسة والزعامة • ومع ذلك فان اباة النفوس عندهم ، مع ما هم عليه من الشجاعة والبأس ، وما هم عليه من المجاورة والاتصالات ، كانت

- (١١٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٣/٣٦٧ ، ابن رشيق : العمدة ٢/١٨٨
(١١٥) الفضل الضبي : المفضليات ١/١٨٢ . وكما فعلت قريش في فتح مكة ، حيث استعانت بالاحباش لمعاونتها .
(١١٦) الموالي هنا : الحلفاء ، الصميم ، الصريح . الخالص في نسبه وأراد بالكلاب ، الواقعة بين مذحج وتميم •

تقتضي المنافسة لامور كثيرة . فكم لظمة جرت حربا كما حصلت حرب
داحس والغبراء التي تحدثنا عنها في « أيام العرب » ، وكلمة رمك
المئات كما هو الحال بالنسبة لحرب البسوس^(١١٧) وحروب الاوس
والخزرج الطويلة التي كانت بسبب كلمة قالها رجل يقال له سُمير
فجرت ذلك الويل الطويل^(١١٨) . ونظرة يمت الوفاً من الاطفال^(١١٩)
وضربة فرشت البر جماجم^(١٢٠) .

(١١٧) ومن حديثها انه عندما اعتزلت قبائل بكر بن وائل وكرهوا مجامعة
بني شيبان ومساعدتهم على قتال اخوتهم ، واعظموا قتل جساس
كليبا رئيسهم بناب من الابل ، انقبض الحارث بن عباد في اهل
بيته ، واعتزل الحرب حتى قتل ابنه بجير بن الحارث ، ويقال
انه كان ابن اخيه . . . فلما بلغ الحارث قتله ، قال : نعم القتل
قتيل اصلح بين بني وائل ، وظن ان المهلهل قد أدرك به ثأر كليب
وجعله كفناً له فقيل له : انما قتله بشسع نعل كليب . وذلك ان
المهلهل لما قتل بجيرا قال : بؤ بشسع نعل كليب . ففضب الحارث
ابن عباد ، وكان له فرس يقال لها النعام . فركبها وتولى امر بكر
فقاتل تغلب حتى هرب المهلهل وتفرقت قبائل تغلب .
(ابن عبد ربه العقد الفريد ٢٢٠/٥)

(١١٩) كما وقع في يوم الفجار الثاني . وكان الذي هاجه ان فتية من
قريش قعدوا الى امرأة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ ،
وقالوا بل أطاف بها شباب من بني كنانة وعليها برقع وهي في
درع فضل فأعجبهم ما رأوا من هيئتها ، فسألوها ان تسفر عن
وجهها ، فأبت عليهم . فأتى أحدهم من خلفها ، فشد دبر درعها
بشوكة الى ظهرها وهي لا تدري ، فلما قامت تقلص الدرع عن
دبرها ، فضحكوا فنادت المرأة يا عامر ، فتحاور الناس ، وكان
بينهم قتال ودماء يسيره ، فحملها حرب بن أمية واصلح بينهم .
(ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٥٢/٥)

(١٢٠) كما وقع في الفجار الاول عندما كان بدر بن معسر الكناني يمد
رجله في سوق عكاظ ويقول : أنا أعز العرب ، فمن كان أعز منها
فليضربها بالسيف ، فضربها الاحمر بن هوازن فكان بين القبيلتين
التشاجر .

(ابن رشيقي : العمدة ٢٠٧/٢)

ومهما تكن اساليب الحروب التي وقعت في الجاهلية • فان قسما منها كانت بدافع الحصول على الكلا والمرعى ، كما حصل بالنسبة ليوم سفوان ، عندما التقوا بنو مازن وبنو شيبان على ماء يقال له سفوان ، فزعت كل واحدة منهما انه لها (١٢١) •

وكما وقع في يوم هرا ميت بين الضباب وجعفر بسبب بئر اراد أحد أن يحتفرها (١٢٢) ، وكما وقع في غيرهما من الايام ••

وكان القسم الآخر منها بدافع الاستيلاء على اكبر قدر من الغنائم والاسرى • فقد روي أن أبا براء عامر بن مالك (ملاعب الاسنة) ، كان يلح على ضرار ، طمعا في فدائه أثناء حرب يوم السلان ، التي وقعت بين بني عامر بن صعصعة وبين قوم النعمان بن المنذر ، وجعل بنوه يحمونه ، فلما رأى ذلك أبو براء قال له : لتموتن أو لاموتن دونك ، فأحلني على رجل له فداء ، فأومأ ضرار الى حبيش بن دلف - وكان سيدا - فحمل عليه أبو براء فأسره ، وكان حبيش أسود مخيفا دميما ، فلما رآه كذلك ظنه عبدا ، وان ضرارا خدعه ، فقال أنا لله الا في الشؤم وقعت ، فلما سمعها حبيش منه خاف أن يقتله ، فقال ايها الرجل ان كنت تريد اللبن ، فقد أصبته • وأفتدى نفسه بأربعمائة بعير (١٢٣) •

ومن وصية أكثم بن صيفي عندما بلغ قومه أن مذحجا وأحلافهم عازمون على غزوهم قال : « البسوا جلود النمر ، والثبات أفضل من القوة ، اهنا الظفر كثرة الاسرى ، وخير الغنيمة المال » (١٢٤) •

ان نفس العربي وما فطرت عليه من شجاعة وابهاء وشمم وفروسية

(١٢١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢٠١/٥

(١٢٢) ابن رشيقي : العمدة ٢٠٤/٢

(١٢٣) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢٦١/١

(١٢٤) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢٦١/١

كانت تجعل الحرب قريبة منه ، مألوفة لديه ، بل محبوبة عنده في كثير من الاحيان ، لانه يعدها مجالا لبطولته ، وامتحانا لمواهبه ، فالمجتمع الجاهلي كان يؤمن بالقوة ايمانا جعلها من مقومات الحياة ، وعنصرا أساسيا من عناصر البقاء ، كما جعل الغزو السبيل الوحيد لاستمرار هذا البقاء ، فالحروب كانت ضرورة للحصول على العيش ، وتحقيق الكرامة والحرية ، ثم صارت غاية يفتخر بها . فكانت بالنسبة لهم المشغلة الاساسية ، وكانوا يعدون ابناءهم لها اعدادا ، لانها مسرح الرجولة والبأس ، ووسيلة الظفر بالثناء ، والعمل المثير لاعجاب المرأة بهم .

وكان الفارس يدرك ثقل المهمة الملقاة على عاتقه ، والعاطفة المتأججة في نفسه ، لتركه الابناء ، وابتعاده عنهم ، ولكنه لم يستطع كبح جماح نزوته في الانتصار والغلبة والحصول على الابل والغنائم التي لا يسقيها الساقى الا بعد شق النفس والجهد الجهيد لكثرتها ، قال سلامة ابن جندل (١٢٥) :

تقول ابنتي ان انطلاقتك واحدا الى الروع يوما تاركا لا اباليا
 دعينا من الاشفاق أو قَدَمي لنا من الحدثان والمنية واقيا
 ستتلف نفسي أو سأجمع هجمة ترى ساقبيها يألمان التراقيا

لقد حفل الشعر الجاهلي بصور رائعة لغارات الفرسان ، وخوارق بطولاتهم ، ومثل تضحياتهم ، وصواب آرائهم في الحرب ، وطرائق هجماتهم وفنون القتال ، كما ان الشاعر الجاهلي استطاع أن يقدم لنا موضوعات كاملة في البطولة ، يتحرك فيها الافراد ، وتلتحم الاسنة ، وتطارد الخيل الخصم ، وتلتحم الفرق المتناحرة بطريق الكر والفر ، كما صور لنا الاسرى والسبايا والغنائم بأساليب شعرية رائعة ملأت حيزا واسعا من قصائده ، واصبحت الطابع المميز للشعر في هذه الفترة .

(١٢٥) ديوان سلامة بن جندل ص ٢١

قال زيد الخيل يصف نفسه وقد علا غبار المعركة وجهه فشمس عن ساقه استعدادا لها (١٢٦) :

رأيتني كأشلاء اللجام ولن تری
أخا الحرب انعضت به الحرب عضها
وأخا الحرب الا ساهم الوجه اغيرا
وان شممت عن ساقها الحرب شمرا

وقال قيس بن الخطيم في حرب حاطب (١٢٧) :

دعوت بني عوف لحقن دماءهم
وكنت امرءا لا ابعث الحرب ظالما
فلما أبوا سامحت في حرب حاطب
فلما أبوا اشعلتها كل جانب
أربت بدفع الحرب حتى رأيتها
على الدفع لا تزداد غير تقارب
فاذ لم يكن عن غاية الموت مدفع
فأهلا بها اذ لم تزل في المراحب

والمفضل النكري من أصحاب المنصفات (١٢٨) يبدي اعجابه بأعدائه،
وينصفهم انصافا ظاهرا ، فالقتل قد وقع بين القبيلتين ، والسباع قد
شبتت من عشيرته وعشيرتهم ، وبكت نساؤه ونساؤهم ، فثبتوا في
الحرب ، وصبروا على مصائبها ، واحتملوا عواقبها . وفي ذلك أسمی
آيات الفروسية وأروع أمثلة الخلق النبيل (١٢٩) :

(١٢٦) البحري : الحماسة ص ٣٧ وتنسب في حماسة ابن الشجري الى
حاتم الطائي ص ١٥ .

(١٢٧) ديوان قيس بن الخطيم ص ٣٢ تحقيق الدكتور احمد مطلوب
وابراهيم السامرائي ، وحاطب حليف للاؤس قتل فكانت بينهم
وبين قاتليه حزب في قتله .

(١٢٨) هي القصائد التي انصف قائلوها فيها اعداءهم ، وصدقوا عنهم
وعن انفسهم ، فيما اضطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوا من
احوالهم دون مبالغة او مفالاة ، فذكروا بطولاتهم الى جانب بطولة
خصومهم ، انصافا لهؤلاء الابطال ، وتأيدا لهم في ثباتهم امامهم .
والمنصفات كما ذكرها صاحب الاشباه والنظائر . ثلاثة ص ١٤٩ ،
وهي دليل من أدلة شعر الفروسية .

(١٢٩) الاصمعيات ص ٢٣٢ ، وذكرت آيات منها في الاشباه والنظائر
ص ١٤٩ .

هم صبروا وصبرهم تليد
 وهم دفعوا المنية فاستقلت
 تلاقينا بغية ذي طريف
 فجأؤوا عارضا برّدا وجئنا
 مشينا شطرهم ومشوا إلينا
 وكم من سيد منا ومنهم
 فأشبعنا السباع وأشبعوها
 فأبكينا نساءهم وأبكوا
 على العزاء اذ بلغ المضيق (١٣٠)
 دراكا بعدما كادت تحيق
 وبعضهم على بعض حنيق (١٣١)
 كسيل العرض ضاق به الطريق (١٣٢)
 وقلنا اليوم ما تقضى الحقوق
 بذى الطرفاء منطقه شهيق
 فراحت كلها تنق " يفوق (١٣٣)
 نساء ما يسوغ لهن ريق

وقال المزرد بن ضرار العطفاني يفخر بشجاعته ويصف سلاحه (١٣٤):

وقد علمت فتیان ذیان أني أنا الفارس الحامي الذمار المقاتل
 واني أردالكبش والكبش جامح وأرجع رمحي وهو ريان ناهل (١٣٥)
 وعندني اذا الحرب العوان تلقحت
 وأبدت هودايتها الخطوب الزلازل (١٣٦)

وقال ربيعة بن مقروم يفخر بقومه ويصف شدة بأسهم في
 الحروب (١٣٧):

- (١٣٠) العزاء: الشدة .
 (١٣١) الغيبة: الهبطة من الارض ، وطريف موضع بالبحرين كان لهم
 فيه وقعة .
 (١٣٢) عارضا ، أي كالعارض ، وهو السحاب يعترض في افق السماء ،
 العرض بكسر العين: الوادي .
 (١٣٣) التثق . الممتليء . فاق ، يفوق ، فوّقا . أخذه البهر .
 (١٣٤) ديوان المزرد ص ٣٥ .
 (١٣٥) كبش القوم: بطلهم وسيدهم . الناهل: الريان . وهو من
 الاضداد يقال أيضا للعطشان .
 (١٣٦) العوان: التي قوتل فيها مرة بعد مرة . تلقحت: أي حملت
 بالقتال . هودايتها: أوائلها .
 (١٣٧) المفضليات ج ١ ص ١٨١ .

بنو الحرب يوما اذا استلأموا حسبتهم في الحديد القروما (١٣٨)
تركنا عمارة بين الرماح عمارة عبس نزيفا كليما (١٣٩)
ولولا فوارسنا ما دعت بذات السليم تميم تميما (١٤٠)
وقد وصفوا شدتها أنها اذا باشرها الشيخ المجرب البصير غص
بريقه ، قال بشير بن عمرو بن مرثد (١٤١) :

قل لابن كلثوم الساعي بدمته أبشر بحرب تغص الشيخ بالريق
وصاحبيه فلا ينعم صباحهما اذفرت الحرب عن انايها الروق

نستطيع أن نستنتج مما مر أن العرب شغلوا بالحرب كثيرا ،
وانهم تحدثوا عنها بأشعارهم ، حتى أصبح الحديث عنها موضوعا
أساسيا من موضوعات شعرهم .

اساليب القتال :

لم تكن اساليب القتال في العصر الجاهلي اساليب موحدة ، أو
ذات انظمة معينة ، وانما تتحدد طريقة القتال بحسب طبيعة المقاتلين .
فالقبايل البدوية لها طريقة معينة ، تعتمد على الغارة في اغلب الاحيان ،
اما الدول العربية التي تمدنت قبل الاسلام كالحميريين والسبأيين
والمناذرة والغساسنة ، فكانت لها كتائب من الجند على نحو ما نعرف
عن الدوسر والشهباء (١٤٢) .

وكانت طريقة قتالها تعتمد على التنظيمات ، فكل مجموعة عليها

-
- (١٣٨) استلأموا : لبسوا الأمة وهي السلاح . القروم : فحول الابل .
(١٣٩) عمارة هو ابن زياد العبسي وهو أحد الكملة الثلاثة عمارة والربيع
وأنس وأمهم فاطمة بنت الخرشب الانمارية التي مر ذكرها .
(١٤٠) ذات السليم : موضع كان به يوم من ايامهم .
(١٤١) المفضل الضبي : المفضليات ٧٤/٢ .
(١٤٢) جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ١٦٩/١ .

قائد تخضع له ، يليه ضابطان يقود كل واحد منهما مجموعة اقل، وهكذا تتدرج القيادة حتى تصل الى طبقة الفرسان التي تقود اقل مجموعة من الجند (١٤٣) .

على اننا لا نريد ان نبحث الموضوع من خلال هذه التنظيمات ، لان ذلك يخرج بنا عن المجال الذي يدور فيه بحثنا وهو المجتمع الجاهلي في داخل الجزيرة العربية . ولذلك سنقتصر في البحث على طريقة القبائل في القتال والتي تعتمد على الكر والفر ، وهي الطريقة التي قامت على اساسها اكثر ايام العرب .

ولقد تحدث الشعراء عن معاركهم ، وعن اساليب القتال التي كانوا يسلكونها عند التقائهم بالعدو ، الا ان بداية المعركة كان يتحدد بالنسبة للظروف التي تسودها ، فاذا اخذ القوم على حين غرة ، حدث بينهم الفوضى وسادهم الاضطراب وخرجت النساء يتسلكن الرعب والهلع . وقد صور لنا عوف بن عطية حالة قوم غزاهم في فتيان من عشيرته، فوصف ما اصاب نساءهم من ذهول واضطراب فقال (١٤٤):

ولنعم فتيان الصباح لقيتم واذا النساء حواسر كالعنقثر
من بين واضعة الخمار واختها تسعى ومنطقها مكان المنزر
ونكر اولاهم على اخراهم كر المحللا عن خلائط المصدر

وقد تلتقي القبائل احيانا ، ويبدأ القتال بطريقة المبارزة ، وذلك بأن يخرج من احد الفريقين فارس مشهور يطلب ان يخرج لمبارزته فارس آخر في مثل مركزه (١٤٥) ، وقد يطلب احد الفريقين الصراع أو

-
- (١٤٣) جرجي زيهان: تاريخ التمدن الاسلامي ١/١٦٨ .
(١٤٤) الفضل الضبي: المفضليات ٢/١٢٧ . العنقر: اصل البقل والقصب والبردى ما دام ابيض . المحللا: البعير يمنع من ورود الماء . المصدر ههنا: صدور الابل عن الماء . وخالطها يريد مخالطتها ، يعني تطردهم كطرد الابل عن الماء .
(١٤٥) الواقدي: مغازي رسول الله ص ٤٩ .

الطعان أو المسايقة (١٤٦) .

وقد تحدث المبارزة بعد بدء القتال (١٤٧) ، فاذا انتهى النزال تراشقوا بالنبال (١٤٨) ، حتى اذا تقاربوا من بعضهم سلّوا السيوف .
وإذا تباعدوا تضاربوا بالرمح . واستعمال الرماح يكون عادة بالنسبة للمشاة ، واستعمال السيوف يكون بالنسبة للفرسان .

قال ائيف بن حكم النبھاني (١٤٩) :

فلما التقينا بين سيف بيننا صدور القنا منهم وعلت نھاها (١٥٠)
ولما تدانوا بالرمح تزلعت لسائلة عنا حفي سؤاها (١٥١)

وقد تقف جماعة من المقاتلين في المؤخرة لتحمي ظهور المحاربين ، وتكون هذه الجماعة عادة من الرماة (١٥٢) . كما يعهد اليها مهمة رشق الخيل بالنبل ، لان الخيل لا تقدم على النبل (١٥٣) . وكان للفرسان شعار يتعارفون به (١٥٤) ، وكلمة يتنادون بها في المعركة . وقد يكون هذا الشعار اسم جد القبيلة كما جاء في قول ائيف بن حكم النبھاني ايضا (١٥٥) :

فلما أتينا السفح من بطن حائل بحيث تلاقي طلحها وسيالها
دعوا لنزار واتمينا لطيء كاسد الشرى اقدمها ونزالها (١٥٦)

- (١٤٦) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢١٩/١ .
(١٤٧) الواقدي : مغازي رسول الله ص ١٧٦ .
(١٤٨) الواقدي : مغازي رسول الله ص ١٧٤ ، ص ٤٨ .
(١٤٩) ابو تمام : الحماسة . شرح المرزوقي ١٧٢/١ .
(١٥٠) الاحفاء يكون في السؤال عن الشيء ويكون بطلب الشيء من الغير وهو المبالغة فيهما .
(١٥١) يقول ولما تقاربنا باستعمال الرماح رويت القنا من دمائهم .
(١٥٢) الواقدي : مغازي رسول الله ص ١٧٥ .
(١٥٣) الواقدي : مغازي رسول الله ص ١٧٥ .
(١٥٤) نفس المصدر ص ٥١ .
(١٥٥) ابو تمام : الحماسة . شرح المرزوقي ١٧١/١ .
(١٥٦) انتمينا : انتسبنا اي قالوا : يا لنزار ، وقلنا نحن : يا لطيء .

اما قيادة الحرب فتكون لفارس القبيلة الذي يتسلم اللواء عند الحرب ، لتوفر مؤهلات الفروسية فيه ، كالشجاعة والبأس ، والمهارة في ركوب الخيل ، والقدرة على تدير امور الحرب واستعمال السلاح .

وقد عرف العرب الجاهليون اللواء والراية ، وللراية شأن كبير في الحرب . لان الناس انما يؤتون من قبل راياتهم ، اذا زالت زالوا . وقد كان في جملة مناصب قريش منصب اللواء ، ويسمونه (العقاب) باسم رايتهم يومئذ . وكانوا اذا خرجوا الى حرب اخرجوا الراية ، فاذا اجتمع رأيهم على أحد سلموه اياها والا فانهم يسلمونها الى صاحبها . وكان تارة من بني أمية وتارة من بني عبد الدار .

فقد كان صاحبها في موقعة بدر عقبه بن ربيعة ، وفي احد والخندق ابو سفيان ابن امية^(١٥٧) .

على ان الحروب الجاهلية لم تعرف الجموع الحاشدة ، لان معظمها في الواقع لم تكن حروبا بالمعنى المفهوم لها ، فهي أقرب الى المناوشات والمصادمات المحلية منها الى الحروب ، وهذا ما لا يستوجب اعدادا كبيرة من المقاتلين ، والظاهر ان معدل الذين كانوا يشتركون في معظمها يقارب المئة ، فقد روى ابن قتيبة^(١٥٨) ان عمر بن الخطاب (رض) سأل بعض بني عبس : كم كنتم يوم الهباءة^(١٩٥) ؟ فقال : كنا مائة كالذهب ، لم نكثر فنتواكل ولم نقل فنذل . وروى ان عنترة العبيسي سئل : كم كنتم يوم الفروق^(١٦٠) ؟ فقال : كنا مائة لم نكثر فنفضل ولم نقل

(١٥٧) ابن حبيب : المحبر ص ١٦٥ وجرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ٣٨/١ . وكان لابناء كليب وائل لواء ربيعة فكان في عنزة بن اسد ثم تحول اللواء في عبد القيس ثم تحول في النمر بن قاسط الخ ذلك . (ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢١٤/١) .

(١٥٨) ابن قتيبة : عيون الاخبار ١٢٥/١ .

(١٥٩) الهباءة : ارض لفظقان ويومها من ايام العرب ، كان فيه النصر لعبس على ذبيان .

(١٦٠) الفروق : موضع بديار بني سعد . وهو يوم من ايام العرب المشهورة بين عبس وذبيان أيضا .

فذل .

ومع هذا فان جيش مذحج في يوم الكلاب الثاني بلغ ثمانية آلاف مقاتل ، وقيل انه لا يعلم جيش في الجاهلية كان اكبر منه ومن جيش كسرى ويوم ذي قار (١٦١) .

أما نهاية المعركة فلم تكن تقرر أمرا خطيرا في أغلب الاحيان . لان الغالب في المعارك ان تنتهي بالصلح ، او الاتفاق على دفع الديات والتنازل عن بعض الحقوق ، او غير ذلك مما تعارف عليه الناس في المجتمع الجاهلي .

وكانت المعركة تستوجب الاستعداد لها ، والتهيؤ لخوضها . ويتم ذلك بعقد الاحلاف مع القبائل المجاورة ، وشراء الخيل والسلاح ، ووضع الخطط اللازمة (١٦٢) ، وتأمين المحافظة على النساء والذراري في أماكن مأمونة ، او اصطحابها الى المعركة اذا استوجب الامر ، وارسال الطلائع للاستكشاف والاطلاع .

أما معاملة الاسرى فلم تكن تخضع لنظام معين ، فالاسرى غنائم توزع على المحاربين كبقية الغنائم ، وللمحارب الخيار في التصرف باسراه . فان شاء استخدمهم في أموره الخاصة . وان شاء اكتفى بجز ناصيتهم واطلق سراحهم (١٦٣) . قال حسان بن ثابت (١٦٤) :

كم من أسير فككناه بلا ثمن وجز ناصية كنا مواليها

وكان البعض يحسن معاملتهم ، ويفرد لهم بيوتا خاصة ، فيطلقون

(١٦١) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢٦٠/١ وينظر تقسيم المحاربين في نهاية الارب ١٩٠/٦ .

(١٦٢) ابن الاثير : تاريخ الكامل ١٩٦/١ .

(١٦٣) ابو عبيدة : النقائص بين جرير والفرزدق تصحيح الصاوي ١١٥ ، ١٥/٢ .

(١٦٤) ديوان حسان بن ثابت ص ٢٥٩ .

فيها ويتمتعون بكامل حريتهم بها ، وكانت المحافظة على ارواحهم - في نظر هذا البعض - واجبا تقتضيه الاصول ، وتوجيه الانظمة • وعلى العكس من ذلك كانت وفاتهم او التعرض لهم سبة وعارا •

فعندما ظفر عمرو بن مالك احد بني قيس بن ثعلبة بالمهمل فأسره ، احسن اساره ، ومر عليه تاجر يبيع الخمر - وكان صديقا للمهمل - فاهدى اليه - وهو اسير - زقا من خمر ، فاجتمع شبان من قيس بن ثعلبة ونحروا عنده بكررا وشربوا عند مهمل في بيته الذي افرد له (١٦٥) •

ولما اسر ابو مليل امتنع عن الطعام ، وكان يؤتى له به فيطرد عنه الكلاب مخافة ان تأكله فيظنوا انه أكله هو حتى جهد • فلما رأوا جهده قال بشر بن قيس لاخته بسطام : اني لا آمن ان يموت اسيرك في يديك هزلا فتسبك به العرب (١٦٦) •

وقد ذكر ابن اسحاق : ان ابا عزيز بن عمير شقيق مصعب بن عمير - كان في اسرى بدر - قال: كنت في رهط من الانصار حين اقبلوا بي من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز واكلوا التمر لوصيه رسول الله (ص) (١٦٧) •

والواقع ان الحرب قد حبت الى نفوس العرب خصال الشجاعة والنجدة والبأس والقوة وهي صفات حميدة تتنافى وصفات الخور والضعف والجبين والهلع ، فكانوا يتمادحون بالموت في الهيجاء وميادين الحروب قطعاً باطراف الرماح او سقوطاً تحت ظلال السيوف •

قال الحصين بن الحمام المري (١٦٨) :

-
- (١٦٥) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢٢١/١
 - (١٦٦) ابو عبيدة : النقائض ٢١/١
 - (١٦٧) ابن هشام : السيرة ٦٤٥/١
 - (١٦٨) ابو تمام : الحماسة شرح المرزوقي ١٩٧/١

تأخرت استبقي الحياة فلم اجد لنفسي حياة مثل ان اتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمي كلومنا ولكن على اقدمنا تقطر الدما

وقال عنتره (١٦٩) :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني اصبحت من غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنيّة منهل لا بد ان أسقى بكأس المنهل ان المنيّة لو تمثلت مثلت مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل

والشعر الجاهلي مليء بهذه الصور ، حافل بهذه البطولات ، لانه ديوان العرب الكبير ، الذي يضم بين ثناياه سجايهم الرفيعة ، ومثلهم القيمة التي رفعوها في جزيرتهم فكانت مثالا رائعا للفروسية ، ونموذجا حيا لصور البطولة .

والحرب تستوجب في بعض الاحيان الفرار والهزيمة اذا شعر الفارس بدائرة الحرب تدور عليه ، وعلم أن بقاءه في المعركة لا يكسبه الا القتل او الاسر ، وهذا ما يدفعه الى الفرار من المعركة . وكان بعض الفرسان يدافعون عن فرارهم هذا ، ويضفون عليه طابعا من الشرعية ويدعمون دفاعهم بالحجج والبراهين ليسوغوا لانفسهم ذلك دون ان يجدوا في هذا الدفاع غضاضة او امر يدعو الى الخجل . فقالوا: الفرار في وقته خير من الثبات في غير وقته (١٧٠) . وقالوا ايضا : الحمام في الاقدام والسلامة في الاحجام (١٧١) . فهم لا يفرون لانهم جبناء ، فهم شجعان ولكنهم يرون ان القتال لا يجديهم نفعا ، وان استمرارهم في القتال يعني ورودهم مورد الهلاك ، لاستحالة مقاومتهم او كثرة خصومهم ، وما قصيدة عامر بن الطفيل في يوم « فيف الريح » الا صورة للمأساة التي كان يعانيها الفارس ، وهو يحس بهول الفاجعة التي تنتابه ، وعظم

(١٦٩) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ١/٣٨٩ .

(١٧٠) النويري : نهاية الارب ٣/٣٥٠ .

(١٧١) نفس المصدر : ٣/٣٥٠ .

المصاب الذي يحل به وبقومه فيقول (١٧٣) :

لقد علمت عليا هو اذن أني انا الفارس الحامي حقيقة جعفر
وقد علم المزنوق أني اكره عشية فيف الرياح كرم المشهر (١٧٣)
اذا أزور من وقع الرماح زجرته وقلت له ارجع مقبلا غير مدبر
وانباته ان الفرار خزاية على المرء ما لم يبل عذرا فيعذر
الست ترى ارماعهم في شرعا وانت حصان ماجد العرق فاصبر
وقد علموا اني اكر عليهم عشية فيف الرياح كرم المدور
وما رمت حتى بل صدري ونحره نجيع كهذاب الدمقس الميسر
اقول لنفس لايجاد بثلهما اقلتي المراح انني غير مقصر
فلو كان جمعا مثلنا لم ييزنا ولكن اتنا اسرة ذات مفخر
اتونا بشهران العريضة كلها واكلب طرافي لباس السنور (١٧٤)

وكان بعض الفرسان لا يجد غضاضة من فراره في يوم من الايام
ما دامت له ماثرة في الايام الماضية ، قال عمرو بن معد يكرب يخاطب
اخته ريحانة وقد فر من بني عبس (١٧٥) :

اجاعلة أم الثوير خزاية علي فراري اذ لقيت بني عبس
لقيت ابا شأس وشأسا ومالكا وقيسا فجاشت من لقاءهم نفسي
لقونا فضموا جانينا بصادق من الطعن مثل النار في الحطب اليبس
ولما دخلنا تحت فيء رماحهم خبطت بكفي اطاب الارض باللمس
وليس يعاب المرء من جبن يومه اذا عرفت منه الحماية بالامس

(١٧٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ٦١ .

(١٧٣) المزنوق : فرسه . وفيه الرياح : مكان كانت الوقعة فيه .

ويروى على جمعهم كرم المنيع المشهر .

(١٧٤) ويروى : اتونا بفرسان العريضة كلها ولعلها اصوب . والعريضة :

اليمن . وفرسانها قبائل مذحج ومراد وخشم وزبيد وغيرها ،
والسنور : الدرع .

(١٧٥) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١/١٤٦ ، وتروى في حماسة البحترى

لاوس بن حجر التميمي مع اختلاف كثير ص ٥٢ .

كما ان قسما منهم يعلل خروجه من المعركة بسبب نفرة فرسه الذي ابتعد عن المعركة ، فترك أصحابه في مأزق ضيق يلاقون المصير في وقت كان خليقا به الثبات معهم واظهار البلاء في نصرتهم •

قال قيصة النصراني (١٧٦) :

ألم تر أن الورد عرّد صدره^١ وحاد عن الدعوى وضوء البوارق
واخرجني من فتية لم ارد لهم فراقا وهم في مأزق متضايق

ومن اشعار الفرارين الذين حسنوا الفرار قول الفرار
السلمى (١٧٧) :

وكتيبة لستها بكتيبة حتى اذا التبتت نفضت لهايدي
وتركتهم تقص الرماح ظهورهم من بين مقتول وآخر مسند
هل ينفعني أن تقول نساؤهم وقتلت دون رجالها - لا تبعد

وكما عرف الفرسان بالفرار فقد عرف الصعاليك بالفرار ايضا ،
وخاصة صعاليك هذيل التي كانت تنزل الحجاز ، وقد اشتهر منهم
كثيرون • فحاجز الاسدي كان مع غارته كثير الفرار (١٧٨) •

واحاديث الفرار ظاهرة واضحة كل الوضوح في اخبار الهذليين ،
وللاعلم الهذلي قصيدة يتحدث فيها عن فراره ومطاردة الخصوم له ،
والفرع الذي انتابه عند اقترابهم منه ، ثم ينتقل الى الاعتذار عن فراره
بانه يخشى ان يقتل بسيوفهم فيصبح طعاما للضباع والطيور والذئاب
والثعالب ، ثم يصف اقترابه من اهله ، والامان الذي شعر به بعد
وصوله الى ارضهم • واخيرا يضيف على القصيدة طابع الكآبة عندما

(١٧٦) ابو تمام : الحماسة : شرح المرزوقي ٢/٦٢٠ •

(١٧٧) النويري : نهاية الارب ٣/١٣٩ ، وتروى في حماسة البحري مع
اختلاف ص ٥٢ •

(١٧٨) الاصفهاني : الاغاني ١٣/٢١٥ • دار الكتب •

يتطرق الى ذكر اهله وفقرهم واولاده الصغار وحاجتهم اليه (١٧٩) .

لما رأيتُ القوم بال
وفريت من فزع فلا
يفرون صاحبهم بنا
أغرى أبا وهب ليع
وخشيت وقع ضريبة
فاكون سيدهم بها
جزرا وللطير المربطة
وتجر مجرية لها
حتى اذا انتصف النها
رفعت عيني بالحجبا
وذكرت أهلي بالعرا
المصرمين من التلا

علياء دون قدي المناصب (١٨٠)
ارمي ولا ودعت صاحب (١٨١)
جهدا واغرى غير كذاب
جزهم ومدوا بالجلاب (١٨٢)
قد جربت كل التجارب (١٨٣)
واصير للضبع السواغب (١٨٤)
والذئب وللثعالب (١٨٥)
لحمي الى اجر حواشب (١٨٦)
ر وقلت يوم "حق ذائب
زالى أناس بالمناقب
ء وحاجة الشعث التواب (١٨٧)
د اللامحين الى الاقارب (١٨٨)

وكما علل عامر بن الطفيل فراره ، وبرر الاعلم هزيمته من خصومه

- (١٧٩) ديوان الهذليين ٧٧/٢ .
(١٨٠) يقال قدى وقيد وقاد واحد ، ويقال قيد وقاد : رمح . والمناصب بلد . والمناصب : انصاب الحرم .
(١٨١) فريت : تحيرت ودهشت .
(١٨٢) الجللاب : الجماعات .
(١٨٣) الضريبة : السيف .
(١٨٤) السواغب : الجياع . وتروى في شرح اشعار الهذليين ، فأكون سيدهم بها للذئب والضبع السواغب .
(١٨٥) المربة : الثابتة .
(١٨٦) المجرية : ذات اجر . والاجر جمع جرو . والحواشب المنتفحات البطون .
(١٨٧) التواب : الجحاش الصفار يريد بها هنا اولاده .
(١٨٨) المصرمين : المخفين ، واصله صاحب صرمة . والصرمة : القطعة من الابل ما بين الخمس الى العشر . اللامحين الى الاقارب : الى من يأتيهم من اقاربهم بشيء يأكلونه .

للحجج التي ذكرها ، دافع تأبط شرا عن فراره ايضا - مع انه ترك رفيقا له في المعركة - لانه لا يستطيع ان ينتظر حتى يدهمه مطاردوه الذين كانوا خلفه كالنحل ، ولا ان يبطيء حتى تصيبه السهام . ثم يرجع الى ذكر عذره الذي حمله على الفرار وهو الفرع من الموت على ايدي هؤلاء الاعداء (١٨٩) .

ألا تلكما عرسي منيعة ضمنت من الله اثماً مستسرا وعائنا
تقول تركت صاحباً لك ضائعاً وجئت الينا فارقاً متباطئنا
ولم انتظر أن يدهموني كأنهم ورائي نحل في الخلية واكننا
ولا أن تصيب النافذات مقاتلي ولم ألكُ بالشد الذليق مداينا (١٩٠)
فارسلت مثنيا عن الشر عاطفا وقلت تزحزح لا تكونن حائنا
وحشحت مشعوف النجاء كأنني هجف رأى قصر اسمالا وداجنا (١٩١)
فزحزحت عنهم او تجئني منيتي بغبراء او عرفاء تفرى الدفائنا
كأنني اراها الموت لادرى دَرها اذا امكنت انايها والبرائنا (١٩٢)

وأبو خراش لا يفر لانه جبان ، بل هو يقاتل ولكنه اذا شعر بالمهلكة تحيط به نجا بنفسه (١٩٣) :

(١٨٩) الاصفهاني: الاغاني ٢١٣/١٨ .

(١٩٠) الشد: العدو . والذليق: الحاد .

(١٩١) النجاء: الاسراع . والمشعوف هنا: من اصيب قلبه بذعر .

الهجف: الظليم . والقصر هنا: اختلاط الظلام . والسمال:

جمع سملة وهي بقية الماع في الحوض، ويكون الشاعر بهذا يصور

فرع الظليم حين اخذ الظلام يختلط والمطر يسقط ، او حين

رأى عند اختلاط الظلام ماء عنده صياد متربص .

(١٩٢) العرفاء: الضبع .

(١٩٣) ديوان الهذليين ١٦٩/٢ وفيه شعر كثير بهذا المعنى ، ٨٣ ، ١٣٠

١٤٢ ، ١٦٨ وافرد البحري في حماسته بابا قيما قيل في الاقرار

بالفرار (الثاني عشر) ، وبابا فيما قيل في الاعتذار عن الفرار

(السابع عشر) ، وبابا فيما قيل في حسن الفرار (التاسع عشر) ،

وبابا فيما قيل في الفرار على الأرجل (الباب الخامس والعشرين) ،

فان تزعمي أني جنت فانتي افر وأرمي مرة كل ذلك
اقاتل حتى لا ارى لي مقاتلا وانجو اذا ما خفت بعض المهالك

الا أن العرب كانت تعتبر الفرار من اقبح ما يهجي به الرجل على
الرغم من كل التبريرات التي برر بها الفارون اسباب فرارهم - فعندما
اراد هاني الشيباني أن يحرض قومه على القتال يوم ذي قار قال : يا بني
بكر • هالك معذور ، خير من ناج فرور • المنية ولا الدنية ، استقبال
الموت خير من استدباره ، الثغر في ثغور النحور ، خير منه في الاعجاز
والظهور ، يا بني بكر : قاتلوا فما من المنايا بد ، الجبان مبغض حتى
لامه ، والشجاع محبب حتى لعدوه (١٩٤) •

أيام العرب :

هو الاسم الذي اطلقتها الروايات العربية على الحروب التي قامت
بين قبائل العرب في الجاهلية ، وان قسما من هذه الايام لا يتحدث عن
معركة ذات اهمية ، وانما يتحدث عن معارك ومناوشات قليلة الاهمية ،
لا تشترك فيها القبائل بأسرها ، بل تنشب بين عدة بيوت او بضعة أفراد.
وقد سميت الايام وعرفت باسماء الاماكن التي وقعت فيها هذه المعارك ،
كيوم كلاب وشعب جبلة واراب وجدود واعشاش ، أو بأسماء الاشخاص
او الحوادث البارزة فيها ، كيوم البسوس ويوم حليلة ويوم داحس ،
أو باسماء الصفة التي تميزت بها كيوم تحلاق اللحم ويوم الفجار . وهذه
الايام تبدأ بسيطة ، ثم تتسع وتتعاظم ويستفحل امرها فتشمل قبائل
كاملة وكثيرا ما تكون بدايتها نزاعا حول مرعى او ناقة او دفعا لاهانة .

وبابا فيما قيل في الفرار على الخيل (السادس والعشرين) ،
وكذلك فعل الخالديان في كتاب الاشباه والنظائر من اشعار
المتقدمين والجاهلية والمخضمين ، وخصوصا بابا في وصف الفرار ،
والعدو على الرجلين والاعتذار من الفرار ص ١٧٥ .
(١٩٤) النويري : نهاية الارب ٣/٣٤٧ •

وايام العرب ينبوع غزير ، ومعين ثريم الدارسين باحوال العرب وعاداتهم وقيمهم ومثلهم التي دافعوا عنها ، وتوضح لنا معالم بطولتهم وفروسياتهم التي شغلت حياتهم كلها ، على ان قسما من هذه الاخبار المتعلقة بالفرسان قد تضخمت وتوسعت فاصبحت اقرب الى الاساطير منها الى الحقائق .

وايام العرب كثيرة ودائمة لدوام منازعاتهم ، وقيل انها سميت اياما لان المعركة كانت تستغرق يوما واحدا او بعض يوم في اكثرها ، او لانها كانت تدور نهارا ، على أن هذا لا يمنع من استمرارها مدة طويلة كما حصل في حرب داحس والغبراء والبسوس وحرب البعاث والفجار .

والظاهر ان ايام العرب في الجاهلية لم تصل اليها اخبارها ، لاسباب كثيرة تتعلق بالتعصب القبلي ، او غيره من الاسباب . ومما يقال في ذلك ان ابا عبيدة المتوفى سنة (٢١١) للهجرة صنف في الف يوم ومائتين منها ، كتابا اعتمد عليه من جاؤا بعده . ولم يصل اليها هذا الكتاب ، وانما وصل اليها شرحه لنقائض جرير والفرزدق وفيه طائفة كبيرة منها (١٩٥) ، ثم نقل عنه ابن حبيب بصورة مفصلة ، وتبعه بعد ذلك ابن عبد ربه وابن الاثير والنويري ، كما ان كتاب الاغاني يضم بعضا من هذه الايام .

والظاهر ان هذه الايام - وان رويت في عدة كتب - تكاد تكون متقاربة ، وان الفروق بينها لا تكاد تخرج عن فروق لفظية .

وهذه الايام تؤلف في الواقع القسم الاكبر من علم الاخباريين بتاريخ الجاهلية ، ومادتها القصص الذي تناقله الناس عن شهدوها وحفظوها في صدورهم ، وهي مادة محبوبة ، تناولها الناس في الجاهلية والاسلام بلذة وشوق ، فكانت هي والشعر من أهم احاديث المجالس .

(١٩٥) شوقي ضيف: العصر الجاهلي ص ٦٤ .

قيل لبعض اصحاب الرسول (ص) : ما كنتم تتحدثون به اذا خلوتم في مجالسكم ؟ قال : كنا نتناشد الشعر ، وتحدث بأخبار جاهليتنا ، واهم اخبار الجاهلية هي هذه الايام (١٩٦) .

وكان مفهوم الايام يتضمن المآثر والبطولات التي تسعى لها القبيلة لتدخلها ضمن سجل الفخر وتدونها الى جانب امجادها . .

وقد كانت ايام العرب المشهورة ضرورة لتصفية القيم ، ولاكتمال النظام القبلي بكل مآثره ، لان القبائل العريضة وقفت وجها لوجه ، تعرض ما لديها في زحمة التنافس ، وفي غمرة هذا التنافس تبلورت تلك القيم ، واخذت شكلها الاخير الذي عرفت به ، واشتهرت باصالته .

ومن ايامهم المشهورة يوم جدود ، وهو ماء في ديار بني سعد من بني نعيم ، وفيه اغار الحوفزان (الحارث بن شريك الشيباني) على بني تميم هو وابجر بن جابر العجلي ، خرجا متساندين يريدان الغارة على بني تميم . فمرا بيني يربوع وهم بجدود ، فلما رأوهما نهذوا اليهما وحالوا بينهما وبين الماء وارادوا قتالهما (١٩٧) .

وفيف الريح وهي ارض بين ديار عامر بن صعصعة وديار مذحج وختعم . وفيه اغارت قبائل مذحج وختعم ومراد وزيد ورئيسهم ذو الغصة (١٩٨) الحصين بن يزيد الحارثي على بني عامر وهم منتجعون فيه ، فأغنت يومئذ بنو عامر ورئيسهم ملاعب الاسنة ، ووقفت عين عامر بن الطفيل طعنة مسهر بن يزيد الحارثي (١٩٩) .

ويوم إراب وهو ماء من مياه بني يربوع (٢٠٠) . وفيه غزا الهذيل

(١٩٦) ابن الاثير : اسد الغابة في معرفة الصحابة ١٩٣/٣ وانظر جواد

علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ٣٤٥/٤ .

(١٩٧) ابو عبيدة : النقائض بين جرير والفرزدق ١٣١/١ .

(١٩٨) لقب بذلك لانه كان يطلقه غصة لا يبين بها الكلام .

(١٩٩) ابو عبيد البكري : معجم ما استعجم ١٣٨/٣ .

(٢٠٠) نفس المصدر ١٣٣/١ .

ابن هيرة الاكبر التغلبي ابو حسان ، فأغار على بني يربوع باراب فقتل منهم قتلا ذريعا واصاب نعما كثيرا وسبى سبيا كثيرا (٢٠١) .

وقد اعتبر ابو عبيدة عظام أيام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربيعة ، ويوم جبلة ، ويوم ذي قار (٢٠٢) . والواقع ان يوم ذي قار يعتبر من اشهر ايام العرب ، لما تركه في نفوسهم من اثر ، وما بعث فيهم من معنوية . وقد خلد الشعراء هذا اليوم ، واعتبروه من أيام انتصاراتهم الفاصلة في التاريخ . كما نددوا بالقبائل التي لم تشترك فيه . . . وقد ذكر عن النبي (ص) انه قال لما بلغه ما كان من ظفر ربيعة بجيش كسرى ، هذا اول يوم انتصفت العرب من العجم (٢٠٣) .

وذو قار ماء لبكر بن وائل ، قريب من الكوفة بينها وبين واسط ، وكان من حديث ذي قار ان كسرى لما غضب على النعمان بن المنذر بسبب عدي بن زيد وزيد ابنه في قصة طويلة . . . أتى النعمان طيِّبًا فأبوا ان يدخلوه جبلهم ، ثم مر في العرب ببني عبس فعرضت عليه بنو رواحة النصر ، فقال لهم : لا ايدي لكم بكسرى ، وشكر ذلك لهم ثم وضع وضائع له عند احياء العرب واستودع ودائع ، فوضع اهله وسلاحه عند هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود احد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وتجمعت العربان مثل بني عبس وشيبان وغيرهم وارادوا الخروج على كسرى ، فاتى رسول كسرى بالامان على الملك النعمان ، وخرج النعمان معه حتى أتى المدائن ، فامر به كسرى فحبس بساباط ، فقيل : انه مات بالطاعون ، وقيل : طرحه بين ارجل الفيلة فداسته حتى مات . ثم قيل لكسرى : ان ماله وبيته قد وضعه عند هانيء ابن قبيصة بن هانيء بن مسعود الشيباني . فبعث اليه كسرى : ان اموال عبدي النعمان عندك فابعث بها الي ، فبعث اليه : ان ليس عندي

(٢٠١) ابو عبيدة : النقائض ١٧٦/٢

(٢٠٢) الاصفهاني : الاغاني ١٣١/١١ دار الكتب .

(٢٠٣) ابن الاثير : تاريخ الكامل ١٩٦/١ .

مال ، فعاوده فقال : امانة عندي ولست مسلمها اليك ابدا ، فبعث كسرى اليه الهامرز ، وهو مرزبان الكبير ، في الف فارس من العجم وخناير في الف فارس واياس بن قبيصة ، وكان قد جعله في موضع النعمان ملك الحيرة في كتيبتين شهابوين ودوسر وخالد بن يزيد البهراني في بهراء وايداد ، والنعمان بن زرعه التغلبي في تغلب ، والنمر بن قاسط . و اشارت العرب المجتمعة عند هانيء بن قبيصة عليه أن يفرق دروع النعمان على قومه وعلى العربان ، فقال : هي امانة . فقبل له : ان ظفر بك العجم اخذوها هي وغيرها ، وان ظفرت انت بهم رددتها على عاداتها ، ففرقها على قومه وغيرهم وكانت سبعة آلاف درع (٢٠٤) . وقال ابن الاثير اربعمائة درع ، وقيل ثمانمائة درع (٢٠٥) . وعبي بنو شيبان تعبئة الفرس ، ونزلوا ارض ذي قار . ووقعت بينهم الحرب ونادى منادي العرب : ان القوم يعرقونكم بالنشاب فاحملوا عليهم حملة رجل واحد . وبرز الهامرز فبرز اليه يزيد بن حرثة اليشكري فقتله واخذ ديباجه وقرطيه واسورته (٢٠٦) . وقد ذكر ابن الاثير (٢٠٧) ان كسرى ارسل اليهم النعمان بن زرعه يخبرهم واحدة من ثلاث . اما ان يعطوا ما بأيديهم ، واما ان يتركوا ديارهم ، واما أن يحاربوا . فولوا امرهم حنظله بن ثعلبة العجلي فاشار بالحرب . فأذنوا الملك بالحرب فارسل كسرى اياس بن قبيصة الطائي امير الجيش ومعه مرزبانته الفرس والهامرز النسوي وغيره من العرب ، تغلب وايداد وقيس بن مسعود بن قيس ذي الجدين ، وكان على طف سفوان فارسل الفيول (وكان قد بعث النبي «ص») فقسم هانيء بن مسعود دروع النعمان وسلاحه ، فلما دنت الفرس من بني شيبان قال هانيء بن مسعود : يا معشر بكر ، لا طاقة لكم في قتال كسرى فاركنوا الى القلاة ، فسارع الناس الى ذلك فوثب حنظلة

- (٢٠٤) . ياقوت : معجم البلدان ٢٩٤/٤ طبع بيروت .
(٢٠٥) ابن الاثير : تاريخ الكامل ١٩٩/١ .
(٢٠٦) ياقوت : معجم البلدان ٢٩٤/٤ .
(٢٠٧) ابن الاثير : تاريخ الكامل ١٩٩/١

بن ثعلبة العجلي وقال : يا هانيء أردت نجاءنا فالتقتنا في الهلكة ورد
الناس وقطع وضمن الهوادج^(٢٠٨) - وهي الحزم للرحال فسمى مقطع
الوضن - وضرب على نفسه قبة واقسم ان لا يفر حتى تفر القبة ،
فرجع الناس واستقوا ماء لنصف شهر، فاتتهم العجم فقاتلتهم بالجنود •
فأنهزمت العجم خوفا من العطش الى الجبابات^(٢٠٩)، فتبعتهم بكر وعجل
وأبلى يومئذ بلاء حسنا ، اصطفت عليهم جنود العجم فقال الناس هلكت
عجل ثم حملت بكر فوجدت عجلا تقاتل ، فقاتلوهم ذلك اليوم، ومالت
العجم الى بطحاء ذي قار خوفا من العطش فارسلت اياها الى بكر وكانوا
مع الفرس وقالوا لهم ان شئتم هربنا الليلة وان شئتم اقمنا ونفر حين
تلاقون الناس ، فقالوا بل تقيمون وتنهزمون اذا التقينا • وقال زيد
بن حسان السكوني وكان حليفا لبني شيبان - اطيعوني واكنوا لهم
ففعلوا ثم تقاتلوا وحرص بعضهم بعضا وقطع سبعائة من بني شيبان
ايدي اقيبتهم من مناكبها ، لتخف ايديهم لضرب السيوف • فجالدوهم
وبارز الهامرز ، فبرز اليه برد بن حارثة الشكري، فقتله برده ثم حملت
ميسره بكر وميمنتها ، وخرج الكمين فشدوا على قلب الجيش وفيهم
اياس بن قبيصة الطائي • وولت اياها منهزمة كما وعدتهم ، فانهزمت
الفرس واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت الى سلب أو غنيمة • وقال الشعراء
في وقعة ذي قار فاكثروا^(٢١٠) •

أما اثر هذه المعركة فقد كان له صدى كبير في الشعر لانه حرك
مشاعر الشعراء ، واثار في نفوسهم الاحاسيس • فالهمهم بذلك اعذب
المعاني ، واكد في نفوس العرب القوة والشدة • فلو لم يكونوا كذلك لما
كان النصر في جانبهم في هذه المعركة الحاسمة • وبذلك كسبوا مجدا

(٢٠٨) الوضين : بطن عريض منسوج من سيور او شعر، وقيل لا يكون
الا من الجلد •

(٢٠٩) الجبابات : موضع قريب من ذي قار، كانت به احدى الوقائع بين
بكر وائل والفرس •

(٢١٠) تاريخ الكامل ج١ ص ٢٠٠ •

وشرفا عظيمين • وفي ذلك اليوم يقول اعشى قيس مفتخرا (٢١١) :

وجند كسرى غداة الحنو صبحهم منا كئاب تزجي الموت فانصرفوا (٢١٢)
جحاجح وبنو ملك غطارفة من الاعاجم في آذانها النطف (٢١٣)
اذا أمالوا الى الشباب ايديهم ملنا بيض فظل الهام يختطف (٢١٤)
وخيل بكر فما تنفك تطحنهم حتى تولوا وكاد اليوم ينتصف (٢١٥)
لو أن كل معد كان شاركنا في يوم ذي قار ما احطأهم الشرف (٢١٦)

وقال مخاطباً كسرى حين اراد منهم رهائن (٢١٧) :

من مبلغ كسرى اذا ما جاءه عني مالك مخمشات شردا (٢١٨)
آليت لا نعطيه من ابنائنا رهنا فيفسدهم كمن قد افسدا (٢١٩)
كلا يمين الله حتى تنزلوا من رأس شاهقة الينا الاسودا (٢٢٠)
لنقاتلنكم على ما خيئت° ولنجعلن لمن بغى وتردا (٢٢١)
وقال يمدح بني شيبان بن ثعلبة في يوم ذي قار لانهم كانوا من

-
- (٢١١) ديوان الاعشى ص ٣١١ .
(٢١٢) الحنو : منعرج الوادي . ويوم الحنو هو يوم ذي قار .
(٢١٣) الجحاجح . السيد المسارع الى المكارم . النطفة : لؤلؤة تعلقها الاعاجم في الاذن .
(١١٤) الشباب : السهام . البيض : السيوف . الهام : جمع هامة وهي الرأس .
(٢١٥) انتصف النهار : بلغ النصف وقت الظهر .
(٢١٦) معد بن عدنان : هو جد عرب الشمال من قبائل ربيعة ومضر جميعا .
(٢١٧) ديوان الاعشى ص ٢٢٩ .
(٢١٨) مالك (جمع مالكة) وهي الرسالة . مخمشات : مفضبات والخمش الخدش واللطم .
(٢١٩) آليت ان لا نجيبه الى ما يسألنا من تقديم رهائن من ابنائنا . ليعرضهم للتلف كالذين اتلفهم وآذاهم من قبل .
(٢٢٠) الاسود هو اخو الحوفزان . كان في يد كسرى .
(٢٢١) اولنقاتلنك على ما نشاعر ونختار، ولنبعثها على المتمردين الطفاة .

احسن الناس بلاء فيه (٢٢٢) :

فدى لبني ذهل بن شيان ناقتي وراكبها يوم اللقاء وقلت (٢٢٣)
هم ضربوا بالحنو حنو قراقر مقدمة الهامرز حتى تولت (٢٢٤)
فله عينا من رأى من عصابه اشد على ايدي السعاة من التي (٢٢٥)
اتتهم من البطحاء يبرق بيضها وقد رفعت راياتها فاستقلت (٢٢٦)
فثاروا وثرنا والمنية بيننا وهاجت علينا غمرة فتجلت
كفوا اذ اتى الهامرز تخفق فوقه كظل العقاب اذ هوت فتدلّت
واحموا حسى ما يمنعون فاصبحت لنا ظعن كانت وقوفا فحلت (٢٢٧)
اذاقوهم كأسا من الموت مرة وقد بذخت فرسانهم وادكت
فجادت على الهامرز وسط بيوتهم شآيب موت اسبلت واستهلت
تناهت بنو الاحرار اذ صبرت لهم فوارس من شيان غلب فولت (٢٢٨)
فما برحوا حتى استحثت نساؤهم واجروا عليها بالسهام فذلت (٢٢٩)

- (٢٢٢) ديوان الاعشى ص ٢٥٩ .
(٢٢٣) قلت من قل الشيء أي علا وقل النبات اناف وارتفع .
(٢٢٤) حنو قراقر وحنو ذي قار والبطحاء كلها مواضع قرب الكوفة حيث جرت المعركة المشهورة بين الفرس وبكر بن وائل والهامرز احد قادة كسرى في هذا اليوم . وكانت شيان على ميمنة بكر بازاء كتيبة الهامرز .
(٢٢٥) العصاة هم بنو ذهل بن شيان . ومن : حرف جر زائد . السعاة : الذين يسعون للحرب ويهيجونها وهم الفرس .
(٢٢٦) البيض : جمع بيضة وهي غطاء للرأس يلبسه المقاتل ليقيه ، وكذلك المففر . استقلت : علت وارتفعت .
(٢٢٧) ظعن : جمع ظعينة وهي اليهودج فيه امرأة أو المرأة نفسها ، يشير بذلك الشاعر الى ما فعله حنظلة بن ثعلبة حين قطع الوضن حتى لا تهرب النساء فينهزم الرجال ، حلت : أي نزلت لان النساء نزلت من الهوادج بعد تقطيع الوضن .
(٢٢٨) تناهى عن الشيء : كف . بنو الاحرار هم الفرس . غلب : جمع اغلب وهو القليظ العنق ، يكنى به هنا عن القوة ومثانة بنيان الجسم .
(٢٢٩) استحثت نساؤهم : سيقوا امام القوم وقد اخذن سبايا ،

لعمرك ما شف الفتى مثل همه اذا حاجة بين الحيازيم جلت (٢٣٠)
وكما تغنى الاعشى بانتصار العرب في ذي قار فقد تغنى ابو كلبة
التيمي به كذلك فقال (٢٣١) :

لولا فوارس لا ميل ولا عزل من اللهازم ما فظتم بذي قار (٢٣٢)
ان الفوارس من عجل هم انفوا من ان يخلو الكسرى عرصة الدار (٢٣٣)
لاقوا فوارس من عجل بشكتها ليسوا اذا قلصت حرب باغمار (٢٣٤)
قد احسنت ذهل بن شيبان وما عدلت في يوم ذي قار فرسان ابن سيّار

ثم قامت حروب الفجار التي شهدها الرسول (ص) ، وقد شارك
فيها فكان يناول اهله النبل . وانه ليذكر ذلك لاصحابه فيقول (٢٣٥) :
كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة . وكانت
ايام الحجيج للعرب اشهرا حرما ، يأمن بعضهم فيها من بعض ، فلما وقعت
فيها الحروب سموها حروب الفجار . وقال بعض المؤرخين : ان القتال
في ذلك لم يكن في الشهر الحرام وانما سببه كان في الشهر الحرام .
و حرب الفجار فجاران . الفجار الاول ثلاثة ايام والفجار الثاني

-
- يدفعن طلبا للاسراع . اجرؤا عليها بالسهم : اقترعوا عليهن
فيخرج لكل مقاتل سهمه ، أي نصيبه من السبايا .
(٢٣٠) الحيازيم : جمع حيزوم وهو الصدر او موضع الحزام . جلت :
عظمت .
(٢٣١) النقائض : يوم ذي قار . .
(٢٣٢) الاميل : الذي لا سيف معه ، وقيل الذي لا رمح معه ، وقيل هو
الذي لا ترس معه ، وقيل هو الجبان ، او هو الذي لا يثبت
على ظهور الخيل ، وجمعه ميل . والعزل : الذي لا سلاح معه .
واللهازم : بنو تيم الله بن ثعلبة . وفاض الرجل : مات .
(٢٣٣) العرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .
(٢٣٤) الشكة : السلاح . ورجل غمر : لا تجربة له بحرب ولا امر ، ولم
تحنكه التجارب .
(٢٣٥) وفي رواية الطبقات لابن سعاد ج ١ ص ١١٠ ان الرسول (ص) قال :
« حضرته مع عمومتي ورميت فيه باسهم وما احب أني لم اكن
فعلت » .

خمسة ايام في اربع سنين ، اما اسباب الفجار الاول فتتلخص في أن بدر بن معشر الغفاري كان رجلا منيعا ، وكان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ، ويفتخر على الناس ، وفي احد المواسم بعكاظ ، قعد وجعل يتناول على الناس ، ثم مد رجله وقال : انا اعز العرب ، فمن زعم انه اعز مني فليضربها بالسيف ، فوثب رجل من بني نصر بن معاوية فضربه بالسيف على ركبته فاندرها (٢٣٦) . وقيل جرحه جرحا يسيرا ، فتجاوز الحيان عند ذلك حتى كاد ان يكون بينهما الدماء ، ثم تراجعوا ورأوا ان الخطب يسير (٢٣٧) .

اما سبب الفجار الثاني فهو ان امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ ، فأطاف بها شاب من قريش من بني كنانة ، فسألها ان تكشف وجهها فأبت ، فجلس خلفها وهي لا تشعر ، وعقد ذيلها بشوكة ، فلما قامت انكشف دبرها ، فضحك الناس منها . فنادت المرأة يا آل عامر فثاروا بالسلاح ، ونادى الشاب يا بني كنانة فاقتتلوا . ووقعت بينهم دماء يسيرة (٢٣٨) .

وكانت العادة في الجاهلية ألا قتال في الاشهر الحرم لقدسيتها ومكاتها ، فهي اشهر هدنة يستريح فيها الافراد والقبائل من القتال ، ويكون الانسان فيها آمنا على نفسه وماله . فيظهر فيها الفرسان المعروفون دون خوف .

وهكذا لعبت الايام دورا في حركة الشعر العربي ، بما اثارته في نفوس الشعراء ، وما رسمته حوادثها في اذهانهم من فخر وانتصار . فكان هذا الديوان الضخم من شعر الحماسة ، وكانت هذه القصائد الرائعة في عالم الحرب والفخر .

(٢٣٦) اندرها : قطعها .
(٢٣٧) ابن هشام : السيرة ١/١٣٧ .
(٢٣٨) نفس المصدر ١/١٣٧ .

الدعوة الى نبذ الحرب :

لقد كابد الانسان في شتى العصور احوال الحرب ، وعلم علم اليقين عواقبها الوخيمة ، بيد انه لم يستطع ان ينبذها ، وللحرب آثارها المشهورة في أدب كل أمة بلا استثناء ، وكان العرب في الجاهلية كغيرهم من الامم في قتال لا يكاد يهدأ ، وكانت تقع بين قبائلهم واشرافهم ثارات وعداوات لا تكاد تنتهي ، حتى اضطروا الى ان يتخذوا لهم موضعاً حراماً دعوه بالسوق ، ووقتاً حراماً سموه الاشهر الحرم ، تهدأ فيه الخصومات وتغمد الصوارم وتتصل الاسباب •

والحرب طبيعتها الغلظة والقسوة ، لا تعرف الرحمة ولا الهوادة ، فهي ضرام تأتي على زهرة شباب الامم ، وتأكل خيراتها ، وتحطم مدنياتها ، وقد وصفها عنترة الفوارس فقال : اولها شكوى واوسطها نجوى وآخرها بلوى (٢٣٩) •

والحرب والغارات تعود على اصحابها بالآسي والفواجع والكوارث ، وتفرق شمل العشيرة ، وتذهب برجالها ، وتيتم اطفالها ، وهذا يحدث بعامل الثأر والانتقام ، وان هذا العامل في حد ذاته لا يقف عند حد ، وانما تتأثر العداوات وتستعر ، ويصبح الناس طعاماً لها ، لا يعرفون اللحظات التي يلاقون فيه مثل هذا المصير وسط صحراء لا ترحم ، وارض لا تعرف الهدوء ، قال عامر بن الطفيل مفتخراً ببطولته وبطولة قومه ومعددا انتصاراتهم (٢٤٠) :

ونحن صبحنا حيّ اسماء بالقنا ونحن تركنا حيّ مرةً مآتماً (٢٤١)
بقرنا الجبالى من شنوءة بعدما خبطن بفيف الريح نهداو خثعما (٢٤٢)

-
- (٢٣٩) ابن عبدربه : العقد الفريد ١/٩٤ .
(٢٤٠) ديوان عامر بن الطفيل ص ١١٧ .
(٢٤١) حي اسماء : يعني بني فزارة .
(٢٤٢) شنوءة ونهد وخثعم من القبائل اليمنية .

ونحن صبغنا حَيّ نجران غارة ثبيل جبالها مخافتنا دما (٢٤٣)
 ولم يكن العربي مندفعاً للحرب من اجل الحرب ، ولكنه كان
 مضطراً الى خوضها ، ومجبوراً على الدخول فيها ، وهو يدرك بطبيعته
 ويلاتها ، ويقدر فظائعها ، وما تجره على الاقوام المتخاصمة من أهوال .
 قال عنتره في رثاء مالك بن زهير العسبي وكان صديقاً له في حرب
 داحس والغبراء (٢٤٤) :

فله عينا من رأى مثل مالك عقيرة قوم ان جرى فرسان
 فليتهما لم يجريا نصف غلوة وليتهما لم يرسلأ لرهسان
 وليتهما ما تا جميعا بيلدة واخطاهما قيس فلا يثريان

ولكن الانسان عندما يستنفد طاقته من المداراة والحلم ، ولا يجد
 منفذاً غير الحرب يخوضها ، لان الحلم الكثير يفضي الى الذل والخضوع
 - في نظر الجاهلين - . وقد صور الفند الزماني ذلك بشكل
 واضح (٢٤٥) :

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان
 ولم يبق سوى العدو ن دناهم كما دانوا
 وبعض الحلم عند الجهل للذنة اذعان
 وفي الشر نجاة حين لا ينجيك احسان

كما ان الناس كانوا يميلون الى السلم ، ويؤثرون العفو عن الجناة،
 ومقابلة الاساءة بالاحسان ، مع قدرتهم على الانتقام ، ومكنتهم من
 الثأر . وهذا دليل الابتعاد عن الشر . قال بعض شعراء بلعنبر (٢٤٦) :

- (٢٤٣) تبيل : اي ترمي اولادها من مخافتنا .
 (٢٤٤) ديوان عنتره - تحقيق عبدالمنعم عبد الرؤف شلبي ص ١٧٧ .
 (٢٤٥) ابو تمام : الحماسة شرح المرزوقي ٣٠/١ .
 (٢٤٦) ابو تمام : الحماسة شرح المرزوقي ٣٢/١ .

لكن قومي وان كانوا ذوي عدد ليسوا من الشرفي شيء وان هانا
يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة ومن اساءة اهل السوء احسانا

وقال قيس بن الخطيم في حرب حاطب التي قامت بين الاوس
والخزرج ، نتيجة قتل جار لحاطب بتدبير من الاوس وقد اقتتلوا قتالا
مريرا (٢٤٧) :

دعوة بني عوف لحقن دمائهم فلما ابوا سامحت في حرب حاطب
وكنت امرءا لا ابعث الحرب ظالما فلما ابوا اشعلتها كل جانب
اربت بدفع الحرب حتى رأيتها على الدفع لا تزداد غير تقارب (٢٤٨)
فاذ لم يكن عن غاية الموت مدفع فاهلا بها اذا لم تزل في المراحب (٢٤٩)
فلما رأيت الحرب حربا تجردت لبست مع البردين ثوب المحارب

وكان الحارث بن عباد قد تجنب حرب بكر وتغلب ، لانه يعتقد
بان الحرب جنائية • حتى قتل التغليبيون بجيرا فثارت حميته فقال (٢٥٠) :

يا بُجير الخيرات لا صلح حتى نملاً البيد من رؤوس الرجال
وتقر العيون بعد بكاهها حين تسقي الدما صدور العوالي
اصبحت وائل تعج من الحر ب عجيج الجمال بالاثقال
لم أكن من جناتها علم الله واني لحرها اليوم صال
قد تجنبت وائل كي يفيقوا فابت تغلب علي اعترالي
واشابوا ذؤابتي ببجير قتلوه ظلما بغير قتال

وقد وصفوها بالجنائية المنكرة ، والجريمة الشنعاء ، ولعنوا من
يتسبب فيها • واكبروا في نفس الوقت من يسعى الى الصلح بين

(٢٤٧) ديوان قيس بن الخطيم : تحقيق السامرائي ومطلوب ص ٣٢ .

(٢٤٨) اربت : كانت لي اربه في دفع الحرب ، أي حاجة .

(٢٤٩) المراحب : جمع مرحب . والمرح : السعة او المكان الواسع

يريد أي لا يزال في الامر سعة قبل ان يضيق عليه .

(٢٥٠) لويس شيخو : شعراء النصرانية ١/٢٧٢ .

المتنازعين ، وتلك ادلة على انسانية العربي ، وشعوره بمسؤولياته •
ولكنهم يقدمون عليها عندما لا يجدون مفراً منها ، ولا خلاصاً من
شرها ، ولا مهرباً من اذائها ، وعند ذلك يقتحمونها اقتحام الابطال ،
ويخوضونها خوض الفرسان (٢٥١) :

وان تك حربكم امست عوانا فاني لم اكن ممن جناها
فهم يتبرأون من اثارها ، ويتعدون عن جنايتها • لانهم يعلمون
مسبقاً انها ليست لعبة يتسلون بها ، او دعاية يفرجون بها كروبهم ،
وانما هي افطع من ذلك • قال أحيحة بن الجلاح الاوسي مخاطباً عاصم
ابن عمرو عندما بلغ احيحة ما اضره له عاصم (٢٥٢) :

عصيم لا تجزع فان الحرب ليست بالدعاية

لا شك اننا نستطيع ان نقول ان الحرب نكبة من افدح النكبات ،
وكارثة من افجع الكوارث ، فهي تجر الويلات على الغالب والمغلوب
معاً ، وتكبدهما الخسائر ، وتستنزف مواردهما ، وتفقد الامم النفوس
البشرية الغالية ، وتشكل الآباء والامهات •

ولم تكن الحرب في فطر الشعراء مقبولة ، ولكنها كانت تستبشع
في كثير من الاحيان • فقد وصفها عمرو بن معد يكرب فقال : مرة المذاق ،
اذا كشفت عن ساق ، من صبر فيها عرف ومن نكل عنها تلف ثم انشأ
يقول (٢٥٣) :

الحرب اول ما تكون فتية تسعى بزيتها لكل جهول
حتى اذا حميت وشبّ ضرامها عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها وتكثرت مكروهة للشم والتقييل

(٢٥١) ديوان عنتره : تحقيق وشرح عبدالمنعم عبد الرؤف شلبي ص ١٨٦

(٢٥٢) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢٧٧/١

(٢٥٣) ابن عبدزبه : العقد الفريد ١/٩٤ .

والعرب تقول : الحرب غشوم لانها تنال غير الجاني (٢٥٤) .

على ان ذلك الضجيج الصخب الذي شمل الحياة بكل مظاهرها ،
لم يمنع الاصوات القليلة التي كانت تنبعث من افواه العقلاء والمجربين
منادية بالرجوع الى حياة الوداعة ، والاطمئنان والعودة الى السلم لحل
مشكلاتهم ، لانهم يعرفون ويلات الحرب ، ويدركون قسوتها . قال
الاعشى (٢٥٥) :

بني عننا لا تبعثوا الحرب بيننا

كرد رجيع الرفض وارموا الى السلم (٢٥٦)

وكونوا كما كنا نكون وحافظوا

علينا كما كنا نحافظ عن رهم (٢٥٧)

نساء موالينا البواكي واتتم

مددتم بايدينا حلاف بني غنم (٢٥٨)

فلا تكسروا ارماحكم في صدوركم

فغنشمكم ان الرماح من الغشم (٢٥٩)

ومن اشهر الشعراء الذين تحدثوا عن السلام ودعوا الى نبذ
الحرب ، وخوفوا الناس من ويلاتها ، زهير بن ابي سلمى ، الذي افرغته
حرب واحس والغبراء ، وحز في نفسه ما آل اليه الناس ، وآلمه ما يؤلم
كل حكيم يشهد ما شهد من فوضى واضطراب ، فيرجو للناس امنا
وسلاما ، ترجع فيه الامور الى وازع نفسي يهديهم . وحرب داحس
والغبراء حرب مناوشات ، استمرت اربعين عاما ، فجعلت من زهير صاحب

(٢٥٤) - ابن عبد ربه : العقد الفريد ٩٥/١ .

(٢٥٥) ديوان الاعشى ص ٣٠٥ .

(٢٥٦) الرفض (بفتح فسكون) : الابل الراعية .

(٢٥٧) رهم : اسم حي .

(٢٥٨) حلاف : مصدر حالف أي عاهد .

(٢٥٩) فلا تبعثوا بيننا الشر فتكونوا كالذي يكسر رمحه في صدره .

معلقة ، ومن هرم بن سنان والحارث بن عوف علمين في عالم الامن
والطمأنينة في تاريخ الادب العربي •

لقد حركت هذه الحرب الحارث بن عوف فمشى في الصلح ،
وساعده في غايته رجل آخر من قبيلة بني مرة هو هرم بن سنان ،
فاحتسبت عندئذ عبس وذبيان قتلاها ، واحتمل هرم والحارث الديات ،
فكانت ثلاثة آلاف من الابل وفوها في ثلاثة أعوام ، وهكذا
وضعت حرب داحس والغبراء اوزارها ، وعلا اسم هرم والحارث في
تاريخ الادب ، وعلا معهما اسم زهير بن ابي سلمى •

لقد اتاحت هذه الحرب لزهير هذا الموقف ، وهيأت له هذه
الخصومات عقلا بصيرا ، وادراكا عميقا ، فكان لزاما عليه ان يمكن
للفضيلة في نفوسهم ، ويجعل للخير طريقا الى قلوبهم ، لان الحرب لن
لن تبعث الا حربا ، والبغضاء لا تثير الا حقدًا وغلا ••••• لقد وقف زهير
يتأمل الحقائق ، ويبحث عن العلل التي يمكن ان تضع حدا لهذه الحرب
الطاحنة ، وفعلا هب يعظ ويرشد ويدعو الى الخير والوفاق ، فاستنكر
الحرب ، وهتف واصفا احوالها ••••• موضعا بشاعتها وفضاعتها ، فهي
ثمرة من ثمار الحقد ، تسحق الانسان ، وتجعله يتساقط تساقط الطحين
على الثفال ، وهي أم تلقى ابناءها في احضان الشؤم والبؤس (٢٦٠) :

وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعوها تبعوها ذميمة وتضر اذا ضرَّ يتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرِّحى بنقالها وتكلفح كِشافاثم تحمل فتنتهم
فنتج لكم غلمان اشام كلشهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم
فتغل لكم ما لا تغل لاهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

لقد وجد الشاعر في هذين الرجلين القيم الخيرة التي عاشت في

(٢٦٠) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ١/ ٢٣١ •

ذهنه ، لانهما ادركا المسؤولية الجبارة التي تحملا عبثها ، لقد كانا يحملان آلام الناس ، ويشعران باحاسيسهم ، فوهبا المال لتضييد الجروح ، وتحملا عبء الضريبة دون ان يشتركا في النزاع القائم ، او يضربا بسهم واحد في المعركة ، فاستحقا تخليد الشاعر لهما .

ان الحارث بن عوف وهرم بن سنان انفقا المال في سبيل الخير ، فبسطا فلسفتهما في استخدام المال لوقف سعير الحرب ، وبذلك تمكنا من ان يزرعا الارض سلاما وخيرا وانسانية (٢٦١) :

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعد ما تبزل ما بين العشيرة بالدم (٢٦٢)
 فاقست بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم (٢٦٣)
 يمينا لنعم السيد ان وجدتما على كل حال من سجيل ومبرم (٢٦٤)
 تداركنما عسا وذيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم (٢٦٥)
 وقد قلتما ان ندرك السلم واسعا بمال ومعروف من الامر نسلم
 فاصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم
 عظيمين في عليا معد وغيرها ومن يستبح كنزا من المجد يُعظم
 تُعفى الكلوم بالمئين فأصبحت ينجمها من ليس فيها بمجرم (٢٦٦)

لقد حرك صنيع هرم والحارث بواعث الاعجاب والاعظام في نفس الشاعر ، فاكبرهما وخلد مأثرتهما ، فكانت دعوته بحق دعوة خير ، ارتسمت فيها شخصيته ، واتضح نزعته الى البر والرحمة ، لانقاذ

- (٢٦١) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٢٢٩/١ . تبزل : تشقق .
 (٢٦٢) جرهم : قبيلة من اليمن .
 (٢٦٣) السجيل : الخيط المفرد وهو كناية عن الرخاء . والمبرم : الذي يجمع بين مفتولين وهو كناية عن الشدة .
 (٢٦٤) منشم : ارا عطارة كانت بمكة . اشترى منها قوم شيئا من العطر ، وتحالفوا على قتال عدوهم ، فقاتلوا حتى قتلوا عن اخرهم ، فطيرت العرب بعطرها .
 (٢٦٥) معد : هو ابن عدنان وعليها معد رؤساؤهم .
 (٢٦٦) تعفى : تمحى . الكلوم : الجروح .

الناس الذين كانوا في سلاح من امورهم ، ثم صاروا الى حرب يستعمل فيها السلاح ، وتسفك الدماء ، ثم اشتغلوا بالاستعداد لها ثانية ، فجعل عزمهم على الحرب بمنزلة الكلاء الوييل الوخيم (٢٦٧) :

رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم اوردوا غمارا تسيل بالرماح وبالدم فقضوا منايا بينهم ثم اصدروا الى كلاء مستوبل متوخم (٢٦٨)

زهير لم يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف الا لانهما تلمسا الجراح بانامل نظيفة ، وتمكنا من وضع حد لتيار الحرب ، فجعل منهما المثل الاعلى للانسان العربي في عصره ، لقد اقلق زهيرا مصير الوجود العربي في تلك الفترة ، فعبر في شعره عن آماله ، ثم خلص الى نصيحة المتحاربين لنفض الصدور من الحقد والضغائن ، لان الله يعلم كل شيء وان ظل مخفيا :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة ولو خالها تخفى على الناس تعلم (٢٦٩)

وهكذا يبدو لنا زهير في معلقته خاصة ، رجلا انسانيا جريئا ، يحرص على ارواح قومه وآمالهم ، مستعدا لان يتناسى شخصيته اذا استطاع ان يضيعها في سبيل رفع مثل اعلى امام الامم والاقوام ، وهو لا يحرص على خير الافراد فقط ، بل يفضل خير القبيلة على ذلك ، بل هو اوسع في نظره ، يحب ان يشمل بخيره القبائل اجمع ، ولا شك في ان شخصية الحارث بن عوف وهرم بن سنان ساعدته على ان يقف هذا الموقف ، ويكفيه فخرا انه كان يجاهر بدعوته هذه ويعتقد انها السبيل الصحيحة الى الحق .

(٢٦٧) ديوان زهير ضمن مجموعة الاعلم ص ٢٣٢ .

(٢٦٨) قضوا منايا : انفذوها . واصدروا : رجعوا ، والمستوبل : الذي لا يستمرأ وكذا المتوخم .

(٢٦٩) ديوان زهير ضمن مجموعة الاعلم ص ٢٣٤ .

الثأر :

ان اندحار البدوي في المعركة ، او قتل احد من افراد عشيرته او ذوي رحمه ، كان يثير في نفسه عوامل الحقد والكراهية والانتقام ، فهو يحاول الثأر من الغالب او القاتل متى تهيأت له الظروف ، ومتى ما وجد الفرصة السانحة للانقضاض عليه ، اتقاذا لكرامته ، فهذا مالك بن حريم الهمداني يفخر بسطوة قومه وبأسهم فيقول (٢٧٠) :

يقود بارسان الجياد سراتنا لينقمن وترا او ليدفعن مدفعا
فاصبحن لم يتركن وترا علمنه لهمدان في سعد واصبحن طلعا

والثأر عادة تأصلت في طباع العربي ، واصبحت جزءاً من كيانه اذا اراد ان يعيش محترماً بين افراد قبيلته ، لان الاخذ به دليل على الشجاعة والقوة ، والسكوت عنه دليل على الخضوع والذلة والاستكانة ، وباعت على الاستهانة بالفرد والقبيلة . فيكون او تكون هدفا لغزوات اخرى .

وقد لعبت هذه العادة دورا مهما في الصراع العنيف الذي عاشه العصر الجاهلي ، وكانت سببا لكثير من الحوادث والايام التي وقعت بينهم ، كما ان الخروج عليها كان يعد عارا كبيرا ، ويعتبر الذي لا يرد اللطمة التي اصابته جباناً ، ويستحيل على الرجل الكريم المختد ان ينسى ضررا لحقه حتى يثأر لنفسه ، وينتقم لها .

والثأر شريعة مقدسة عند العرب ، له اوار يستعر في قلوبهم ، ويعيش حياتهم كلها . . . والعربي لا يهدأ له بال اذا لم يأخذ به ، وما تتبع قيس بن الخطيم لقاتلي ابيه وجده والانتقام منهما ، الا دليل على ادراك الثأر مهما بعد (٢٧١) :

(٢٧٠) الاصمعي : الاصمعيات ص ٦٠ .

(٢٧١) ديوان قيس بن الخطيم ص ٢١ .

ثارت عديا والخطيم فلم أضع ولاية اشياء جعلت ازاءها
ضربت بذى الزرين ربة مالك فأبت بنفس قد أصبت شفاءها (٢٧٢)
وشايحني فيها ابن عمرو بن عامر خدش فادى نعمة وافاءها (٢٧٣)
طعنت ابن عبد القيس طعنه ثائر لها نكد لولا الشعاع اضاءها
ملكته بها كفي فانهرت فتقها يرى قائمان خلفها ما وراءها (٢٧٤)

وقد لعبت المرأة دورا كبيرا في استثارة همم الرجال للاخذ بالثأر،
فهذه كبشة اخت عمرو بن معد يكرب تعير قومها لتكاسلهم في ادراك
الثأر، وتحرضهم على الامتناع عن قبول الدية، لان في ذلك عارا
وضعفا (٢٧٥) .

ارسل عبدالله اذ حان يومه الى قومه لا تعقلوا لهم دمي
ولا تأخذوا منهم إفالا وابكرا وأترك في بيت بصعدة مظلم
ودع عنك عمرا أن عمرا سالم وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم
فان اتم لم تشاروا واتديتم فمشوا بذان النعام المصلم
ولا تردوا إلا فضول نسائكم اذا ارتملت اعقابهن من الدم

ومثل ما كانت المرأة تحث على الاخذ بالثأر والانتقام للمقتول،
كان الرجال ايضا كذلك . فالمهلل اخو كليب الذي لم يهدأ له قرار
ولم نخفت صيحة الثأر في نفسه، ظل ينظم القصائد المطولة في رثاء
اخيه، ويستجمع قوى اصحابه وعشيرته ومناصريه للاخذ بثأره مهما
تعاضم الخطب، فأخذ على نفسه عهدا بأنه سيهجو الغواني ويمتنع عن
الشراب، وانه لن ينزع سلاحه حتى يأخذ بثأره فيقول (٢٧٦) :

ارى طول الحياة وقد تولى كما قد يسلب الشئ المعار

(٢٧٢) الزرين : وذو الزرين سيف من سيوف كان يعمل فيها .

(٢٧٣) شايحني : تابعني .

(٣٧٤) ملكت : أي شددت . انهرت : اجريت الدم .

(٢٧٥) حماسة ابي تمام المرزوقي ج ١ ص ٢١٧ .

(٢٧٦) شعراء النصرانية ص ١٦٤ .

كأنني اذ نعى الناعي كليباً
 فدُرتُ وقد عشا بصري عليه
 سألت الحيّ اين دفتموه
 فسرت اليه من بلدي حثيثاً
 اقول لتغلب والعز فيها
 تتابع اخوتي ومضوا لامر
 خذ العهد الاكيد عليّ عمري
 وهجري الغايات وشرب كأس
 ولست بخالع درعي وسيفي
 والا أن تبيد سراً بكر
 تطاير بين جنبيّ الشرار
 كما دارت بشاربها العقار
 فقالوا لي بسفح الحي دار
 وطار النوم وامتنع القرار
 اثيروها : لذلك انتصار
 عليه تتابع القوم الحِसार (٢٧٧)
 بتركي كل ما حوت الديار
 ولبسي جبة لا تستعار
 الى أن يخضع الليل النهار
 فلا يبقى لها ابدا أثار

وكان اذا قتل شخص قريب يحرم ابناؤه أكل اللحم، وشرب الخمر،
 والاقتراب من النساء، وغسل الرأس، حتى يدركوا ثأره، فعندما بلغ
 امرأ القيس مقتل ابيه وهو بدمون، آلى على نفسه ألا يأكل لحماً، ولا
 يشرب خمراً، وحلف على نفسه بألا يغسل رأسه حتى يدرك ثأره ببني
 أسد، ولما تبع بني اسد فادركهم وقتل فيهم قتلاً ذريعاً قال (٢٧٨) :

قولاً لدودان عبيد العصا
 قد قرّت العينان من مالك
 ما نحركم بالاسد الباسل (٢٧٩)
 ومن بني عمرو ومن كاهل (٢٨٠)
 ارجلهم كالخشب الشائل (٢٨١) حتى تركناهم لدى معرك

- (٢٧٧) الحِसार والحاسر : من لا مفقر له ولا درع ولا جنة .
- (٢٧٨) ديوان امرئ القيس ص ١١٩ - ١٢١ .
- (٢٧٩) دودان : قبيلة من بني اسد . وعبيد العصا : اي لا يعطون الا على الضرب والاذلال .
- (٢٨٠) واراد بالاسد الباسل : اباه او نفسه ، مالك وعمرو وكاهل : احياء من بني اسد .
- (٢٨١) ارجلهم كالخشب الشائل : اي قتلناهم والقينا بعضهم على بعض ، فارتفعت ارجلهم فكانهم الخشب الشائل .

حلت لي الخمر وكنت امراً عن شربها في شغل شاغل
فاليوم اسقى غير مستحقب اثما من الله ولا واغل (٢٨٢)

وكان المهلهل بن ربيعة في اول امره صاحب لهو ، كثير المحادثة للنساء ، فسماه اخوه كليب (زير نساء) أي جليسهن ولم يكن يرجو منه خيرا ، فلما قتل كليب في حرب البسوس المشهورة كان المهلهل يعاقر الخمر ، فهاجه مقتل اخيه ، وذهب الى قومه واستحثهم على الاخذ بالثأر ، وجز شعره ، وقصر ثوبه ، وهجر النساء وترك الغزل ، وحرّم القمار والشراب ونهض للحرب .

وهذا قيس بن الخطيم يصور لنا امتناع قومه عن الخمر ثلاثين ليلة لانهم اقسوا الا يذوقوها ، حتى ييروا بقسمهم ويدركوا ثأرهم (٢٨٣) :

ومنا الذي آلى ثلاثين ليلة عن الخمر حتى زاركم بالكتائب
ولما هبطنا الحزن قال اميرنا حرام علينا الخمر ما لم نضارب
فسامحه منا رجال اعزة فما برحوا حتى أحلت لشارب
وقال دريد بن الصمة (٢٨٤) :

شلت يميني ولم أشرب معتقة إذ أخطأ الموت اسماء بن زباع
وهذا الخلق عام فيهم ، اذ لا بد ان يثأروا لقتيلهم ، ولو أدى ذلك الى هلاك القبيلة .

قال مهلهل بن ربيعة (٢٨٥) :

-
- (٢٨٢) قوله غير مستحقب اثما من الله ، اي غير مكتسبه ولا محتمله
واصله من حمل الشيء في الحقيبة فضربه مثلا . والواغل :
الداخل على القوم يشربون ولم يدع .
(٢٨٣) ديوان قيس بن الخطيم ص ٣١ .
(٢٨٤) شعراء النصرانية المجلد الاول ص ١٧٤ .
(٢٨٥) شعراء النصرانية ج ٢ ص ٧٧٥ .

ان نحن لم نثار به فاشحدوا سفاركم منا لجز الحلو
ذبحا كذبح الشاة لا يتقى ذابحها الا بشخب العروق
ولم يكن هذا التقليد يشمل فردا واحدا ، او فارسا واحدا ،
وانما يشمل في بعض الاحيان قبيلة بكاملها ، فقد حرم بنو الشريد على
انفسهم النساء والدهن حتى يدركوا ثأرهم من بني كنانة (٢٨٦) .

ومن تقاليد الثأر ايضا ، جز ناصية الفرس ، وقطع ذنبها . فعندما
اراد الحارث بن عباد أن يطلب ثأرا له ، طلب فرسه (النعامة) ، وقال
قصيدته المشهورة التي ذكر فيها اسمها أكثر من عشرين مرة ، وقالوا
أكثر من خمسين (٢٨٧) . وكانت النعامة فرسه ، ولم يكن في زمانها مثلها ،
فجاؤوه بها فجز ناصيتها ، وقطع ذنبها ، وكان اول من فعل ذلك من
العرب ، فاتخذته العرب سنة ، اذا قتل لاحدهم عزيز واراد ان يطلب
بثأره ، فعل بفرسه مثل ما فعل الحارث بن عباد .

وإذا ثأرت القبيلة لنفسها وشتت غلتها وحقدتها ، أخذ شعراؤها
يشدون الاناشيد ، ويحللون على انفسهم ما حرموه ، قال دريد بن
الصمة يفتخر بتشفيه من قاتلي اخيه وظفره بثأره (٢٨٨) :

يا راكبا اما عرضت فبلغن ابا غالب أن قد ثأرنا بغالب
قتلت بعبدالله خير لداته ذؤاب بن اسماء بن زيد بن قارب
والظاهر ان اتخاذ بعض العادات خلال فترة الثأر ، كالتقاع في
الطعام والشراب ، والامتناع عن الاغتسال ، وحلق الشعر . لا بد ان
تكون لها جذور دينية قديمة ، داخلتها بعض الاساطير الشائعة ، فاتخذت
هذا الشكل الذي تعارف عليه الناس .

ولا تشتفي العشيرة في الحرب الا بمثل ما فقدت ، او تزيد على

-
- (٢٨٦) العقد الفريد ج ٥ ص ١٧٦ .
(٢٨٧) شعراء النصرانية ج ١ ص ٢٧١ .
(٢٨٨) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٦/٥ .

ذلك فقتل بعدد قتلاها ، وتأسر مثل اسرائها ، وتسبي عدد سباياها ، وعند ذلك تبرد غلتها ، وتظفي غليلها • لأنها ادركت الثأر ونالت الشرف الذي تفاخر به ، وتعتد على غيرها من القبائل • وبعدها تستطيع الوقوف على قدميها بمستوى القبائل العريقة في المجد ، الاصيلة في البطولة ، وهذا ما يفسر لنا اشتداد الحروب واستمرارها الى امد طويل ، لان الناس يعيشون حياتهم كلها بين وائر وموتور ، وطالب ومطلوب ، ومنتصر ومنحدر • وهذا ما يورث الاحقاد ، ويؤجج الثارات فتنتفض الهمم ، وفي ذلك يقول الطفيل الغنوي (٢٨٩) :

قتلنا بقتلانا من القوم مثلهم وبالموثق المكلوب منا مكلب (٢٩٠)
وبالنعم المأخوذ مثل زهائه وبالسبي سبي والمحارب محرب (٢٩١)

وتغالي عشيرة المقتول بمرکز القنيل ومنزلته وقيمته ، وتصر على ان تثأر ممن قتله او ممن يساويه في المنزلة ، وكثيرا ما تحاول احراج قبيلة القاتل بأمر لا تقدر عليها ، أو لا يمكن تنفيذها ، محاولة في ذلك تبرير شنها الحرب ••

فعندما قتل جساس كلييا ارسل التغلييون رجالا منهم الى بني شيبان ، فاتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو في نادي قومه • فقالوا له : انكم اتيتم عظيما بقتلكم كلييا ، وقطعتم الرحم ، واتهتكم الحرمة ، انا نعرض عليكم خلالا أربعا لكم فيها مخرج ، ولنا فيها مقنع :

أما ان تحي لنا كلييا ، او تدفع الينا قاتله جساسا فنقتله به او هماما فانه كفاء له ، او تمكننا من نفسك فان فيك وفاء لدمه ، فقال لهم : اما احيائي كلييا فلست قادرا عليه ، واما دفعي جساسا اليكم ،

(٢٨٩) ديوان الطفيل الغنوي ص ٢٤ .

(٢٩٠) المكلوب : المكبل . الموثق : المقيد .

(٢٩١) مثل زهائه : مثل محزرتة ، يقال كم زهاء الكتيبة ؟ أي كم محزرتها . والمحارب محرب : يقول اسروا فاسرنا وقتلوا فقتلنا وحربنا فحربنا . والنعم : الابل .

فانه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه فلا ادري اي بلاد قصد ،
واما همام ، فانه ابو عشرة واخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان ، فلن
يسلموه بجريرة غيره ، اما انا فما هو الا أن تجول الخيل جولة فأكون
اول قتيل فما اتعجل الموت ، ولكن لكم عندي خصلتان : أما احدهما
فهؤلاء ابناي الباقون ، فخذوا ايهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم ، واما
الآخرى ، فاني ادفع اليكم الف ناقة ، سود الحدق ، حمراء الوبر ،
فغضب القوم وقالوا قد اسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم
كليب . ونسبت الحرب (٢٩٢) .

وقد لا يكون الثأر بواحد ، وانما يتعداه الى اكثر ، فعندما قتل
عبدالله بن الصمة ، اغار دريد على غطفان يطالبهم بدمه ، فاستقراهم
حيا حيا ، وقتل من بني عبس ساعده بن مرة ، واسر ذؤاب بن اسماء
بن زيد بن قارب ، اسره مرة بن عوف الجشمي ، فقالت بنو جشم ، لو
فاديناه : فابي ذلك دريد عليهم ، وقتله باخيه عبدالله ، وقتل من بني
فزارة رجلا يقال له حزام واخوة له ، واصاب جماعة من بني مرة ومن
بني ثعلبة (٢٩٣) .

وقد يبلغ حد الاخذ بالثأر مبلغا كبيرا كقول المهلهل اخي كليب
يرثي كليبيا ويتهدد قاتليه (٢٩٤) :

كذبوا ورب الحل والاحرام	قتلوا كليباً ثم قالوا ارتعوا
ويحل اصرام على اصرام	حتى تلف كتيبة بكتيبة
يمسحن عرض تمائم الايتام	وتقوم ربات الخدود حواسرا
وعظام روس هسمت بعظام	حتى نرى غررا تجر وجمة
مما يرى جزعا على الابهام	حتى يعض الشيخ من حسراته

- (٢٩٢) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢١٨/١ .
(٢٩٣) الاصفهاني : الاغانى ١١/١٠ دار الكتب .
(٢٩٤) لويس شيخو : شعراء النصرانية ١٧٥/١ .

اما الدية فكان بعضهم يمتنع عن أخذها ، ويعتبر اخذها سبة الى الابد ، وقتاً للعضد (٢٩٥) كما قال امرؤ القيس بعد مقتل والده ، وكان البعض الآخر يغضب اذا عرضت عليه ، لأن الدم أحب اليهم من اللبن . وكان تقسيمها الفا للملوك ، ومائة للصريح ، وخمسين للحليف ، وكان هناك اصطلاح آخر وهو أقل من الدية ويسمى الخماشة ، وهي تدفع لقطع يد او اذن (٢٩٦) .

وكانت العرب تزعم ان روح القتيل الذي لم يدرك بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره ، تقول اسقوني اسقوني . فاذا ادرك بثأره طارت ، وفي ذلك يقول ذو الاصبع العدواني (٢٩٧) :

يا عمرو إن لا تدع شمتي ومنقصتي اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وقال ابو عبيدة (٢٩٨) : كانت العرب تقول ان عظام الموتى ، وقيل ارواحهم تصير هامة فتطير . او قيل : كانوا يسمون ذلك الطائر الذي يخرج من هامة الميت الصدى ، فنفاه الاسلام ونهاهم عنه .

وقد زعم بعض الاعراب ان الهامة تصيح اذا قتل الرجل بأني عطشى حتى يقتل بثأره فتسكن . وقالوا : بل يخرج من رأسه طائر يقال له الهامة .

وكان قسم من العرب اذا مات احد اقربائهم يذبحون على قبره ناقة ، او يربطونها ثم يدعونها تموت جوعا معتقدين ان الروح لما تنفصل عن الجسد تتشكل بهيئة طير يسمونه الهامة او الصدى ، وهي نوع من البوم لا تبرح تطير بجانب قبر الميت نائحة ساجدة ، تأتيه باخبار اولاده ، فاذا كان الفقيده قد مات قتيلا تصيح صداه قائلة (اسقوني) ولا تزال

(٢٩٥) الاصفهاني : الاغانى ١٠٥/٩ دار الكتب .

(٢٩٦) ابو عبيدة : النقائض ٢٣١/٢ .

(٢٩٧) الفضل الضبي : المفضليات ١٥٨/١

(٢٩٨) لسان العرب مادة (هام) .

تردد هذه اللفظة حتى ينتقم له اهله من قاتله بسفك دمه • قال قراد ابن عوية (٢٩٩) :

ألا ليت شعري ما يقولن مغارق اذا جاوب الهام المصيحح هامتي
وقال عروة بن الورد يخاطب امرأته وقد نهته عن الغزو (٣٠٠) :

ذريني ونفسي ، ام حسان انسي بها قبل ان لا املك البيع مشتري
احاديث تبقى ، والفتى غير خالد اذا هو امسى هامة فوق صيّر (٣٠١)

ومن معنى كلمة الهامة عند اللغويين الرأس ، او الجزء المقدم منه،
او بعض اجزائه • وقد ذكرت في معاجم اللغة فقالوا انها طير الليل ، او
طائر صغير يألّف المقابر، او البومة الطائر المعروف (٣٠٢) • ولاسطورة الهامة
صلة باسطورة الصدى ، والصدى طائر يخرج من الرأس اذا بلى ،
وقيل هو الهامة ، او ذكر البومة • وقد كانت العرب تقول الصدى في
الهامة ، والظاهر انهما من اسطورة واحدة وقد فرق بينهما بعد زمن
الاسطورة (٣٠٣) •

ومن هذا الخلط وجدنا اضطراب استعمالهما في اللغة ، واختلاط
معانيهما عند العرب ، فاستعملت كل واحدة منهما مكان الاخرى ،
كما وجدنا في النماذج الشعرية التي ذكرناها •

ويقول الدكتور عبدالمعيد خان (٣٠٤) : ان النفس كانت عند
العرب عبارة عن دم الحياة ، كما كانت عند الاسرائيليين • ثم يقول :
ومنهم من زعم أن النفس هي الدم ، وان الروح الهواء الذي كان في

-
- (٢٩٩) ابو تمام : الحماسة : شرح المرزوقي ١٠١٥/٢
(٣٠٠) ديوان عروة بن الورد ص ٢٥ •
(٣٠١) صير : حجارة تجعل كالحظيرة زربا للفنم •
(٣٠٢) لسان العرب مادة (هام) •
(٣٠٣) جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٥ ص ٩٨ •
(٣٠٤) الاساطير العربية قبل الاسلام ص ٤٥

باطن الجسم الانساني الذي منه نفسه ..

وتزعم طائفة منهم ان النفس طائر ينسبط في جسم الانسان ، فاذا هو مات او قتل ، لم يزل مطيفا به ، متصورا له في صورة الطائر ، يصدح على قبره .. ونخلص من ذلك كله الى ان العرب القدماء دهشوا من مظاهر الحياة ، فبحثوا عن حقيقتها ، فلما رأوا انه ما دام الدم يجري في شريان الانسان فهو حي ، فاذا هريق عن جسده فهو ميت .. قالوا ان الدم هو الحياة ، ثم لاحظوا ان النفس جزء مهم في الحياة . فقالوا : ان الحياة عبارة عن الهواء الذي في باطن جسم المرء . وظلت هذه الفكرة مدة من الزمان ، فاتى جيل بالغوا في تصوير النفس الذي يتكون من الدم والهواء ، حتى اعتقدوه طيرا من الطيور التي لها علاقة بالتشاؤم وهذا الطير هو البومة التي تمثل الخراب والفساد والموت (٣٠٥)

وعلى الرغم من كل ما تقدم ، فان هذه الاساطير قد لعبت دورا كبيرا في تأريث نار الحرب واستمرار دواعيها ، لانها كانت تحمل البدوي على الانتقام ، وتضطره الى ادراك الشار بأي شكل من الاشكال ، وعلى اية طريقة من الطرق .

(٣٠٥) نفس المصدر ص ٤٦ .

تمجيد البطولة :

للفروسية عند الامم من قديم الزمان شأن خطير ، ولتمجيدها مقام كبير ، فكان اليونانيون يقدسون فرسانهم وابطالهم الذين اشتهروا بينهم ، وكانوا يفخرون بهم •

وكان للفرسان عند العرب في الجاهلية المقام الاكبر ، والمكانة الاولى بين العشائر والقبائل ، لانهم عنوان الشجاعة ، وملاذ القبيلة ، وحمايتهم عند احتدام المعارك • وكانت الفروسية حديث الناس وأقاصيصهم ، كما كانت حافزا قويا للاقتداء ، وشحذ الهمم والسير في المسلك الذي اختطه البطل لنفسه • وقد ظلت احاديث اولئك الابطال حية في نفوس الاجيال عقب الاجيال ، يستلهمون منها القوة ، ويستمدون العون •

والحياة الجاهلية بطبيعة تكوينها ، كانت تفرض على ابناءها ادب الفروسية ، وتعلمهم تقديس البطولة ، لان هذا النمط من الحياة حافل بذكر الحروب ، مليء بحوادث الايام ، والبطل في هذه البيئة لم ينحدر من سلالة الآلهة، ولم تكن بطولته غيبية كما عودتنا الاساطير اليونانية والرومانية ، وانما بطولة نابغة من أعماق أبنائها ، ومتولدة من أعوار نفوسهم • فهي بطولة انسانية واضحة ، تتمثلها جوانب العربي ، وتتحسسها ذاته ووجدانه ، وهي صورة ناطقة بكل المقومات العربية ، ومثال حي لخصائصها ، تتجسد في أعمال الفروسية والشجاعة الخارقة، وتتميز في تمجيد الاخلاق المثالية ، والمناقب الرفيعة ، والمزايا الفذة التي تفرد بها عدد من الاشخاص لكي يظهروا وجوهاً رائعة ، تثير الدهشة وتبعث على الاقدام •

فالبيئة التي ينشأ فيها الفارس الجاهلي ، هي التي تصلب عوده ،
وتجعله يألف المخاطر والمغامرات ، وتربيه على مباديء الفروسية
والشهامه • وهي التي تعود الفارس فيها على استقبال الموت بنفس
الروح التي يستقبل بها الحياة • فالموت لا يقربه ركوب المخاطر ، ولا
تؤخره شدة الحذر • وهذه الفلسفة الشاملة لحياة البدوي ، هي التي
دفعته الى الاستبسال •

وما البطل في هذه البيئة الا ذلك الانسان الذي تتجسد فيه
آمال الناس ورغباتهم ، وتتمثل في اعماله بطولاتهم ، فيدرك بما أوّتي
من قابليات وأحاسيس مطامح مجتمعه فيحاول تحقيقها ويسعى الى
انجازها ، لتتمكن صورته في نفوسهم فيحاولوا اقتفاءه ، ويتوقفوا
للموصول الى درجته ، لانه يمثل الطليعة الصادقة لاماني الاغلبية
الساحقة •

والبطل عادة لا يكون الا في مجتمع ، يمثل النموذج الحي لصفات
ابائه ، والمثال الاعلى لنوع حياتهم ومواهبهم •

والامة المحاربة ينبغ فيها البطل ، فيبلغ مكانة لا تطاول ، وأثرا
لا يُبارى ، وكلمة لا ترد ، فيغنى غناء الجحافل ، حتى اذا خلا مكانه
وافتقد ، زاد ذكره ، وارتفعت سمعته ، وتضخمت اخباره ، وتعاضمت
آثاره ، وحيكت حوله الاساطير ، ونشأت القصص ، فيصبح أقرب
الى الاسطورة منه الى الحقيقة •

لقد وهب هذا النفر اقتداراً على القيام باعمال كبار ، يشغل بها
اذهان معاصريه ، فكان مبعث احترامهم ، لأن المرء في اعماقه ، يحس
أن في اجلاله لمن هو ارفع منه ، رفعة لنفسه ، وتقديراً لانسانيته ، فاذا
ما ظهر البطل ، وتوضحت معاملته ، وتمكن الناس من اكتشاف مثلهم
التي آمنوا بها ، وعاشوا من أجلها في شخصه ، تفجرت قلوبهم له عن
أخلص الولاء وأصدق الاحترام • فالبطولة صورة من الصور الخالدة ،

وان احتفاء الأمة بابطالها من ابرز دلائل حيويتها ، وان من دلائل
حيويتها حفول تاريخها باسمائهم •

لقد تطور معنى البطولة مع تطور المجتمعات ، واختلاف نظرتها
الى السلوك الانساني ، فقد كانت بعض المجتمعات تعالي ، فترتفع
بابطالها الى مصاف الآلهة كما فعل قدماء المصريين بأوزيريس واخته
وابنه ، وكما فعل اوائل الاسكندناويين ببطلهم اودين ، او الى مراتب
انصاف الآلهة كما فعل الاغريق القدماء بأبطالهم •

فالاقاصيص المتخلفة من عصور الابطال ، تبقى مليئة بروائع
الايوصاف ، وبدائع الصور ، كما تظل مجالا واسعا لتمتع الاخيله ،
ومسرحاً للمواقف والوقائع • وتبقى هذه الاقاصيص محفوظة لنفستها،
وكنزاً ثميناً لقرائح الادباء واخيلتهم • فيجرون افكارهم على السنة
أشخاصها ، ويستعيرون وقائعها ومشاهدتها في تمثيل وقائع عصورهم،
وقد برزت هذه الصفات في ملاحم اليونان والرومان (١) •

والذي نجده في هذا المجال ، هو أن تطور البطولة قد جرى فعلا
في الادب الجاهلي ، وقد كان الادب صائبا في تصويره للبطل الذي
تجاوز الناس في صفاته ، وسلك في مواجهة الاحداث مسلكا مثاليا ،
وجاء بأعمال عجز عن القيام بها سائر البشر ، وتنزه عن كثير مما يميز
الناس من نقص انساني أو ضعف بشري •

والجاهلية العربية شديدة الشبه بالعصر الهوميروي ، ففيه كانت
الامة منقسمة على نفسها ، لا تقتر عن القتال ، ولا يزال يظهر فيها من
الابطال أمثال عنترة والمهلهل ودريد بن الصمة وعامر بن الطفيل
وغيرهم ، ولا تزال تتحدث بأيام المواقع ، وتتفاخر وتتفاخر كما تتفاخر
أبطال الحروب الطروادية ، فكان العرب على تفرقهم يشعرون بوحدتهم

(١) البطولة في الادبين العربي والانجليزي - فخري ابو السعود
مجلة الرسالة (القاهرة) السنة الخامسة - العدد (١٨٩) •

في الجنس واللغة والمصير المشترك والتاريخ ، ويجتمعون في مواسم الحج واسواق التجارة والادب ، كما كان اليونانيون يجتمعون في دلفي وأولمبيا ، ولم يفتهم أن يجمعوا شملهم تحت لواء العربية لدفع الفرس في موقعة ذي قار ، كما فعل الاغريق من قبل ، اذ تجمعوا بزعامه أثينا لرد عادية الفرس ايضا (٢) .

لقد كانت ملامح هذا التطور ، واشارات هذا التعبير ، تبدو ساطعة في آفاق الحياة ، فدار حولها معظم الشعر ، كما دار حول الصفات التي يجب توافرها في البطل ، فانشاعر الجاهلي لا يرى شيئاً أفضل من التعرض الى غزواته ومعاركه اذا اراد الحديث او رغب في الكلام ، لانها النقطة التي تنطلق منها جميع الفضائل ، وتلتقي عندها كل الصفات .

لقد كانت صورة البطل تتمثل للفرد الجاهلي بشكلها الكامل ، ومثلها الرفيعة ، وصفاتها النبيلة ، التي تعارف الناس عليها ، فترسم في ذهنه كاملة ، جُمعت فيها كل العناصر ، وتآلفت منها كل القيم ، فحماية الجار . والكرم والشجاعة والصبر على المكاره ، كانت حلقة متصلة متماسكة ، تغنى بها في شعره ، ودافع عنها ما استطاع الدفاع ، ليثبتها في مجتمعه . هذه المثل السامية التي سنّها الفرسان ، ورفعوا لواءها عاليا ، كانت دليلاً حياً على اعتزازهم بها ، لانها هيأت نفوسهم لسمو انساني نبيل ، وعودتهم على قيم خالدة ، فدعتهم الى احترامها ، واجبرتهم على تمجيدها، فحفل الادب بصورها الرائعة ، فكانت لوحات خالدة في عالم الكرم والايتار والبطولة والتضحية .

فهذا انسان ، يعد الكرم فخراً ، لاسيما اذا ارغمت الشدائد الناس على الاثرة ، فعند ذلك تجد نفسه تنطلق بكل ما يدخره من الزاد ، ليطعم

(٢) البطولة في الادبين العربي والانكليزي ، الرسالة - السنة

الخامسة - ١٨٩ .

كل جائع ويقري كل ضيف *

قد يعلم القوم إذ طالت غزاتهم وارملوا الزاد أني مُنفذ زادي^(٣)
وهذا الانسان يعتز بهذه الصفة ، وينحي على لائمه باللائمة ، اذا
كان اللوم مبعثه الكرم ، وسببه الاتفاق * ثم يدعم كلامه هذا بحجته
التي اتخذها فلسفة حياة لنفسه ، وبنى عليها كل مقوماته ومثله ، وهي
ان الخلود في البذل وان المنية غاية الاجيال^(٤) .

وتقول عاذتي وليس لها بغد ولا ما بعده علم
إن الثراء هو الخلود وان المرء يكرب يومه العدم
إني وجدك ما تخلدني مائة يطير عفاؤها آدم^(٥)

وهذا شاعر آخر وهو عمرو بن الاثم يبين لنا كيف انه ينكر
البخل ، لانه مزر باخلاق الرجال الكريمة ، وواضع من عوالي رتبها *
ويدعو زوجته الى ان تترك الحديث عن بذل المال ، وتتبع هواه ، فهو
يشفق على الحساب الذي رفع بناءه ، ثم يقول ان الكرام يتقون الذم ببذل
القرى ، ولقضاء حقوق الكرم ، والمروءة طريقة مسلوكة ومعروفة * ثم
يتطرق الى ضيف طرقه ليلا ، وكيف رحب به وكيف كان اللقاء^(٦) :

ذريني فإن البخل يا أم هيثم لصالح أخلاق الرجال سرّوق
ذريني وحطّي في هواي فانتني على الحساب الزاكي الرفيع شفيق^(٧)
واني كريم ذو عيال تهمني نوائب يغشى رزؤها وحقوق

(٣) الفضل الضبي : المفضليات ١٥١/٢ والبيت لسنان بن ابي
حارثة المري .

(٤) نفس المصدر : ١١٦/١ . والايات للمخبل السعدي .

(٥) يطير عفاؤها : يذهب وبرها من السمن . الادم : الابل الخالصة

البياض . .

(٦) الفضل الضبي : المفضليات ١٢٣/١

(٧) يقال حط في هواه : اذا تابعه ولم يعصه في كل ما امره به .

ومستنجح بعد الهدوء دعوته^(٨) وقد حان من نجم الشتاء خفقوق^(٨)
فقلت له : أهلا وسهلا ومرحبا^(٩) فهذا صبوح^(٩) راهن وصديق^(٩)
وكل كريم يتقي الدم بالقري^(٩) وللخير بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد^(٩) بأهلها ولكن اخلاق الرجال تضيق

فانبدل بما لا غنى عنه عن نفس مطمئنة راضية اعتقاد^(٩) اكيد في
نفس البدوي على اداء واجب لا بد منه ، وهو سجية تنشق من المروءة ،
وتنطلق من الايمان العميق بفضيلة هذا العمل •

وما لنا نذهب بعيدا وصورة حاتم تمثل لنا بكل شموخ واباء ،
وترسم واضحة بكل جلاء ، لتصور لنا الكرم الاصيل ، والخلق الرفيع •
فما يروى عن كرمه ما حدث به ابن الكلبي حيث قال : اخبرنا ابو
مسكين مولى ابي هريرة عن ابيه عن جده قال : مر ابو الخيبري في نفر
من قومه بقبر حاتم ، وحوله أنصاب نوائح من حجارة
كأنهن نساء ، فنزلوا به ، فبات ابو الخيبري ليلته كلها ينادي أقر
اضيافك يا أبا جعد ، فيقال له مهلا ، ما تكلم من رمة بالية ، فيقول : ان
طيباً تزعم انه لم ينزل به احد الا قراه ، فلما كان في آخر الليل نام
ابو الخيبري ، حتى اذا كان في السحر ، وثب فجعل يصيح ويقول :
واراحلتاه فقال له اصحابه ، ما لك قال : بلى والله ، فنظروا الى راحلته ،
فاذا هي مختزاة ، لا تنبعث قالوا : والله قد قراكم ، فظلوا يأكلون لحمها
ثم اردفوه وانطلقوا ، فساروا ثم نظروا الى راكب فاذا هو عدي بن
حاتم راكب جملا اسود ، حتى لحقهم فقال : أيكم هو الخيبري ، قالوا :
هذا • قال : ان حاتمآ جاءني في النوم فذكرني شتمك اياه ، وانه قرى
راحتك اصحابك ، وقال لي في ذلك ابياتا ردها علي حتى حفظتها هي :

(٨) المستنجح : الرجل يضل الطريق ليلا فينبج لتجييه الكلاب
ان كانت قريبا منه ، فاذا أجابته تبع أصواتها ، فأتى الحي فاستضافهم .
(٩) الراهن : الدائم ، الثابت .

أبا الخييري وأنت امرؤ حسود العشييرة شتّامها
 فماذا اردت الى رمّة بداوية صخب هامها
 تبغّي اذاها واعسارها وحولك غوث وانعامها
 وانا لننطمع اضيافنا من اللوم بالسيف نعتامها

وقد امرني ان احمك على بعير فدونكه ، فأخذه فركبه وذهب (١٠) .

فعلى الرغم مما يشوب هذه الحكاية من جو اسطوري ، وما تحمله من مبالغات ، فانها تدلنا بوضوح على مكانة حاتم ، وعن مدى احاديث كرمه التي أصبحت مضرب المثل ، على ان هذه الحادثة قد وردت في روايات كثيرة ، وباشكال مختلفة . فقد وردت في القصيدة التي مدح فيها ابن دارة عدي بن حاتم (١١) .

ابوك ابو سقانة الخير لم يزل ° لدن شبّحتي مات في الخير اغبا
 به تضرب الامثال في الجود ميتاً وكان له اذ كان حياً مصاحباً
 قرى قبره الاضياف اذ نزلوا به ولم يقر قبره قبله قط راكبا
 على ان هذا الخلق الرفيع ، والكرم الاصيل ، كان لا يزيد حاتماً
 الا تواضعاً ، فقد سئل حاتم هل من العرب اجود منك ، فتبسّم وقال :
 كل العرب اجود مني (١٢) . وقصة الاسير الذي ناداه مروية كثيراً .
 فقد روي انه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة ، فلما كان بارض عنزة
 ناداه أسير لهم ، يا أبا سقانة ، اكلني الاسار والقمل . فقال : ويحك
 ما أنا في بلاد قومي ، وما معي شي ، وقد اسأت بي اذ نوهت باسمي ،
 وما لك متترك . ثم ساوم به العنزيين واشتراه منهم ، فخلاه وأقام
 مكانه في قيده ، حتى أتى بفدائه فاداه اليهم .

وكعب بن مامه الذي يضرب به المثل في الجود ، كانت بطولته

(١٠) الاصفهاني : الاغاني ٩٧/١٦ ساسي

(١١) ديوان حاتم الطائي ص ٣٠ / طبع لندن .

(١٢) اوصاف الاشراف : مخطوط في دار الكتب .

نادرة ، وتضحيته غالية ، وايشاره مضرب المثل ، فمن حديثه انه خرج في ركب ، فيهم رجل من النمر بن قاسط ، في شهر صفر ، فضلوا ، فتصافنوا ماءهم ، وهو أن يطرح في القعب (١٣) حصاة . ثم يصب فيه من الماء بقدر ما يغمر الحصاة ، وتلك الحصاة هي المقلة (١٤) . فيشرب كل انسان بقدر واحد ، فقعدوا للشرب ، فلما دار القعب وانتهى الى كعب ، ابصر النمري يحدد النظر اليه ، فأثره كعب بمائه ، وقال للساقي : اسق اخاك النمري ، فشرب النمري نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ، ثم نزلوا من غدهم المنزل الآخر ، فتصافنوا بقية مائهم ، فنظر اليه النمري كنظرة امس ، فقال كعب كقوله امس ، وارتحل القوم وقالوا يا كعب ارتحل ، فلم تكن به قوة للنهوض ، وكانوا قد قربوا من الماء ، فقيل له رد كعب انك ورا ، فعجز عن الجواب ، فلما يسوا منه ، خيموا عليه بثوب يسعه من الوحوش أن تأكله ، وتركوه مكانه ففاض (١٥) .

وهذا قيس بن عاصم المتقري ، يخاطب زوجته ويوصيها اذا صنعت له الطعام أن تطلب ضيفا يشاركه فيه ، لانه لا يريد أن يأكل وحده ، مخافة ان يتحدث عنه بالبخل بعد موته .

وهو يحرص على سمعته فيقول (١٦) :

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد (١٧)
اذا ما أصبت الزاد فالتمس له اكيلا فأتني غير آكله وحدي

(١٣) القعب : اناء ضخم كالقصة .

(١٤) المقلة بفتح الميم ويقال مقلها : اذا القاها في الاناء وصب عليها الماء . .

(١٥) الالوسي : بلوغ الارب ١ / ٨١

(١٦) المبرد : الكامل في اللغة ٢ / ٥٢٥ .

(١٧) ذو البردين : عامر بن احيمر ، وهو جد امراته ، والبردان ثوبان لبسهما عامر حين قال النعمان في وفود العرب : ليقيم اعز العرب فليلبسهما .

قصياً كريماً أو قريباً فإنني أخاف مذمّات الأحاديث من بعدي^(١٨)
واني لعبد الضيف ما دام ثاوياً وما من خلالي غيراً شيمة العبد

ففي هذه المثل الخالدة ، تتمثل عظمة الجود والايثار والكرم
ومكارم الاخلاق التي يقف الانسان امامها معجباً بهذه البطولة ، معتزاً
بهذه المفخر النادرة في سجل السنين ، ليستمد منها كل المثل الخيرة ،
والقيم الانسانية الحقّة ، وليجعلها روائع في صفحات التاريخ العربي
والانساني ، وصوراً لبطولات خارقة ••

ان المشاركة في الزاد لم تكن وفقاً على نفر معين من الناس ، أو
جماعة مخصوصة بهذه الميزة ، وانما كانت عادة اعتادها العرب في
حياتهم ، فكانت طابعا عاما لهم ، شاركت فيها الفئات القبلية ، فالصعاليك
الذين اتسمت حياتهم في ظاهرها بالفردية والخروج على تقاليد المجتمع ،
كان من المنطق ان يخرجوا على هذه التقاليد ، ويتعدوا عن هذه
المعاني ، ولكن الذي نراه فيهم هو العكس ، فقد تمثلت المعاني في
أخلاق هذه الجماعة تمثلاً جلياً ، وحسبنا أن نقرأ قصائد الشنفرى
وتأبط شرا وعروة بن الورد ، لنستبين أن تمدحهم وتمجدهم لم يكن
بمظاهر بطولاتهم في القتال ، وانما كان بما تحقّقه هذه البطولة من معان
نفسية وخلقية واجتماعية •• وكأنما تحولت حركة الصعاليك في مضمونها
وشكلها الى نظام يشبه الى حد قريب نظام الفروسية ، بما حقّقه من
صفات ومثل •

وقد ظلت احاديث عروة بن الورد تذكر بكل اجلال وتعظيم ••
فقد قال عمر بن الخطاب (رض) للحطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟
قال : كنا الف حازم قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير ، وكان
حازماً ولا نعصيه فكأنا الف حازم ، وكنا نؤدّم اقدم عنترة ، ونأتم
بشعر عروة بن الورد^(١٩) •

(١٨) المذمة بفتح الذال : الذم واللوم وكذلك بكسرهما .

(١٩) ابو عبيد : سمط اللالي ٢ / ٨٢٤

وقيل ان عبدالملك قال : من زعم أن حاتمًا اسمحُ الناس ، فقد
ظلم عروة بن الورد (٢٠) .

إن حاتمًا الطائي ، وكعب بن مامه الايادي ، وقيس بن عاصم
وعروة بن الورد ، لم يكونوا الا أمثلة من عشرات الاجواد الذين حفل
بهم تاريخ العرب ، فرسموا في صفحاته أروع آيات البطولة الانسانية .
وأما الشجاعة ، فهي من الصفات التي يكتسبها الانسان بالمران
والممارسة ، وهي لا تُدرِك الا باستمرارها ، ولا تعلّم الا بمقتضاها .
ومن مظاهرها عدم المبالاة بالحياة ولا بالممات ، وكلما كانت هذه
الآثار اعظم كان مبدؤها أقوى واتم .

وقد كان العرب يتمادحون بالموت على اطراف الرماح ، وتحت
ظلال السيوف ، وقمقعة السلاح ، وبين صيحات الفرسان ، ويتهاجون
بالموت على الفراش . ويقولون فيمن مات مثل هذه الميتة ، مات حتف
انفه . قال السموال (٢١) :

وما مات منا سيّد حتف انفه ولا طلّ منا حيثُ كان قتيلاً
تسيل على حدّ الطّبات نفوسنا وليست على غير السيوف تسيلُ

وقال الحصين بن الحمام (٢٢) :

تأخرتُ استبقي الحياة فلم اجد لنفسي حياة مثل ان اتقدما
وقال عروة بن الورد (٢٣) :

اذ قيل يا ابن الورد أقدم الى الوغى أجبتُ فلا قاني كميُّ مُقارعُ
فلا انا ما جرّت الحربُ مشتكِّ ولا انا مما احدث الدهر جازعُ

(٢٠) الاصفهاني : الاغاني ٧٤/٣ دار الكتب .

(٢١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١١٨/١

(٢٢) نفس المصدر : ١٢٢/١ .

(٢٣) ديوان عروة : صادر ص ٧٤ .

لقد كان احساس هؤلاء الابطال ببطولاتهم يتضخم في نفوسهم ،
وكثيراً ما يحلو لهؤلاء الابطال أن يستذكروا الوقائع التي عرفت فيها
بطولاتهم ، وثبتت بها فروسياتهم ، فيعيدوها لتكون فخراً لهم ، وتذكيراً
لاعدائهم ، وليثبتوا في قلوب الخصم ، الرعب والفرع . قال عامر بن
الطفيل (٢٤) :

ألسنا نقود الخيلَ قَباً عوابساً ونخضبُ يومَ أروعِ أسيافنا دماً (٢٥)
ونحمي الدمار حين يشتجر القنا وتثني عن السرب الرعيل المسوما
ونستلبُ الحو العوابس كالقنا سواهم يحملن الوشيح المقوما (٢٦)
ونحنُ صبحنا حي أسماء غارة أبانت حبالى الحي من وقعها دماً
أو نراهم يشهدون الخيل على شجاعتهم ، لأنها اصمدق ،
ومظاهرها ادل ، وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل (٢٧) :

لقد تعلم الخيلُ المغيرة أننا اذا ابتدر الناسَ الفعال اسودها
على ربدٍ يزدادُ جوداً اذا جرى وقد قلت تحت السروج لبودها (٢٨)
وقد خُضبت بالماء حتى كأنما تشبه كمت الخيل منهن سودها (٢٩)

ان احاديث الشجاعة ظلت تدور على ألسنة الاجيال عقب الاجيال،
وظلت معانيها السامية تعيش مع وجود العربي ، لأنها عنوان بقائه .
فقد روي أن عمر بن الخطاب (رض) قال لعمر بن معد يكرب من
اشجع من رأيت ؟ قال : خرجت في بعض غزواتي فأصبحت بين دكادك
(هرشى) فنظرت الى ابيات ، فعدلت اليها ، فاذا بجوار ثلاث كأنهن
نجوم ، فبكين حين رأينني فقلت ما يبكيكن ؟ قلن لما ابتلينا به منك .

- (٢٤) ديوان عامر بن الطفيل : ص ١٢٨ .
(٢٥) القب من الخيل : الضوامر البطون . والواحد أقب .
(٢٦) الوشيح : الرماح .
(٢٧) ديوان عامر بن الطفيل : ص ٤٥ .
(٢٨) ربد : سريع .
(٢٩) خضب بالماء : اراد عرقت ، وجف عرقها ، فظهر كأنه أسود .

واخت لنا من وراء هذا القوز هي أجمل منا تموت هناك ضياعا ،
فأشرفت من فدغد فاذا بفتى لم أرَ قط أحسن من وجهه ، له ذؤابة
يسحبها ، وهو يخصف نعله ، فلما نظر الي وثب على فرسه فبادر
وسبقني الى الاييات ، فوجدهن قد ارتعن فسمعته يقول :

مهلا نسياتي فلا ترتعن ° ان تمنع اليوم نساءً تمنعن

فلما دنوت منه ، قلت : اتطردني ام اطردك ؟ قال بل اطردني ،
فركض وركضت في اثره حتى اذا مكنت السنان من لفتته (٣٠) ، اعتمدت
عليه طعنا ، فاذا هو والله مع لب فرسه ، ثم استوى من سرجه ، فقلت
اقلني ، فقال أطرُد° ، فطردته ، حتى اذا امكنت السنان من متته ،
شددت عليه وانا اظن أني قد فرغت منه ، فمال عن سرجه حتى خالط
الارض ، وقص السنان زالجا ، ثم استوى على فرسه ، فقلت : اقلني
فقال : اطرد ° ففعلت ، وفعل مثل ذلك فلما استوى على فرسه ، قال :
أبعد تريد ماذا ؟ اطرد ثكلتك أمك ، فوليت وانا منه فرق ، فلما
غشيني ووجدت مس السنان ، التفت فاذا هو يطردني بالرمح منصلا
دون سنان ، فكف عني واستنزاني فنزلت ، وجز ناصيتي وقال : انطلق
فاني انفس بك عن القتل ، فكان ذلك عندي يا امير المؤمنين اشد من
القتل والموت ، وسألت عنه فقيل هو ربيعة بن مكدم الفراسي فذلك
والله اشجع من رأيت (٣١) °

وقال ابو عمرو بن العلاء لا نعلم قتيلا ، ولا ميتا حمى الاظعان
غيره وكان يعقر على قبره في الجاهلية ، ولم يعقر على قبر أحد
غيره (٣٢) °

وروي عن عمرو بن معد يكرب قال : لو طفت بطعينة احياء

-
- (٣٠) اللفتة : اسفل من الكتف .
(٣١) ابو عبيد : سمط اللالي ٢ / ٩١١ .
(٣٢) ابن عبد ربه العقد الفريد ١ / ١٣٦ .

العرب ، ما خفت عليها ما لم ألق عبديها وحرّيتها - يعني بالعبدین
عنتره بن شداد والسثليک بن السلکة * والحرین دريد بن الصمّة
وربيعة بن مکدم^(٣٣) .

وفي اخبار عامر بن الطفيل ، ان الاعشى أتى الاسود العنسي وقد
امتدحه ، فاستبظاً جائزته فقال الاسود : ليس عندنا عين ، ولكن نعطيك
عَرَضاً * فأعطاه خمسمائة مثقال دهنأ وبخمسائة حلا وعنبراً .

فلما مر ببلاد بني عامر خافهم على ما معه ، فأتى علقمة بن علاثة
فقال له : أجرني فقال : قد اجرتك قال : من الجن والانس ؟ قال نعم *
قال : ومن الموت ؟ قال : لا .

فأتى عامر بن الطفيل فقال : أجرني ، قال : أجرتك * قال : من
الجن والانس ؟ قال نعم * قال : ومن الموت ؟ قال نعم * قال وكيف
تُجبرني من الموت ؟ قال : ان مت وانت في جوارى بعثت الى أهلك
الدية . فقال الان علمت انك قد اجرتني من الموت فمدح عامرا وهجا
علقمة فقال علقمة لو علمت الذي أراد كنت اعطيته اياه^(٣٤) .

وكثيرا ما كانت تعقد في عكاظ المبايعه على اشهر الفرسان ، اعتزازا
ببطولاتهم ، وتمجيذا لمواقفهم * فتعقد لهم الوية الفروسية ، فقداجتمع
العكاظيون على أن فرسان العرب ثلاثة ، ففارس تميم عتبة بن الحارث
ابن شهاب أحد بني ثعلبة بن يربوع بن حنظلة صياد الفوارس ، وفارس
قيس ، عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وفارس ربيعة
بسظام بن قيس بن مسعود^(٣٥) .

لقد كانت فروسية هؤلاء الابطال - كما نراها بعيدة عن التهور
المضحك ، الخاص بالحمقى من رجال الحرب ، الذي يدفع الابطال الى

(٣٣) الاصفهاني : الاغاني ٢٧/١٤ ساسي .
(٣٤) الاصفهاني : الاغاني ٩/١٢٠ دار الكتب
(٣٥) المبرد : الكامل في اللغة والادب ١/١٣٤ .

نجدة المستغيث في أي ظرف، فيرتمون في المخاطر دون حساب للعواقب. ♦
فعنتره كان شجاعاً ، ولكنه مقتصد في شجاعته ، مفكر في طريقة
استعمالها . قيل لعنتره : انت اشجع العرب واشدها . قال : لا ، قيل :
فماذا شاع لك هذا في الناس ؟ قال : أقدم اذا رأيت الاقدام عزما ،
وأحجم اذا رأيت الاحجام حزما ، ولا ادخل موضعا لا اري لي منه
مخرجا . وكنت اعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة المهائلة يطير
لها قلب الشجاع ، فأثني عليه واقتله (٣٦) .
لقد كانت لعنتره فراسة تصيب ولا تخطيء ، وكأنه ادرك نفسيات
الرجال . وعرف كيف يتوغل في اعماقها ، فاحتفظت ذاكرة العرب على
مدى الاجيال بهذه الشخصية ، وبهذا الفارس ، فكان المثال الاعلى في
البسالة والبطولة الحربية ، وكانت احاديثه نواة الملحمة الكبرى في
تاريخ الادب العربي . ♦

(٣٦) الاصفهاني : الاغانى ١٥٨/٧ دار الكتب .

الفصل الثالث

عناصر الفروسية

الخيال :

لقد استأثرت الخيل بحب العرب منذ أقدم العهود ، لما تؤديه من خدمات يعجز عن ادائها سواها ، لذلك كانت عنايتهم بها ، واهتمامهم بتربيتها ، عناية تفوق كل شيء ، واهتماما لا يكون مثله اهتمام ، ففيها من خصال الشرف والمنافع ، والغناء في السفر والحضر ، وفي الحرب والسلم ، وفي الزينة والبهاء ، وفي العدة والعتاد ، ما ليس في غيرها من الحيوان (١) .

وقد اشتهر العرب منذ أقدم العصور بالمحافظة على أنسابها ، وعدم الخلط بين سلالاتها ، فكانوا يتناقلونها مشافهة صغيرهم عن كبيرهم ، وخذلوا ذكرها وصفاتها في قصائدهم ومقطعاتهم ، ثم عكف فريق من العلماء ، كالاصمعي وأبي عبيدة وغيرهما على تدوينها تدوينا منظما ، ووضعوا في ذلك رسائلهم التي لم يصل اليها منها الا النزر اليسير .

ولقد كان اطلاق الاسماء على الخيل عادة مألوفة ومعروفة ، ليتمكنوا من تمييزها ، وليعرفوا الاصيل منها من غيره ، وقد حفلت قصص الفروسية العربية بذكر كثير من اسماء الخيل التي كانت تمثل الاصحاب الحقيقيين لها ، والتي كانت لا تقل بطولاتها عن بطولات فرسانها ، فاستحقت بذلك الاعجاب والتقدير .

(١) الجاحظ : الحيوان تحقيق عبدالسلام هارون ٣/١٢٠

وقد ذكر صاحب انساب الخيل^(٢) اكثر من مائة فرس من أفراس الجاهلية والاسلام ، مع نسبتها الى اصحابها • نذكر قسما منها على سبيل المثال لا الحصر ، فقد حدث الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس: ان « اعوج » كان سيد الخيل المشهورة ، وانه كان ملكا من ملوك كنده فغزا بني سليم علاف فهزموه ، واخذوا « اعوج » ، فكان اوله لبني هلال ، تتجوه ، وامه « سبَل » بنت فياض ، كانت لبني جعدة • ثم انتشرت الخيل الجياد في العرب^(٣) •

وكان فيما سموا لنا من جياد فحولها واناثها المنجيات :

« الغراب » ، و « الوجيه » ، و « لاحق » ، و « المذهب » ، و « مكتوم » •

وكانت هذه جميعا لغنى بن اعصر بن سعد بن قيس بن عيلان • فقال طفيل الغنوي :

بناتُ « الغراب » و « الوجيه » و « لاحق »

و « اعوج » تسمى نسبة المتنسب

وكان منها « ذو العقال » لبني رياح بن يربوع • ومنها « داحس » وهو ابن « ذي العقال » • وامه « جلوى » الكبرى ، وله حديث طويل في حرب غطفان •

ومنها « الحنفاء » اخت « داحس » من ولد « ذي العقال » لحديفة بن بدر الفزاري •

ومنها « الغبراء » كانت لقيس بن زهير بن جذيمة^(٤) وهي خالة « داحس » واخته لاييه •

(٢) ابن الكلبي : انساب الخيل ص ١٢٩ •

(٣) اعتمدت في كتابة هذا الفصل على « كتاب انساب الخيل في الجاهلية والاسلام وأخبارها » لابن الكلبي وكتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لعلي بن عبدالرحمن بن هذيل الاندلسي •

(٤) وفي حلية الفرسان انها كانت لحمل بن بدر الفزاري ص ١٥٣

وكان منها « فياض » و « اسبل » لبني جعدة ايضا • وكان منها
« الحيمالة » و « القرريط » لبني سليم •

وكان منها « اللطيم » فرس ربيعة بن مكدم •
ومنها « الورد » فرس فضالة بن كلدة • ومنها « معروف » فرس
سلمة بن هند الغاضي • ومنها « ناصح » فرس فضالة بن هند وله
يقول :

« أناصحُ » شمر للرهان فانها غداة حفاظ جمعتهما الحلائبُ
أتذكر الباسيك في كل شتوة ردائي واطعاميك والبطن ساغبُ
فانك مجلوبٌ عليّ ضحى غد ومالك ان لم يجلب الله جالبُ
وكان منها « الشوهاء » • فرس حاجب بن زرارة ولها يقول بشر
ابن أبي خازم الاسدي :

وافلت حاجبٌ تحت العوالي على « شوهاء » تركع في الظراب
ولو ادركن رأس بني تميم عفرن الوجه منه بالتراب

وكان منها « الرقيب » • فرس الزبرقان بن بدر • وكان منها
« أثال » فرس ضمرة بن ضمرة النهشلي •
وكان منها « الشيط » فرس أئيف بن جبلة الضبي وهو جد
« داحس » من قبل أمه ، فيما زعم العبسيون •

ومنها « العراة » ، فرس كلجبه وهو هبيرة بن عبد مناف
اليربوعي • ومنها « العباب » فرس مالك بن نويرة • ومنها « الجون »
فرس متمم بن نويرة اليربوعي • ومنها « النحام » فرس سئيك بن
الشلكه السعدي •

وكان منها في قيس عيلان • وكان من مشهوري فرسان العرب ،
عامر بن الطفيل فرسه : « المزنوق » • ومنها « حذفة » • فرس خالد بن
جعفر • ومنها « جروة » فرس شداد بن معاوية العبسي • ومنها

« الأجر » فرس عنجرة بن شداد البسي • ومنها « الأدهم » فرسه أيضا •

ومنها « العرادة » فرس أبي دؤاد الأيادي • ومنها « الجمالة » فرس الطفيل بن مالك ، صارت الى عامر بن الطفيل • ومنها « قَرزُل » من ولد داحس ، فرس ابي عامر الطفيل بن مالك ابن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فارس قَرزُل •

ومنها « خِصَاف » ، فرس سفيان بن ربيعة الباهلي ويسمى فارس خصاف • وهي التي يضرب بها الناس مثلاً : « لانت اجراً من فارس خصاف » •

ومنها « السلس » • فرس مهلهل بن ربيعة التغلبي • ومنها « الشموس » • فرس يزيد بن خذاق • ومنها « اليعموم » • وهو فرس النعمان بن المنذر • ومنها « العطاف » فرس عمرو بن معد يكرب • ومنها « الهطال » فرس زيد الخيل الطائي •

ومن هنا نستطيع ان نقول انه ليس في ملكة الحيوان نوع يتداخل تاريخه مع تاريخ الانسان كالخيل ، ولسنا نخشى الاتهام بالمغالاة اذا قلنا ، ان ظهور الخيل وترويضها لخدمة الانسان كان من العوامل الحاسمة في تسيير التاريخ القديم • لان قيام كثير من الممالك القديمة ، كان رهنا بمدى اقتناء الخيول السريعة الخفيفة ، او بمدى معرفتها لوسائل استخدامها •

ولم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئاً من أموالها أو تكرمه صيانتها الخيل واکرامها لها ، لما كان لهم فيها من العز والجمال ، والمنعة والقوة ، فكانوا بها يدافعون عما يملكون ، ويحمون ذمارهم ، ويعادون اعداءهم ، ويطلبون ثاراتهم ، وينالون بها الغنائم • فأحبوها وعلق حبها بقلوبهم وظل ذكرها يتردد على شفاههم • قال ابو دؤاد (٥) :

(٥) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ١٨٢ •

عَلِقَ الخيلَ حب قلبي مقلا واذا ثاب عندي الاكثار
علقت همتي بهن فما يسع مني الاعتنة الا قنار
وانجرادي بهن نحو عدوي وارتحال البلاد والتسيار

وكان لهم فيها من التباهي والتفاخر والتنافس ما يدعو الى التأمل
ففي اكرامها اكرام للمرء نفسه ، لانها وقاية للنفس • وفي ذلك يحث
أحد بني عامر بن صعصعة قومه فيقول (٦) :

بني عامر ما لي أرى الخيل اصبحت بطانا وبعض الضمر للخيل أفضل
بني عامر ان الخيول وقاية لانفسكم والموت وقت مؤجل
أهيبوا لها ما تكرمون وباشروا صيانتها والصون للخيل أجمل
متى تكرموها يكرم المرء نفسه وكل امرئ من قومه حيث ينزل

حتى كان الرجل من العرب يبني طاويا ويشبع فرسه ويؤثره على
نفسه وأهله وولده ، فيسقيه المحض ويشرب الماء القراح • ويُعَيَّر
بعضهم بعضا باذالة الخيل وهزالتها وسوء صيانتها (٧) •

ولم تزل العرب على ذلك من تسمير الخيل ، والرغبة في اتخاذها
وصيانتها ، والصبر على مقاساة مؤونتها مع جدوبة بلادهم ، وشدة
حالهم في معيشتهم (٨) ، الى حد انهم سموها الخير ، وفي الحديث
الشريف : الخيل معقود في نواصيها الخير •

وقال الطفيل الغنوي (٩) :

وللخيل أيام فمن يصطبر لها ويعرف لها أيامها الخير تعقب

وليس أدل على اعزاز الخيل من قول امرئ القيس في معلقته (١٠) :

-
- (٦) ابو عبيدة : الخيل ص ١٢ .
(٧) نفس المصدر ص ٢ .
(٨) نفس المصدر ص ٣ .
(٩) ديوان الطفيل ص ١٦ .
(١٠) ديوان امرئ القيس ص ٢١ .

كأن على الكتفين منه اذا اتحى مداك عروس أو صراية حنظل (١١)
وبات عليه سرجه ولجامه وبات بعيني قائما غير مرسل (١٢)

وقد اضيف لفظ الخيل الى بعض الاسماء فقيل زيد الخيل ،
لشغفه بها ، وكثرة ما اجتمع لديه منها ، مع انها كانت غالية الاثمان ،
لا يقتنيها الا فارس شجاع ، يغنمها في غاراته ، أو كريم موسر يوجد
في شرائها بأمواله . وقد عرفت لزيد الخيل ستة افراس بأسمائها وهي :
الهطال والكميت والورد وكامل ودوول ولاحق (١٣) .

والفرس عدة للفارس في الحروب ، لحميتها وغيرها على صاحبها ،
لذا فقد كانوا يربونها قريبا منهم ، اكراما لها ، وتعظيما لقدرها ،
واعترافا بوصلها واعتزازا بها ، واستعدادا للقتال على ظهرها ، حتى
سميت المقربة . قال الحارث بن عباد (١٤) :

قربا مربوط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال (١٥)
وقال عامر بن الطفيل (١٦) :

وجياد لنا نعودها الاقدام ان غارت بدت وازبأرت (١٧)

(١١) مداك عروس : أي هو يبرق كما يبرق الحجر الذي يسحق
عليه الطيب . وخض العروس لانها قريبة العهد بسحق الطيب ،
فمداكها براق . والصراية : الحنظلة الصفراء البراقة .

(١٢) يعني انه كان مرتقبا للصباح ليصيد ، فلم يحط عنه سرجه
ولجامه . وقوله « وبات بعيني قائما » أي حيث أراه لكرامته علي . وقوله
« غير مرسل » أي لم أهمله لاني مستعد .

(١٣) الاصفهاني : الاغانى ٤٦/١٦ سياسى

(١٤) الاصمعي : الاصمعيات ص ٦٧

(١٥) النعامة اسم فرسه . لقحت : حملت . عن حيال : بعد
حيال ، والحيال بكسر الحاء من قولهم حالت الناقة أي لم تحمل ، وهذا
مثل ضربه لشدة الحرب .

(١٦) ديوان عامر ص ٣٢ .

(١٧) ازبأرت : انتفش وتكبر وتعظم .

مقربات كالهميم شعث النواصي قد رفعنا من حضرها فاستدرت (١٨)

وقال أيضا (١٩) :

للمقربات غدو حين تحضرها وغادة تستثير النقع في رهج

وقال أيضا (٢٠) :

ترى رائدات الخيل حول بيوتنا ابابيل تردى بالعشي وبالبحر (٢١)

وقال المزرد بن ضرار (٢٢) :

مقربة لم تقتعد غير غادة ولم تتمر الطبين منها السلائل (٢٣)

وقد بلغ من تعظيمهم الخيل ، انهم كانوا لا يهنئون الا بغلام يولد

او شاعر ينبغ أو فرس تنتج (٢٤) :

وكما كان لفظ الخيل يضاف الى بعض الاسماء ، كان يضاف لقب

الفارس الى فرسه ، تعظيما واکراما . فيقال : فارس الجون (٢٥) ، كما

(١٨) المقربة من الخيل التي تشد عند بيوتهم ، لا تترك تسرح .

كانها كريمة عليهم ، فهم يدنونها منهم ، والهميم : اراد العطاش ، اراد ان هذه الخيل تنازع أنفسها أصحابها كما تنازع هذه الظماء من الابل أنفسها أصحابها في شرب الماء . والحضر والاحضار : الاراع . فاستدرت: جادت بدرتها في السير .

(١٩) ديوان عامر بن الطفيل ص ٣٥ .

(٢٠) ديوان عامر بن الطفيل ص ٧٣ .

(٢١) الرائدات : التي ترود . تجيء وتذهب . وابابيل : جماعات .

ونردى : من الرديات . وهو ضرب من العدو .

(٢٢) ديوان المزرد ص ٤١ .

(٢٣) المقربة : المؤثرة ، المكرمة . لم تقتعد : لم تترك . غير غارة :

الا في غارة . لم تتمر : لم ترضع . واصل المرى مسح الضرع ليدر .

الطبيين : مفردا طبي وهو من الفرس بمنزلة الثدي من المرأة . والسلائل :

الاولاد .

(٢٤) ابن رشيقي : العمدة ٤٩/١ .

(٢٥) الحارث بن النعمان . والجون : الحصان الاسود . انظر

شعر علقمة في مختار الشعر الجاهلي للاعلام .

يقال فارس الضحياء *

وكان اشراف العرب يخدمون الخيل بأنفسهم ، ولا يتكلمون على سواهم في خدمتها ، وكانوا يفتخرون بكثرة العناية بها ، حتى عد ذلك مأثرة من المآثر التي يعتزون بها ، فكانوا يمرنونها على أكل قديد اللحم . فاذا اجلببوا وذل الحليب اطخموها منه ، كما كانوا يسقونها الماء الدافئ أيام الشتاء (٢٦) . وكان السهر على العناية بها مثار اعجاب الشعراء الذين كانوا يتخذون من ذلك موضوعا للمدح . ومما مدح الاعشى به هوذة بن علي الحنفي قوله (٢٧) :

جياذك في الصيف في نعمة تصان الجلال وتعطى الشعيرا (٢٨)

وكانوا لا يثقون بأحد في خيلهم الا بأولادهم ونسائهم ، وهذا دليل حرصهم عليها ، لان الاعتناء بها ، والمحافظة عليها ، محافظة على المرء نفسه . يقول الكلجة العرني (٢٩) :

وقلت لكأس : أجميها فانما نزلنا الكتيب من زرود لنفزعاً (٣٠)

وهذا بشر بن أبي خازم يروي لنا اهتمام العرب بالخيل منذ قديم الزمان ، وكيف انه وجد في كتاب بني تميم تلك التقاليد ، ليصل من ذلك الى مدح خيل قبيلته ، وثباتها في الحرب ، فقال (٣١) :

(٢٦) الجزائري : نخبة عقد الاجياد ص ٢٢٣ .

(٢٧) ديوان الاعشى : تحقيق محمد محمد حسين ص ٩٩

(٢٨) الجلال : جمع جل (بضم الجيم) وهو ما تلبسه الدابة

لتصان به .

(٢٩) الفضل الضبي : الفضليات ٣٠/١

(٣٠) كأس : اسم ابنته . الكتيب : القطعة من الرمل مستطيلة

محدودة . زرود : موضع . الفرع هنا : الإغاثة وهو من الاضداد .

(٣١) ديوان بشر بن أبي خازم ص ٧٨ .

وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار (٣٢)

ومن مظاهر اهتمام العربي بفرسه ، انه كان يلازمها ليل نهار ،
وصيف شتاء ، وكان لا يستقيها الا الحليب ، ولا يطعمها الا من طعامه ،
وفي ذلك يقول مالك بن نويرة (٣٣) :

إذا ضيع الانذال في المحل خيلهم فلم يركبوا حتى تهيج المصايف
كفاني دوائي ذا الخمار وصنعتي على حين لا يقوى على الخيل عالف
اعل أهلي عن قليل متاعهم وأسقيه محض الشول والحي هاتف (٣٤)
ويقول طفيل الغنوي (٣٥) :

(٣٢) لقد وجد هذا البيت في شعر بشر وفي شعر الطرماح .
ولذلك اختلفوا في قائله منذ القديم . وفي معنى قوله المعار خلاف .
فقالوا : المعار . العارية ، والمعنى : لا شفقة لك على العارية . لانها
ليست لك واحتجوا بالبيت الذي قبله ، وقال من رد هذا القول : المعار
المسمّن . يقال أعرت الفرس اعارة اذا سمنته . وقال الجوهري في صحاحه
ج ٢ ص ٧٦٣ : والناس يرونه المعار من العارية وهو خطأ . قال ابو
عكرمه : قال ابو عبيدة : هذا البيت للطرماح ولم يروه الطوسي لبشر ،
قال الانباري وقرأته على احمد بن عبيد لبشر . فلم ينكره ونسبه
صاحب اللسان ، تبعاً للجوهري ، للطرماح . ونقل صاحب اللسان بيتانحوه
شاهداً لقولهم أعرت الفرس اسمنته وهو :

أعبروا خيلكم ثم إركضوها أحق الخيل بالركض المعار

والظاهر ان هذا البيت قديم جداً ، واثه هو الذي حكى بشر انه
وجدته في كتاب بني تميم ، فروى شطره الاخير .
ينظر الصحاح للجوهري ج ٢ ص ٧٦٣ والمخصص ص ١٨٥
وشرح المرصفي للكامل ج ٤ ص ١٨٠ - ١٨٢ وديوان بشر بن أبي
خازم ص ٧٨ .

(٣٣) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ١٨٢ .
(٣٤) الشول : جمع شائلة وهي من الابل ما أتى عليها من حملها
أو وضعها سبعة أشهر ، فجف لبنها ، والمحض : اللبن الخالص .
(٣٥) ديوان الطفيل الغنوي ص ٣٠ .

انى وان قل مالي لا يفارقني مثل النعامة في اوصالها طول (٣٦)
ويقول جعفر بن أبي كلاب فارس (حَذْفَه) الذي كان يقوتها
بقوته اذا حل الشتاء ، ويلحفها بردائه عند اشتداد البرد في الليالي
الباردة ، ويأمر الرعاة ليؤثرونها باللبن الخالص (٣٧) :

اريعوني اراغتمكم فاني وحذفة كالشجا تحت الوريد
أسويها بنفسي أو بجزء فألحفها ردائي في الجليد
أمرت الراغين ليؤثراها لها لبن الخلية والصعود (٣٨)
ويقول عنتره في فرس أبيه شداد (٧٩) :

فمن يك سائلا عني فاني وجروة لا ترود ولا تعيار (٤٠)
مقربة الشتاء ولا تراها وراء الحي يتبعها المهار (٤١)

وقد تصل العناية بالخيل الى درجة رفيعة ، فتبلغ قيمتها في نفس
صاحبها مبلغا كبيرا ، فيفضلها على ابنائه ، ويشرب ما تبقى من اللبن ،
ويلبسها غطاء الرأس لعزتها ، قال متمم بن نويرة (٤٢) :

فله ضرب الشول الا سؤره والجل فهو مربب لا يخلع (٤٣)

-
- (٣٦) شبه الفرس في طول الساق بالنعامة .
(٣٧) ابن هذيل : حلية الفرسان ص ١٨٢ .
(٣٨) الخلية : التي تعطف على ولد غيرها لتدر . والصعود : التي
تلقى ولدها لغير تمام .
(٣٩) ديوان عنتره : تحقيق عبدالمنعم عبدالرؤف شلبي ص ٧٨ .
(٤٠) جروه بالكسر : اسم فرس شداد العبسي . ترود : تجول ،
والخيل اذا أكرمت لا تترك تجول .
(٤١) خص الشتاء لانه زمن المحل والجذب ، فالكرم فيه أمدح .
أي انها للركوب دون النسل .
(٤٢) المفضل الضبي : المفضليات ١ / ٥٠ .
(٤٣) الضريب : اللبن الخالص . الشول : التي شولت البانها اي
ارتفعت . يريد انه يسقى اللبن الخالص وما بقى سؤره لا يرده عليه
بل يشربه هو واهله .

وقد بلغ من اعتزاز العربي بفرسه ، انه كان يفضلها على زوجته ،
 فالاعرج المعنى يتحدث عن امرأته التي تتفجع تارة ، وتتوجع اخرى ،
 تعيب عليه وتلومه ، ولكنه لا يعلم الشكوى ومبعثها ، ثم يعرف بعد
 ذلك أن زوجته تعيب عليه ايثار فرسه (الورد) عليها باللبن ، ويقول ان
 فرسه أفضل من زوجته ساعة الفزع ، ووقت الغارة ، فهو عدة دفاعه ،
 وفي المعركة يجزيه بما كان يعامله به من ايثاره باللبن فيقول (٤٤) :

ارى أم سهل ما تزال تفجع تلوم وما ادري علام توجع
 تلوم على أن اعطي الورد لفتح وما تستوي والورد ساعة تفزع

وكما لام الاعرج المعنى زوجته ، لام عنثرة امرأته ، لذكرها فرسه ،
 واعتراضها على سقائه اللبن ، واطعامه الطعام فقال :

لا تذكرني مهري وما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الاجرب (٤٦)
 ان الغبوق له وأنت مسوءة فتأوهي ما شئت ثم تحويبي (٤٧)

وكان الفارس يطلق عليها لفظ « صاحبي » لمصاحبته له في غزواته
 وصيده ، قال متمم بن النويرة (٤٨) :

ولقد غدوت على القبيص وصاحبي نهذ مراكله مسح جرشع (٤٩)
 ووصلت منزلتها في نفسه الى درجة التقديس ، فكان يخشى عليها

(٤٤) ابو تمام : الحماسة : شرح المرزوقي ٣٤٩/١

(٤٥) ديوان عنثرة ص ٢٠

(٤٦) ينذرهما بالبعد عنها ، وهجران فراشها ان هي ذكرت هذا

المهر وما يطعمه .

(٤٧) الغبوق : شراب العشي . ومسوءة مخزونة . والتحوب :

التوجع .

(٤٨) المفضل الضبي : المفضليات ٤٩/١ .

(٤٩) النهذ : التام . المراكل : جمع مركل بفتح الميم والكاف وهو

وهو موضع رجل الفارس من حيث الفرس . المسح : السريع العدو .

الجرشع : الغليظ .

كل امر ، فيعلق لها التمايم والادعية خوف الحاسدين • كقول خفاف بن نديه :

يعقد في الجيد عليه الرقي من خيفة الانفس والحاسد (٥٠)

وقد تغنى العربي بامتلاكه الفرس ، وقد كان من تقاليدہ ألا يبيع فرسه مهما تعاضمت الاحوال • وضاعت به المسالك ، لان في ذلك مثلبة لا تدانيها مثلبة ، وهذا ما يوحى بالثقة الاكيدة التي تغمر قلب العربي ، والاعتقاد الراسخ بجه لهذا الحيوان الاصيل العريق ، وقد تخصص فريق من الشعراء في اوصافها •

وقد ذكر الاصمعي ، ان ثلاثة من العرب لا يقاربهم احد في وصف الخيل : ابو دؤاد الايادي والظفيل الغنوي والنابعة الجعدي • فاما ابو دؤاد فكان على خيل النعمان بن المنذر ، والظفيل كان يركبها وهو اعزل الى أن كبر ، والجعدي سمع اوصافها من اشعار اهلها فاخذها عنهم (٥١) •

وقال ابو عبيدة : ان ابا دؤاد اوصف الناس للفرس في الجاهلية والاسلام ، وبعده ظفيل الغنوي ، والنابعة الجعدي ، وكان ابو عبيدة عالما باوصاف الخيل وكان يقول : ما التقى فرسان في جاهلية ولا اسلام ، الا عرفتهما وعرفت فارسيهما (٥٢) • وقال ابن الاعرابي : لم يصف أحد قط الخيل الا احتاج الى ابي دؤاد ، وقد لقب بنعات الخيل لانه احسن نعتها (٥٣) •

والخيل العتاق ، تعتبر من اسرة الفارس ، فهو يحبها اشد الحب ، ويرعاها احسن الرعاية ، ويديم النظر اليها من كل ناحية ، وفي كل حركة ، وهو يسميها كما يسمي اولاده بما يملأ نفسه جبا اذا دعاها •

(٥٠) الاصمعي : الاصمعيات ص ٢٠

(٥١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٦٩

(٥٢) الجزائرري : نخبة عقد الاجياد في الصافنات الجياد ص ١٠٠

(٥٣) نفس المصدر •

وقد لا يكتفي العربي باوصافه هذه ، وانما يحاول ان يستدق في الوصف ، ويطيل من مناحيه ، فيتناول اعضاءها وقوتها • وقد دارت اوصافها في شعرهم ، فلم يكادوا يتركون عضوا من اعضاءها الا وصفوه ، كما اهتموا بتريبتها في السن ، وتسمية اعضاءها ، والوانها ، وشياتها ، وغررها ، وحجولها ، ودوائرها ، وما قيل في طبائعها وعاداتها ، والمحمود من صفاتها ، ومحاسنها ، والعلامات الدالة على جودتها ، ونجابتها ، وعد عيوبها التي تكون في خلقها ، وجريها ، والعيوب التي تطرأ عليها ، وقد زخرت كتب الادب بذلك وافرد لها المصنفات (٥٤) .

ومما جاء في معلقة امرئ القيس قوله (٥٥) :

وقد اغتدى والطيير في وكناتها بنجرد قيد الاوابد هيكلا (٥٦)
مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل (٥٧)
كميت يزل اللبد عن حال منته كما ذلت الصفواء بالمتنزل (٥٨)
مسح اذا ما السابحات على الونى اثرن غبارا بالكديد المركل (٥٩)

- (٥٤) ابن سيدة : المخصص ١٣٥/٦ والثعالبي : فقه اللغة ، الابواب السابع عشر والعشرون .
- (٥٥) ديوان امرئ القيس ص ١٩
- (٥٦) الوكنات : جمع وكنة وهو الموضع الذي يأوى اليه الطائر . المنجرد : الفرس القصير الشعر ، وهو من وصف عتاق الخيل . الاوابد : جمع آبد : وهي الوحوش النافرة . اي انه لسرعته يقيد الوحوش في الغلوات فلا تفوقه لسرعته . الهيكل : العظيم الخلقة .
- (٥٧) مكر : يحسن الكر . مفر : يحسن الفر . الجلمد : الجلمود وهو الحجر الصلب . من عل : من مكان عال .
- (٥٨) كميت : احمر اللون . والحال : موضع اللبد من ظهره . والصفواء : الصخرة الملساء . والمتنزل : الموضع المنحدر .
- (٥٩) المسح : الكثير الجري . والسابحات : الخيل تبسط ايديها اذا عدت . والونى : الفتور . والكديد : الارض الصلبة او الفليظة المرتفعة . والمراكل : الذي اُثرت فيه الحوافر ، واثارت غباره ، وقيل الذي يركل بالرجل .

- على العقب جياش كأن اهتزاه اذا جاش فيه حميته على مُرجل (٦٠)
 يطير الغلام الخف عن صهواته ويلوى باثواب العنيف المثقل (٦١)
 درير كخدروف الوليد أمره تقلب كفيه بخيط موصل (٦٢)
 له ايطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تنقل (٦٣)
- كما جاءت قصيدة الاسعر الجعفي مصداقا لما ذكرناه * فهو من
 خلال أبياته يصف فرسه ، معتزاً بها ، بل معتزاً بالخيل كلها (٦٤) .
- ولقد علمت على تجشمي الردى ان الحصون الخيل لامدر القرى (٦٥)
 راحوا بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتدواى (٦٦)

- (٦٠) العقب : هو عقب الانسان : اي اذا غمزته بالعقب جاش
 وقيل : العقب جرى يحيى بعد جرى .
- (٦١) ، (٦٢) الخف : الخفيف . والصهوات : جمع صهوة وهي موضع
 اللبد من ظهر الفرس . ويلوى باثواب العنيف : يذهب بها من شدة عدوه .
 والمثقل : الثقيل الذي لا يحسن الركوب . يقول يسقط الغلام الخف عن
 ظهره من سرعة عدوه وشدة دفعه ، ويخاف الثقيل ان يصرعه لدوران
 فيثبت على ظهره ، ولا يثبت عليه ثوبه . الدرير من الخيل ومن كل
 الدواب : السريع الخفيف . والخدروف : الدوارة يلعب بها الصبي ،
 يشدها بخيط في يديه . وهي سريعة المر . والموصل : الذي اخلق
 وتقطع من كثرة اللعب به ، فوصل .
- (٦٣) ايطلا الظبي : خاصرته . وارخاء السرحان : جرى الذئب .
 والتتفل : ولد الثعالب . والتقريب : وضع الرجلين موضع اليدين .
- (٦٤) الاصمعي : الاصمعيات ١٥٧ .
- (٦٥) تجشم الردى : ركوبه على كره ومشقة . وفي كثير من
 روايات البيت على تجنبي الردى ، يريد انه يتحاشى الهلاك . المدر :
 الطين اليابس .
- (٦٦) البصيرة : ما استدار من الدم مقدار الدرهم . العتد :
 بفتح التاء وكسرهما : الفرس الشديد التام الخلق ، السريع الوثبة ، المعد
 للجري ، ليس فيه اضطراب ولا رخاوة . الوأى : الطويل من الخيل وقيل :
 الصلب . يعني لانهم حملوا دم ابيهم على اكتافهم وتركوا طلب الثأر فجعلوه
 ظنهم ، واخذوا الدية ، فصارت عارا . وبصيرتي : أي ثاري قد حملته
 على فرس لاطالب به .

نهـد المراكـل مدمـج ارساغـه عـبل المعاقـم ما يـبالي ما أتى (٦٧)
 اما اذا استقبلته فكأنه باز يكفان يطير وقدرأى (٦٨)
 واذا هو استدبرته فتسوقه رجل قموص الوقع عارية النساء (٦٩)
 واذا هو استعرضته متمطرا فتقول هذا مثل سرحان الغضا (٧٠)
 اني رأيت الخيل عزا ظاهرا تنجى من الغسى ويكشفن الدجى (٧١)
 ويبتن بالثغر المخوف طلائعا ويشن للصلوك جمّة ذي الغنى (٧٢)

وكانت للعرب معرفة حسنة في شؤون الخيل واحوالها ، لم يسبقهم اليها سواهم ، لعنايتهم بافراسهم • وقد اكثر الشعراء من ذكرها ، فوصفوها في اشعارهم ، وما ذاك الا لانهم امة جلاذ وكفاح ، الخيل أول عدتهم في القتال ، والذود عن حقيقتهم • فهي حصون منيعة ، يتحصنون بها ، ومعقل امينة يلتجأون اليها •

وقد وضعت العرب لعناق الخيل اسماء تدل على عتقها وكرمها في اوصاف مخصوصة فمن ذلك « الطّرف » وهو الحسن الطويل ، المقابل في الجياد من أبويه الذي حسن في المرأة • و « اللثموم » وهو الجيد الحسن الخلق ، الصّبور على العدو ، الذي لا يسبقه شيء طّلبه ، ولا يدركه من تبعه ، و « العنّجوج » الجيد الخلق ، الحسن الصورة في طول • و « الهذلول » الطويل القوي الجسيم • و « الذيّال » الطويل الذنب • و « الهيكل » العظيم الخلق ، الحسن المنظر •

(٦٧) المراكـل جمع مركل : بفتح الميم والكاف وهو حيث يركل الراكب الدابة برجله ، يحركها للركض • والنهد : التام الجسيم • المعاقم : المفاصل • والعبل : الممتلىء •

(٦٨) الباز : ضرب من الصقور يصاد به •

(٦٩) قموص الوقع : من قماص الفرس • يقال قماص الفرس وهو أن يرفع يديه ويطحهما معا ويعجن برجليه •

(٧٠) متمطرا : مسرعا • السرحان : الذئب •

(٧١) الغضا : شجر •

(٧٢) يشن : يعطين من الاثابة • الجمّة اصلها معظم الماء •

و « النهدي » الجواد العظيم ، الشديد الاعضاء • و « الجرثشع »
 العظيم الخلق ، الواسع البطن ، الواسع الضلوع • و « السلهب »
 الطويل المقاصص الطويل القوائم و « الخذيذ » الجسيم من الخيل وهو
 من الاضداد • و « الخارجي » هو الجواد العتيق بين ابوين هجينين •
 و « المقرَّب » الكريم على اهله المخالط بالعيال ، المرتبط قريبا لعزته •
 « البحر » الكثير الجري الذي لا يفتر • واول من تكلم في ذلك رسول
 الله (ص) ، ركب فرساً لابي طلحة ، فقال : انا وجدناه بحرا •

و « المسوِّم » الذي خُصَّ بعلامة يتميز بها عن غيره • و « الاجرد »
 القصير الشعر ، والاثني جرداء ، والجميع منها : الجرد • و « الشطَّب »
 الحسن القد • « الاقود » الطويل العنق • و « الضَّبور » الذي
 يصفى يديه اذا جرى ، وهو من احسن جري الخيل ، واسم ذلك
 الجري ، الضَّبْر • و « الضَّرم » هو من الخيل الذي لا يبالي آفي
 حَزْنٍ جرى أم في سهل ، وكأنه لهيب النار •

و « السابح » الذي يسطو بيديه قَدْمًا اذا جرى • و « المناقل »
 السريع نقل القوائم في جريه ، و « المطهَّم » التام الحسن الخلق •
 و « الطموح » السامي الطَّرْف الحديدُ النظر • و « الشَّيْظَم »
 الحسن الطويل • و « الاقبُ » المنطوي الكشَّح الضامر • و « المخب »
 البعيد ما بين الرِّجْلين من غير فَحَج •

وهناك صفات اخرى يمكن الرجوع اليها في كتاب حلية الفرسان •

وكما اسلفنا فقد تخصص قسم من الشعراء في اوصافها ، واشتهارهم
 بذكر اعضائها ، ومميزاتها ، فكان أبو دؤاد الايادي الذي قال اكثر
 اشعاره فيها • وطفيل الغنوي الذي اعتبر من اوصف العرب للخيل حتى
 سموه طفيل الخيل لكثرة وصفه اياها ، كما انه كان يُدخل وصفها في

(★) اعتمدت في هذا الفصل على ابن هذيل الاندلسي في كتابه حلية

الفرسان وشعار الشجعان ، وعلى كتاب انساب الخيل لابن الكلبي •

كل باب من ابواب شعره •

وقد حفلت كتب اللغة بالاضافة الى كتب الادب والتاريخ باسماء الخيل ، وخلقها ، ودوائرها ، وما يستحب منها ، وما يكره فيها ، والوانها الى غير ذلك مما يتعلق باحوالها ، واشكالها ، واوصافها • وفي هذا ما يدل على ان امة العرب كانت امة حرب وضرب • وجدت في مفازات الصحراء مجالا لبطولاتها ، فكان هذا الديوان الكبير من الشعر ، وهذا الكتاب الضخم من الخطب ، والامثال والحكايات يحفل بهذه الاسماء ، ويمتليء بهذه المرادفات والنعوت ، ليُدلل على قوتهم وجبروتهم •

الخيال في الحرب :

ليست دراستنا للخيال في هذا المجال دراسة مفصلة تجمع كل ما قاله العرب فيها ، وما يتصل باحوالها ، واوضاعها ، واصنافها ، والوانها ، وامراضها ، لان ذلك يستلزم منا وقتا طويلا ، واسفارا كبيرة ، ولكننا سنتطرق في حديثنا لما قاله الشعراء عنها ، وتحدثوا به في مجال الحرب ، وما تقوم به من ادوار في حياة الفارس ، فوزا او هزيمة ، ولخطورة هذه الادوار ، نجدها اخذت نصيبا وافرا في شعر الحرب ، وشغلت حيزا واسعا من حياة الصراع في العصر الجاهلي •

والخيال من اولى معدات الحرب ، واشدها حاجة وقت الشدة ، وعلى مدى قوتها وخبرتها بالحرب تكون درجة القتال ، وعلى ثباتها في المعركة تتوقف نتائج المعارك • فطبيعة الحياة القاسية برماليها المحرقة ، وآفاقها الممتدة عبر مضارب الخيام الشامخة ، وسط الصحارى المحملة بكل شمس ، جعلت العربي في باديته يرتبط ارتباطا وثيقا بها ، لانها عنوان بارز من حياته الصعبة المضطربة بالاحداث ، الزاخرة بالحروب ، المفعمة بالغارات ، خُثقت منه انسانا يحسن الفروسية ، لانه بفضلها يدرك غايته ، وبسرعة خيله يتعقب اثار خصمه ، وبمهارتها وذكائها يتمكن من تسديد الضربة الصائبة الى قلب عدوه •

وقد امن الفارس صداقة فرسه ، واطمأن الى وفائه ، فهو انيسه في المعامرة ، وصاحبه في السرى ، ورفيقه في الحل والترحال ، وقد لمس العربي تلك الصداقة في اشد محنه ، وتذوقها في اخرج ساعاته ، وعرفها في التمتع الاسنة ، وتحت ظلال السيوف ، يبثه شكواه ، ويقاسمه احزانه ، وقد كان يجيش في نفوس الفرسان احساس عميق نحو خيولهم التي تعيش معهم حين تنال منها سيوف الاعداء ورماحهم ، وكثيرا ما كانوا يصورون آلامها وجروحها الجسدية والنفسية كقول عنتره (٧٣) :

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا اليّ بعبرة وتحمحم (٧٤)
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكن لو علم الكلام مكلّمي (٧٥)

لقد رفع عنتره جواده في هذا الموقف الى درجة الشعور الانساني ، والادراك الحقيقي ، لان الشكاية لا تصدر الا من عاقل ، وشكاية فرس عنتره عبء تتحدر من عين هذا الفرس الاصيل ، وحممة تنبعث من صدره وهو يمر بمرحلة الازورار ، فاراد الاعتذار فتمكن من التعبير ، واجاد عنتره التصوير بادق صورته ، لان فرسه عمدته في الحرب ، وحصنه الذي يتحصن به .

وقد يمنح الفارس فرسه صفة اخرى من صفات الانسانية ، وهي نداؤها للفرسان باظهار شجاعتهم ، ودعوتهم الى الثبات والصمود في القتال ، اذا وجدتهم يولون الادبار . ويصور لنا الحارث بن وعله الجرمي هذه الصورة فيقول (٧٦) :

ولما سمعت الخيل تدعومقاعسا تطالعني من ثغرة النحر جائر (٧٧)

(٧٣) ديوان عنتره ص ١٥٣ .

(٧٤) المحاورة : المراجعة .

(٧٥) ازورر : مال . والتحمحم : صوت مقطّع ليس بالصهيل .

(٧٦) المفضل الضبي : المفضليات ١/١٦٤

(٧٧) مقاعس : اراد بني مقاعس . تطالعني : طلع مني وارتفع يعني

فزعا . ثغرة النحر : الثغرة في أعلى الصدر . الجائر حرّ يؤذي الجوف عند الجوع .

وهي الى جانب كل ما تقدم ، تثبت في الحرب ، ولا تتألم حتى
اذا جرحت ، لانها عريقة النسب اصيلة •

قال ربيعة بن مقروم (٧٨) :

وجردا يُقرَّبُ بن دون العيال خلال البيوت يلكن الشكيما (٧٩)
تعوَّد في الحرب أن لا برّاح اذا كلّمت لا تشكى الكلوما (٨٠)

والخيل تخوض الحرب كما يخوضها الفارس ، وتخرج منها
محجلة الايدي دما بعد وطئها القتلى ، وهي بعد هذا تأتي بالغنم فمن
يعرف ايامها تعقبه الخير • قال الطفيل الغنوي (٨١) :

طوامح بالطرف الظراب اذا بدت مُحجّلة الايدي دما بالمخضَّب (٨٢)
وللخيل ايام" فمن يصطبر لها ويعرف لها ايامها الخير تعقب (٨٣)

وقد يدعو الفارس فرسه الى التّاسي والصبر اذا شعر بوقع
الرماح عليه ، لئلا لا شرف النصر معا كقول عامر بن الطفيل (٨٤) :

الست ترى ارماحهم في شرعاً وانت حصان ماجد العرق فأصبر (٨٥)

(٧٨) المفضل الضبي : المفضليات ١/١٨٣ .

(٧٩) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . يقربن دون العيال : يؤثرن

ويفضلن بالاكرام . يلكن : يمضفن . الشكيم : لسان اللجام .

(٨٠) كلمت : جرحت . الكلوم : الجروح . يقول اذا جرحت

صبرت ولم تبرح .

(٨١) ديوان الطفيل الغنوي : ص ١٥ - ١٦ .

(٨٢) واحد الظراب : ظرب . اي يطمحن الى الجبال ينظرن

اليهن . محجلة الايدي دما : يريد انها خاضت الدماء ووطئت القتلى فبلغ

الدم منها المخضب اي موضع الخضاب .

(٨٣) قال الاصمعي : يقول الخيل تأتي بالغنم . فمن يعرف لها

ايامها الخير اعقبته . قال والخير صفة للايام كأنك قلت وللخيل الخير

فمن يعرف لها ايامها تعقبه الخير .

(٨٤) ديوان عامر بن الطفيل ص ٦٢ .

(٨٥) يخاطب فرسه يقول : انا صابر على ما يرد علي من الرماح

المشرعة نحوي . وانت فرس كريم شريف العرق ما ضرب منه هجين

ناصر معي .

وكثيرا ما كان الفارس يستشهد بالخييل على بلائه في المعركة ،
 وبطولته ويضفي عليها صفة العلم والدراية فيقول زيد الخيل^(٨٦) .
 والخييل تعلم أني كنت فارسها يوم الاكس به من نجدة روق
 وقد يطلقون لفظ الخييل احيانا وهم يقصدون الفارس لتلازم
 المعنى واتفاقه . قال دريد بن الصمة يرثي اخاه^(٨٧) :

تنادوا فقالوا : اردت الخييل فارسا فقلت أبعده الله ذلكم الردي^(٨٨)
 فطاعت عنه الخييل حتى تبددت وحتى علاني حالك اللون اسود^(٨٩)
 وقال ودك بن ثميل المازني يتوعد شيبان ويتهددهم^(٩٠) :

رويد بني شيبان بعض وعيدكم تلاقوا غدا خيلي على سفوان^(٩١)
 تلاقوا جيادا لا تحيد عن الوغى اذا ما غدت في المأزق المتداني^(٩٢)

وللخييل كره في الحرب يباهى به، وكسبها في الحرب غنيمة يفخر بها،
 وفي ذلك يقول الحصين بن الحمام المري^(٩٣) :

فليت ابا شبل رأى كرخيلنا وخيلهم بين الستار فأظلم^(٩٤)
 نظاردهم نستنقذ الجرد كالقنا ويستنقذون السميري المقوما^(٩٥)

(٨٦) ديوان المعاني : ج ٢ ص ٤٩ .

(٨٧) حماسة ابي تمام المرزوقي : ص ٨١٦ والاصمعيات ص ١١٣

(٨٨) الردي : الهالك من الردي وهو الهلاك .

(٨٩) اسود : بالرفع وهو اقواء . وكلمة الخييل في البيت الاول

الفرسان وكذلك في البيت الثاني .

(٩٠) ابو تمام : الحماسة شرح المرزوقي ١/١٢٧

(٩١) سفوان : اسم ماء قالوا هو من البصرة على اميال .

(٩٢) المراد بالخييل : الفرسان والمعنى : تلاقوا فرسانا كراما لا تمل

الحروب ، ولا تعدل عنها اذا ابتكرت في مضيق منها ، تتلاحم فيه

الفرسان وتتداني فيه الابطال والشجعان .

(٩٣) المفضل الضبي : المفضليات ١/٦٣ .

(٩٤) الستار واطلم : موضعان .

(٩٥) الجرد : الخييل قصيرة الشعر . السميري : الرمح يقول

نغنم منهم خيلهم ونترك في اجسادهم رماحنا اذا طعنناهم فهم يحاولون

اخراجها .

ويقول الافوه الاودي يصف صولة فرسه في الحرب وكرها على العدو (٩٦) :

ان يجل مهري فيكم جولة فعليه الكر فيكم والغوار
كشهاب القذف يرميكم به فارس في كهه للحرب نار

ومن عادة الخيل الاصيله ان تبقى من عدوها بقية لوقت الحاجة .
كما انها اذا علمت بانه سيغار عليها - وكانت عطاشا - شربت من الماء
بعض الشرب . والبعض الآخر لا تشرب الماء البتة ، لما تلاقيه من الشدة
اذا حورب عليها .

والى ذلك يشير الكلجبة اليربوعي صاحب العرادة عندما جاءه ،
نذير الحرب . وكانت فرسه قد سقيت ملء الحوض ماء . فلما
الجمها وركب ظلعت فقال (٩٧) :

فان تنج منها يا حريم بن طارق فقد تركت ما خلف ظهرك بلقعا (٩٨)
ونادي منادي الحي ان قد اتيتم وقد شربت ماء المزادة اجمعا (٩٩)
وقلت لكأس : الجميها فانما نزلنا الكتيب من زرود لنفزعاً (١٠٠)
كان بليتيها وبلدة نحرها من النبل كراث الصريم المنزعا (١٠١)

(٩٦) ديوان الافوه الاودي في الطرائف الابية ص ١٢ .

(٩٧) المفضل الضبي : المفضليات ٢٩/١ .

(٩٨) حريم : ترخيم حزيمة . البلقع : الاجرد الذي لا شيء فيه .
يقول ان نجوت منها فقد ذهبت بحالك ، والعرب كثيراً ما تسند عملها
الى الخيل ، لانهم عليها فعلوا وادركوا .

(٩٩) المزادة : اناء كبير من جلد يتزود فيه الماء . يقول اتاهم
الصربخ وقد شربت فرسه فعاقها من الجري ، فهو يعتذر عن انفلات
حزيمة منه .

(١٠٠) كأس : اسم ابنته . زرود : موضع . الفزع : الاغاثة وهو
من الاضداد .

(١٠١) الليت : بكسر اللام صفحة العنق . بلدة النحر : ثغرتة وما
حولها . الكراث : نبت . الصريم : قطع من الرمل . المنزوع : المنزوع : لان

فادرك ابقاء العرادة ضلعها وقد جعلتني من حزيمة اصعبا (١٠٢)

وقد تفنن الشعراء الفرسان في اوصاف خيلهم ، وتصوير جريها ،
وما تفعله بالارض ، وما تثيره من غبار ، وما تسحقه من حصى ، فيتطير
الغبار كالدواخن ، وينفتت الحصى كذرى البرد الساقط ، وعليها
الفرسان تنحدر بهم من مرتفع الى ثنية ، وتجنح بهم من واد الى سهل .
قال الطفييل الغنوي (١٠٣) :

كأن سدا قطن النوادف خلفها اذا استودعته كل قاع ومذنب (١٠٤)
اذا هبطت سهلا كأن غباره بجانبه الاقصى دواخن تنضب (١٠٥)
كأن رعال الخيل لما تبددت بوادي جراد الهبوة المتصوب (١٠٦)
وهصن الحصى حتى كأن رضاضه ذرى برد من وابل متحلب (١٠٧)
يبادرن بالفرسان كل ثنية جنوحا كقراط القطا المتسرب (١٠٨)

ان اهتمام العرب بتنشئة ابنائهم على الخيل ، وتعويدهم على

ساق الكراثة تكون في الرمل فاذا انزعت اشبهت السهم . يصف كثرة ما
اصاب فرسه من السهام .

(١٠٢) المبقية من الخيل : التي تبقى بعض جريها تدخره . الظلع ،
العرج والغمز في المشي . يقول إن شرب العرادة اضعف جريها ، فغلب
ظلعها ابقاءها ففاتها حزيمة وهو قيد اصبع منها .

(١٠٣) شعر الطفييل ص ٩/٨ .

(١٠٤) يقول كأنها تنشر ملاءة من الغبار . والمذانب مجاري الماء
الى الروضة والواحد مذنب .

(١٠٥) تنضب : شجر له دخان البيض .

(١٠٦) الرعلة : القطعة . بواديه : اوائله . والهبوة : الغبرة .

يقال ما هاج جراد الا هبت أو هاجت هبوة .

(١٠٧) الوهص : شدة الوطء . رضاضه : ما ترصض منه وتكسر .

ذرى برد : يريد اعاليه . يعني المطر .

(١٠٨) جنوحا : جنوحا : جنحنا الى الارض قليلا . والفرارط ما

سبق . والمتسرب التي تمضي سرية سرية أي قطعة قطعة . والثنية :

المطلع في الجبل والطريق المنحفر في الربوة .

ركوبها ، كانت ضرورة تحتمها الظروف القاسية ، وكانت هذه التنشئة
وفقا على ابناء العرب من ذوي النسب فقط ، اما العبيد فعملهم يقتصر
على الرعي والخدمة ، وكانت رياضة ركوب الخيل من الخصال التي
ينشأ عليها الشباب في البادية ، ويظلون محتفظين بها ، معتزين باصولها ،
لأنها دليل على الحيوية والنشاط * والى ذلك يشير امرؤ القيس في
قوله (١٠٩) :

واصبحت ودعت الصبا غير انني اراقب خللات من العيش اربعا
فمنهن قولي للندامي ترفعوا يداجون نشاجا من الخمر مترعا (١١٠)
ومنهن ركض الخيل ترجم بالقنا يبادرن سربا آمنا ان يفزعا (١١١)

كما ان التدريب على القتال ، كان يستوجب الخيل ، ولم تكن
الخيل - لارتفاع ثمنها - ميسرة لكل من يطلبها ، ولذلك نجد انها
اقتصرت على ابناء العرب وحدهم ، والذين يستطيعون الحصول عليها ،
وكما كان الاهتمام باصالة الفارس ، كان الاهتمام باصالة الفرس وكما
كان العربي يتغنى ببطولته في المعركة ، وبلائته في الحرب ، كان يتغنى
ببلاء فرسه ، لأنها تهزم القوم ، وترفع احساب من صبر في الحرب ،
وهي بعد ذلك تلاقي الغنيمة ، وتنجي من تضيق به السبل * قال
الحصين بن الحمام المري (١١٢) :

فالحقن اقواما لئاما باصلهم وشيدن احسابا وفاجأنا مغنما (١١٣)

-
- (١٠٩) ديوان امرؤ القيس ص ٢٤٠ .
(١١٠) يداجون : يدأرون ويعالجون . النشاج : الذي يجيد
الشرب . ومترع : مملوء .
(١١١) ترجم بالقنا : اي تعدو عدوا شديدا . والسرب : الحي .
(١١٢) الفضل الضبي : الفضليات ٦٧/١ .
(١١٣) قوله الحقن : يعني الخيل : هزمت قوما وصفهم بالخور ،
للؤم اصولهم . وشيدن احسابا : أي رفعتها واعظمن ذكرها يريد بذلك
من صبر في الحرب . وقوله فاجأنا مغنما : لقينه .

وانجين من ابقين منا بخطبة من العذر لم يدنس وان كان مؤلماً (١١٤)
وقد بلغ من اعتزاز الفرسان بخيلهم ، ان فريقا من الشعراء كانوا
يفتحون قصائدهم بذكرها .
قال يزيد بن الحذاق (١١٥) :

اعددت سبحة بعدما قرحت ولبست شكة حازم جلد (١١٦)
وقال قصيدة اخرى يتهدد بها النعمان وقد افتحها بذكر
فرسه (١١٧) :

الاهل اتاها ان شكة حازم لدي وأني قد صنعت الشموسا (١١٨)
كما افتح الحارث بن عباد قصيدته المشهورة بقوله (١١٩) :

قربا مربط النعمامة مني لقحت حرب وائل عن حيال (١٢٠)
وقال عامر بن الطفيل (١٢١) :

افراسنا بالسهل بدلن مذحجا ذرى سعف شتاً و باناً وعرعرا (١٢٢)

وقد اكثر الشعراء من وصف الخيل ، وتفننوا في تصوير ذلك .
وقد استحسن العرب تشبيه الفرس بالظبي والسرطان والنعامه .
ويعتبر امرؤ القيس اول من فعل ذلك بين الشعراء الذين وصلت

(١١٤) من العذر : أي من ابقته هذه الحرب فقد اتى بعذر لانه
قد أبلى . وقوله لم يدنس اي لم يفر فيكون ذلك عارا عليه وان كان قد الم .

(١١٥) المفضل الضبي : ٩٦/٢ .

(١١٦) الشكة : السلاح .

(١١٧) المفضل الضبي : المفضليات ٩٧/٢

(١١٨) الشموس : اسم فرسة .

(١١٩) الاصمعي : الاصمعيات ص ٦٧ .

(١٢٠) النعامه : اسم فرسة ، لقحت : حملت .

(١٢١) ديوان عامر بن الطفيل ص ٧٠ .

(١٢٢) السعف : رؤوس الجبال . الواحدة سعفة ، يريد لحقتهم
بالجبال . الشث : نبات طيب الريح . البان : شجر معتدل القوام ،
يؤخذ من حبه دهن طيب . العرعر : شجر يشبه السرو لا ساق له
وينبت في الجبال .

اشعارهم اليانا ، وعده العلماء مثلا يقاس عليه ، ويحتكم في السبق والتخلف اليه (١٢٣) .

له ايظلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تنفل (١٢٤)

واعقبه الشعراء فقال طفيل الغنوي (١٢٥) :

كأنه بعد ما صدرن من عرق سيد تمطر جناح الليل مبلول (١٢٦)

وقال أيضا (١٢٧) :

وفينا رباط الخيل كل مطهم رجيل كسرحان الغضا المتأوب (١٢٨)

وقال طرفة بن العبد (١٢٩) :

وكري اذا نادى المضاف محبنا كسيد الغضا نبهته المتورد (١٣٠)

وقال الاسعر الجعفي يصف فرسه (١٣١) :

واذا هو استعرضته متمطرا فتقول هذا مثل سرحان الغضا (١٣٢)

(١٢٣) ديوان امرىء القيس ص ٢١ .

(١٢٤) شبه خاصرتي الفرس بخاصرتي الظبي ، لانه ضامر .
وشبه ساقيه بساقي النعام ، لانها قصيرة الساقين صلبتهما ، طويلة
الفخذين . وشبه ارخاءه - وهو سير ليس بالشديد - بارخاء الذئب .
التنفل : ولد الثعلب .

(١٢٥) ديوان الطفيل الغنوي ص ٣٣ .

(١٢٦) صدرن اي سبقا بصدرة ، ويقال تمطر عني اي غلبنني
ذهابا . والمتمطر في العدو ان يذهب في الارض . والسيد : الذئب .

(١٢٧) ديوان الطفيل الغنوي ص ٥ .

(١٢٨) رباط الخيل : يريد انهم يتخذون الخيل . والمطهم من كل
شيء : المحسن التام . والرجيل : الشديد الحافر . والسرحان : الذئب
وذئاب الغضا . اخبث الذئب .

(١٢٩) ديوان طرفه ص ٥١ .

(١٣٠) الكر : العطف والرجوع . المضاف : الخائف والمذعور .
محبنا : فرسا في يده انحاء . سيد : ذئب . المتورد : الذي يرد الماء .

(١٣١) الاصمعيات ص ١٥٨ .

(١٣٢) متمطرا : مسرعا ، تمطرت الخيل ، ذهبت مسرعة .

اما صورها ، فقد جمع بعض العرب محاسنها في بيت واحد وهو قوله (١٣٣) :

وقد اغتدى قبل ضوء الصباح وورد القطا في الفلاة كثاث
بصافي الثلاث رحيب الثلاث قصير الثلاث طويل الثلاث
والمقصود بصافي الثلاث اللون والعين والغرة ، ورحب الثلاث أي
واسعها وهي البطن والمراد بها منحني الضلوع الا الخاصرتين والانف
والشدق . وقصير الثلاث وهي الظهر ، وعسيب الذنب ، والرسم .
وطويل الثلاث العنق والشعر والرأس (١٣٤) .

وكانوا يشبهونها بالطير في سرعتها . قال زيد الخيل (١٣٥) .
اذا دفعت في يوم هيجا تابعت
خروج القواري الخضرم خلل السيل (١٣٦)
وقال النابغة الذبياني (١٣٧) :

والخيل تمزج غربا في أعنتها
كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد (١٣٨)

كما انهم اطلقوا على عشرين عضوا من اعضائها تقريبا اسماء طيور،
فقالوا الهامة وهو العظم الذي في أعلى الرأس وفيه الدماغ . والفرخ ،
الدماغ . والنعام ، الجلدة التي تغطي الدماغ . والعصفور ، العظم

(١٣٣) البخشي : رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات
الجياذ ص ١٢ .

(١٣٤) نفس المصدر .

(١٣٥) ابن قتيبة : المعاني الكبير ١/٤٢ .

(١٣٦) القواري : واحدها قارية وهي طير اذا راوه استبشروا
بالمطر ، كأنه رسول الفيء او مقدمة السحاب .

(١٣٧) ديوان النابغة ص ٣٤ .

(١٣٨) تمزج : تمر مرا سريعا . غربا : حدة ونشاطا . الشؤبوب :
الدفعة من المطر ، ويريد الخيل الجياذ التي هي في سرعتها كالطير
التي تخاف أذى البرد فهي شديدة الطيران .

الذي تنبت عليه الناصية • والذباب ، النكيتة الصغيرة التي في انسان العين فيها البصر • والقطاة ، مقعد الردف • والغرابان ، رأسا الوركين فوق الذنب • والحمامة،القص • والصقر ، دائرة في الرأس ،والدجاجة، اللحم الذي على زوره بين يديه • والديك ، العظم النائي خلف الاذن • والنسر وهو ما ارتفع من بطن الحافر من اعلاه كأنه النوى والحصى •

ومن شدة تعلق العرب بالخيال حيكت حولها اساطير غريبة وامور عجيبة^(١٣٩) • وكما عرفوا صفاتها والوانها فقد وضعوا لاعمارها اسماء • فقالوا عن الفرس اذا وضعته امه (مهر) ثم (فلو) فاذا استكمل سنة فهو (حولي) ثم في الثانية (جذع) ثم في الثالثة (ثنى) ثم في الرابعة (رباع) وفي الخامسة (قارح) ثم بعد ذلك الى ان يتناسى عمره (مذك) •

وكذلك فعلوا في الاصوات، (فالصهيل)صوته في اكثر الاحوال • وقسموا الصهيل الى ثلاثة اقسام (اجش) و (صلصل) و (مجلجل) فالاجش ما جهر صوته ، والصلصل ما محدودق جدا • والمجلجل ما صفا ولم يندق ، وكانت فيه غنة • ثم قالوا في الاصوات (الضبح) وهو صوت نفسه اذا عدا و (القبع) صوت يردده من منخرية الى حلقه اذا نقر من شيء ، او كرهه • و (الحمحة) صوته اذا طلب العلف • او

(١٣٩) كتاب الخيل لابي عبيدة معمر بن المثنى ، وكتاب الخيل للاصمعي ، وكتاب انساب الخيل في الجاهلية والاسلام لابن الكلبي ، وكتاب الخيل في المخصص لابن سيده ، وفصل الخيل في فقه اللغة للشعالبي ، وكتاب الخيل في العقد الفريد ، وادب الكاتب ، وكتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ، وصبح الاعشى للقلقشندي ، ونهاية الارب للنويري ، وبلوغ الارب للالوسي ، وكتاب فضل الخيل للدمياطي ، المصري . ورشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد للبخشي ، وكتاب عقد الاجياد في الصافنات الجياد للجزائري ، وكتاب الخيل وفرسانها للطبيب نجيب الخوري ، وحيلة الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الاندلسي . وغير ذلك من الكتب التي ضمنت ابوابها فصولا للخيل او متعلقاتها .

رأى صاحبه ، فاستأنس اليه • واسماء أخرى كثيرة يسكن الرجوع اليها
في الكُتب التي تحدثت عن الخيل (١٣٩) •

وكما وضعوا للعتاق اسماء تدل على عتقها وكرمها فقد عرفوا
عيوبها ومحاسنها •

فقالوا عيوب الخيل ضربان : منها يكون خلقة ، وضرب يكون
عادة • فالعيوب الخَلِيقية كلها بذرية ، والعيوب العادية كلها فعلية •

فمن عيوب الخيل « الخذا » وهو استرخاء في الاذنين من اصولهما،
والفرس لذلك « اخذى » • فان كانتا مائلتين على خديه كهيئة آذان
الحمير ، فذلك « البَدَدُ » والفرس منه أبَدَشُ •

فان كان الفرس قليل شعر الناصية قصيره فهو « أسفى » • فاذا
كان مُبَيَضُّ اعالي الناصية فهو « اسعف » • فاذا كان كثير شعر
الناصية حتى تغطى عينيه فهو « اغم » • فاذا كان قصير العنق فهو
« اهنع » • فاذا كان متظامن العنق حتى يكاد صدره يدنو من الارض
فهو « ادن » • فاذا كان منفرج ما بين الكتفين فهو « اكتف » • فاذا
كان هضيم اعالي الضلوع فهو « اهضم » • وهو عيب ضار مع قلة
قبحه في المنظر •

قال الاصمعي : ما يسبق الحلبة فرس أهضم قط ، فاذا اطمأن
صلبه وارتفعت قَطَاتِه فهو « أقعس » • فاذا اطمأناً معا فهو « أبزخ » •
فاذا اشرفت احدى وركيه على الاخرى فهو « افرق » • فاذا دخلت
احدى فهدتي صدره وخرجت الاخرى فهو « ازور » • فاذا خرجت
خاصرتاه فهو « أثجل » • فاذا التوى عسيب ذنبه حتى يبرز بعض
باطنه الذي لا شعر عليه فهو « اعصل » • فاذا زاد فهو « اكشف » •
فاذا عزل ذنبه في احد الجانبين فهو « اعزل » • فاذا افرط تباعد ما بين
رجليه فهو « افحج » • فاذا اصطكت ركبته وكعباه فهو « اصك » •

وعيوب اخرى يسكن الرجوع اليها في كتب الخيل او كتب اللغة •

ان هذا الاهتمام بالخيل دليل على تداخلها في حياة العربي ، ولذا فقد اهتموا بكل ما يتعلق بها ، ويتصل بحياتها ، فوضعوا الاسماء لاعمارها، وأصواتها، ووضعوا الاسماء لالوانها ، ودوائرها ، وتحجيلها وعيوبها ، وضروب جريها • فقالوا عن الفرس الذي يعرض من يدنو منه (عضوضا) • واذا كان لا يثبت لمن اراد القرب منه (نفورا) • واذا كان يجر الرسن ولا يطاوع قائده (جرورا) • واذا لم يرده اللجام عن جريه (جموحا) • واذا امتنع عن المشي ووقف بموضع واحد (حرونا) • وان كان كثير العثار فهو (عثورا) (١٤٠) •

كما كانوا يستعملون لكل حال نوعا من الخيل ، فكانوا يستحبون اناث الخيل في الغارات ، ولما خفي من امور الحرب ، وكانوا يستحبون فحول الخيل في الصفوف والحصون والسير والعسكر ولما ظهر في امور الحرب • وكانوا يستحبون خصيان الخيل في الكمين والطلائع ، لانها اصبر وابقى في الجهد (١٤١) •

السلاح:

لقد عمل العرب على تحسين اسلحتهم سعيا الى المنفعة ، ومحافظة على انفسهم ، ومقارعة لاعدائهم ، وقد جاء اهتمامهم بها للاسباب التي دفعتهم الى الاهتمام بالخيل نفسها • فالسلاح عند العربي موضع تقدير واجلال ، ومثار احترام وتقديس •

ومن الطبيعي ان يتحدث الشعراء الفرسان عن اسلحتهم ، لانها القوة التي يستندون اليها في حياتهم ، والعنصر الاساس الذي تعتمد عليه بطولاتهم ، والاسلحة التي يتحدث عنها الفرسان لا تخرج عن

(١٤٠) ابن سيده: المخصص القسم السادس .

(١٤١) ابن هذيل: حلية الفرسان ص ١٢٩ والنويري في نهاية

الارب ٦٦٣/٩ •

نطاق الاسلحة التي عرفها العصر الجاهلي ، سواء آكانت اسلحة هجوم ، كالسيف والرمح والقوس والسهم ، أم اسلحة دفاع كالدرع والترس والمغفر والبيضة .

ولم يكن الحديث الذي يتحدث به الشعراء عن هذه الاسلحة حديثا عابرا ، وانما هو حديث المناجاة والاعجاب ، حديث الاهتمام بكل جزء من اجزائها ، وبكل ميزة من ميزاتها . الحديث الذي يصف مضاعفها وقوتها ، ويصف عنصرها وجوهرها ، ويتحدث عن حبه لها . وقيمتها بالنسبة لحياته . هذا الحديث الذي كان يخرج من قلبه خالصا دقيقا فيصبح اغنية عذبة يتمثلها في مواضع الشدة ، ويتغنى بها في سوح القتال .

والسلاح عند العربي رمز تنطوي تحته كثير من المعاني ، فرفعه فوق الرأس من أسمى آيات الاحترام ، وتحطيمه يعني الضعة والذلة ، وتسليمه يعني الخضوع والمسكنة . وما كان العربي يتمنى شيئا سوى رمح مدبب وسيف صقيل ، وفرس جرداء ، ودرع سابعة ، فهي عدته في الحياة ، وعماده الذي يعتمد عليه ، وسببه الى العزة والسيادة . قال عامر بن الطفيل (١٤٢) :

انتي والذي يحجج له الناس قليل في عامر أمثالي (١٤٣)
يوم لا مال للمحارب في الحرب سوى نصل اسمر عسّال
ولجام في رأس اجرد كالجدع طوال وايض قصّال (١٤٤)
ودلاص كالنهي ذات فضول ذاك في حلبة الحوادث مالي (١٤٥)

(١٤٢) ديوان عامر بن الطفيل ص ١٠٢ .

(١٤٣) الذي يحجج اليه الناس : اراد به البيت الحرام .

(١٤٤) الجدع : ساق النخلة . شبه به فرسه في ضموره .

القصّال : القطّاع .

(١٤٥) الدلاص : الدرع الملساء اللينة . النهي : الفدير . شبه

بريق الدرع ببريقه . ذات فضول : اي زائدة في طولها . الحلبة : الدفعة من الخيل في الرهان خاصة : يقال هو يركض في كل حلبة من حلبات المجد ، ويريد هنا بحلبة الحوادث : اجتماعها عليه .

وقد وصفوا في شعرهم كل ما كانوا يستخدمونه منه ، وتحدثوا
عن قيمته لهم في غزواتهم ، بل في حياتهم كلها ، فقد كانوا يرون فيه
أهم شيء وأعلى ما يملكون فيها ، وما يخلقونه بعدها فعبديس بن خفاف
البرجمي يعده للنائبات فيقول (١٤٦) :

فاصبحت اعددت للنائبات عرضا بريئا وعضبا صقيلا (١٤٧)
ووقع لسان كحد السنان ورمحا طويل القنأة عسولا (١٤٨)
وسابقة من جواد الدروع تسمع للسيف فيها صليلا
كماء الغدير زفته الدبور يجر المدجج منها فضولا (١٤٩)

وعروة يذكر انه لن يخلف بعد موته سوى سيف ورمح ودرع
ومغفر وجواد فيقول (١٥٠) :

وذي أمل يرجو تراثي وان ما يصير له منه غدا لقليل
ومالي مال غير درع ومغفر وايض من ماء الحديد صقيل
واسمر خطي القنأة مثقف واجود عريان السراة طويل

وقد بلغ اهتمام العرب بالسلاح ، انهم كانوا يدفعون بسلاحهم
وخيلهم الى وراثتهم الذين يثقون بهم . فعندما علم حجر ملك كنده
انه ميت بعد أن طعن طعنة مميتة ، اوصى بان يدفع كتابه الى رجل وقال
له : انطلق الى ابني نافع - وكان اكبر اولاده - فان بكى وجزع فأله
عنه . واستقرهم واحدا واحدا ، حتى تأتي امرأ القيس - وكان

(١٤٦) المفضل الضبي : المفضليات ١٨٦/٢ .

(١٤٧) العضب : السيف القاطع .

(١٤٨) الرمح العسول : المضطرب للينه .

(١٤٩) اراد أن هذه الدروع في صفاتها مثل ماء الغدير الذي
تصفقه الرياح . الدبور : ريح تهب من المغرب تقابل الصبا ، وخصها لانها
شديدة المر تكدر الماء . وزفيها الماء : ان تطرده وتدفعه . المدجج : بفتح
الجيم وكسرها : اللابس السلاح التام ، يريد انها سابقة تفضل عن
اطرافه .

(١٥٠) الاصفهاني : الاغانى ٨٧/٩ دار الكتب .

اصغرهم - فايهم لم يجزع ، فادفع اليه سلاحه وخيلي (١٥١) .
وكان امرؤ القيس يتنقل بين القبائل ، وهو يحتفظ بادراعه
الخمسة التي كانوا يتوارثونها ملكا عن ملك .

لقد قدس العربي معداته الحربية ، وعظمها اجل تعظيم ، وعد
نفسه غنيا لو ملكها وحدها ، وهي في نظره لا يعدلها مال ولا تدانيها
ثروة . لانهم بها كانوا يحافظون على حياتهم ، ويصونون شرفهم ،
ويدافعون عن عزتهم ، ويرضون رغبتهم ، ويحققون امانهم . وكثيرا ما
يضطرون لرهن اقواسهم اذا اصابهم امر عظيم ، على ان القيمة لا تكمن
في القوس نفسها ، ولكنها تمثل شرف الرجل وهو قائم بما رهنها له
مهما كلفه الامر . وقد حفل الادب العربي في العصر الجاهلي بصور
شتى لما كان عليه السلاح في ذلك العصر ، وما كان يتمتع به من المكانة .
وما تلك المصطلحات العديدة التي تؤلف معجما نادرا عن هذه المعدات ، الا
دليل اكد على المكانة المرموقة التي نالتها تلك المعدات . وقد بلغ من
اهتمامهم بها انهم وضعوا لكل نوع منها اسما كثيرة ، تربو في بعضها
على المائة . فقد صنّفوا في السلاح وانواعه ، واسماء السيوف وصفاتها ،
والرماح والنبال وترتيبها ، وتفصيل مختلف اوصاف السهام
والنصال ، وترتيب اجزاء القوس ، والدروع ونعوتها ، وسائر الاسلحة
الآخري (١٥٢) .

لقد كان السلاح في خيمة العربي الى جانب المتاع البسيط الملائم
للحياة البدوية ، وهو يضم على أقل تقدير رمحا وسيفا ، لان السلاح
عماد حياته ، والمحور الذي يدور حوله كل سلوكه ، فهو مغير أو
معرض للغارة ، غاز او متأهب لصد غزو يقع عليه .

(١٥١) نفس المصدر ٩٣/٩

(١٥٢) ينظر كتاب السلاح في المخصص ج ٦ ص ١٦ وأدب

الكاتب ص ١٥٦ ونهاية الارب ج ٦ ص ٢٠ والعقد الفريد ج ١ ص ١٧٩
وفقه اللغة للشعالبي ص ٢٤٨ .

والحياة المصبوغة بالدم ، لا مكان فيها الا للقوي ، ولا مجال في ثناها الا للفارس الذي يعرف كيف يدافع عن نفسه ، وكيف يرد الغارة عن عشيرته ، وكيف يهجم اذا اضطر الى الهجوم ، واجبر على القتال •

ان ظروف الحياة القاسية تفرض على البدوي أن يجيد الحرب ، ويتقن اساليب القتال ، وان تكون الفروسية هي المثل الاعلى ، والهدف الرفيع الذي يسعى اليه كل مدرك لواقعه ، متحسس بظروف حياته ، وان تكون الشجاعة بكل ضروبها وسيلته الناجعة للوصول الى هذا الهدف • ولا غرابة بعد هذا في أن يكون التدريب على القتال ، ومعرفة طرق الحرب ، وما يتعلق في ذلك من ممارسة ركوب الخيل ، وتحمل المشاق منذ الصغر ، الاساس الاول في التربية البدوية الذي يحرص عليه الرجال ، ليتمكنوا من احلال الابناء محل الآباء في الحرب • وليكونوا الطبقة الثانية من الفرسان التي تتمكن ان تأخذ مكانها في مجتمع القبيلة اذا لزم الامر •

ان الاحاسيس العميقة ، والمشاعر الحية التي كانت تتجاوب في نفس العربي تجاه سلاحه وفرسه ، لم تكن من المشاعر العابرة والاحاسيس الساذجة التي يحسّها الفرد تجاه مظايا لا تعقل ، وحيوانات لا تدرك ، وآلات جامدة لا حياة فيها • • وانما على العكس من ذلك • كانت مظايا وآلاته نفوسا تحس ، وارواحا تشعر • بعاشها بكل حياته ، ويناجيها بأعذب الحانه ، ويتسمع لكل همسة تختلج فيها ، ويتلمس كل حركة تحاول التعبير بها ، فتفهم اشاراته ، فيستجيب لها وتستجيب له • كانت قطعا من وجوده ، واعضاء عاملة من اعضائه ، لها اسماؤها المشوقة في حياته ، والقابها المحببة الى نفسه • يدعوها عندما يجد نفسه بحاجة اليها ، ويناجيها حينما يجد الضرورة واجبة في ذلك ، فتستجيب له ، وتبلي الدعوة بكل جوارحها ، فكانت الصلة وثيقة بينهما ، وكان الاعتزاز السامي بها على اشدّه • وكان مثار فخر الفارس واعتزازه حينما يعرف بصاحب الصمصامة او ملاعب الاسنة •

وقد اضفى العربي على سيفه معاني الشرف، ومنحه صفة الانسانية، كما فعل مع الخيل • فهو يخاطبه - وبقية اسلحته - بلسانه ، ويتحرى نسبه وسيرته ومضاهه في الحرب ، وشدته في احتدام المعارك ، ويتعقب ايامه ، باحثا عن انتصاراته ، وكان من عادة العرب انهم اذا اصابوا سيفا قاطعا ، تناقلوا خبره واطروه •

وكما اشتهر وصاف الخيل في الجاهلية فقد عرف ايضا للسلاح وصافون ، ف قيل عن اوس بن حجر اوصف الشعراء للسلاح ، ولا سيما القوس (١٥٣) • وكذلك الشنفرى ، كان من اكثر الشعراء وصفا للقوس (١٥٤) • كما كان الشماخ ، من اوصف الشعراء للقوس (١٥٥) • وكما عرفوا وصاف السلاح ، فقد اهتموا بمعرفة القيون الذين كانوا يصنعونه • فوردت اسمائهم في حديث الشعراء ، فابن مجدع ، قين مشهور بصنع السيوف • كما جاء في بيت اوس بن حجر (١٥٦) :

وذا شطبات قد ه ابن مجدع له رونق ذريشه يتاكل (١٥٧)

وردينه امرأة كانت تقوم الرماح ، وكذلك سمهرو قعضب • ونسبت اليهم الرماح ، ف قيل رماح سمهرية ، وردينية (١٥٨) •

كان السيف اقرب الاسلحة الى نفس العربي ، لانه لا يستطيع الاستغناء عنه ، ولانه يستعمله في معظم الاغراض • ومن السيوف التي اشتهرت في الجاهلية ، صمصامة عمرو بن معد يكرب ، حتى ضرب به

(١٥٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢٥ .

(١٥٤) ديوان الشنفرى ص ٣٨ .

(١٥٥) ابن قتيبة الشعر والشعراء ص ١٠٩ .

(١٥٦) ديوان اوس بن حجر ص ٩٥ .

(١٥٧) الشطبات : جمع شطبة : وهي الطريقة من طرائق السيف .

قده . قطعه وصنعه . وابن مجدع قين مشهور بصنع السيوف .

الرونق . ماء السيف وصفائه وحسنه . الذري : التلاؤ واللمعان .

يتاكل : يبرق ويلمع .

(١٥٨) الجوهري : الصحاح ٢/٢٨٩ ، ٥/٢١٢٢ .

المثل في كرم الجوهر ، وحسن المنظر ، وشدة المضاء .

والسيف من انبل الاسلحة كما ذكرنا ، وقد قدره العرب حق قدره ، فكانوا يستجلبونه من الخارج ، فالسيف الذي يطبع بأرض الهند يقال عنه الهندي ، والمهند ، والهندواني ، وقد وردت هذه الالفاظ في الشعر بكثرة . قال المزرد بن ضرار العطفاني يصف سلاحه (١٥٩) :

من الملس هندي متى يعمل حده

ذرى البيض لا تسلم عليه الكواهل (١٦٠)

اذا ما عدا العادي به نحو قرنه وقد سامه قولا فدتك المناصل (١٦١)

ألست نقيًا لا تليق بك الذرى ولا انت ان طالت بك الكف ناكل (١٦٢)

حسام خفيّ الجرس حين تسله صفيحته مما تنقى الصياقل (١٦٣)

وقال سلامة بن جندل يفتخر بما كان من ايام قومه ، وغلبتهم اعداءهم ، ويصف سلاحهم ومطاعتهم الابطال ومطاولتهم الكر والفر (١٦٤) .

ومجدد معد كان فوق علوية سبقنا به اذ يرتقون وترقي (١٦٥)

(١٥٩) ديوان المزرد ص ٤٥ .

(١٦٠) في المفضليات : واملس هندي . من الملس : اي ليس

بصدى ولا كشاش اذا مسسته اي يقد البيض حتى يبيري الكواهل ايضا .

(١٦١) سامه : كلفه . فدتك : اي إنك من امثلها وافضلها .

(١٦٢) في المفضليات : الست نقيًا ما تليق . الذرى : جمع ذروة

وهي اعلى الشيء ، يقال سيف لا يليق شيئًا : اي لا يمر بشيء الا قطعه .
الناكل : المقصر .

(١٦٣) في المفضليات : عند استلاله . الجرس : الحركة والصوت

الخفي ، وانما يخفي جرسه لجودته وسهولته ، وانما سهل لصفاء حديده وخلصه .

(١٦٤) الاصمعي : الاصمعيات ص ١٥١

(١٦٥) العلوية : الموضع المرتفع .

إذا الهندوانيات كن عَصِينَا بها تتأيا كل ساق ومفروق (١٦٦)
تَجَلَّى مصاعا بالسيوف وجوهَنَا إذا اعتفرت اقداما عند مأزق (١٦٧)

وقال حَجَلْ بن فضلة يفخر بسيفه (١٦٨) :

ومهند في متنه حرجية غضب اذا ماس الضريبة مفصل (١٦٩)

اما المشرفية ، فنسبة الى المشارف • وهي قرى معروفة تجلب منها
السيوف ، وتطبع فيها ، ويقال هي قرى من ارض العرب تقرب من
الريف • او قرى بالشام ، او قرى من ارض اليمن • وقيل هي منسوبة
الى مشرف وهو رجل من ثقيف •

قال امرؤ القيس (١٧٠) :

أيقنني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانيات اغوال (١٧١)

وقال راشد بن شهاب اليشكري مهددا قيس بن مسعود ومتوعدا

اياه (١٧٢) :

(١٦٦) الهندوانيات : بكسر الهاء وضمها السيوف المنسوبة
الى الهند . الواحد هندواني . العصي : بضم العين وكسرها : جمع
عصا . أي اذا كانت سيوفهم بمثابة العصي في التزامها . نتأيا : نقصد .
يقال « تأيا الشيء » تعمد آيته أي شخصه وآية الرجل : شخصه .
(١٦٧) المصاع : بكسر الميم : المقاتلة والمجادلة بالسيوف . اعتفر :
كتعفر بالتراب وانعفر : يريد انهم في المجادلة تشرق وجوههم وتتعفر
اقدامهم .

(١٦٨) الاصمعي : الاصمعيات ص ١٥٥ .

(١٦٩) حرجية : آثار دقاق جدا . والمفصل : صيغة مبالغة من

(١٧٠) الديوان ص ٣٣ .

(١٧١) المشرفي : سيف نسب الى قرى بالشام يقال لها المشارف ،
واراد بالمسنونة الزرق : سهامها محددة الازجة صافية ، وشبهها بانياب
الاغوال تشنيعا ومبالغة في وصفها . والاغوال : الشياطين . وانما خص
الشياطين لما شاع من عظيم امرهم وكثرة نكرهم .

(١٧٢) الفضل الضبي : الفضليات ١.٨/٢ . قضم : يكسر من

كثرة ما اضرب به . وقد اسقط الفاء من قوله « معي » في جواب الشرط .

فمهلا أبا الخنساء لا تشتمني فتفرع بعد اليوم سنك من ندم
ولا توعدي اني ان تلاقيني معي مشرفي في مضاربه قضم
وقال بشامة بن الغدير (١٧٣) :

قومي بنو الحرب العوان بجمعهم والمشرقية والقنا اشعالها (١٧٤)
وقال عوف بن الاحوص معترفا بهزيمة قومه ، معللا ذلك بكثرة
رجال العدو وهي من المنصفات (١٧٥) :

حبت دونهم بكر فلم تستطعهم كأنهم بالمشرقية سامر (١٧٦)
اما السيوف السريجية ، فهي نسبة الى سريج ، وهو قين كان
يعملها . وقيل سمي السيف بالسريجي لكثرة مائه وروثقه ، حتى كان
فيه سراجا (١٧٧) . ومنه قيل : سرج الله امرك أي حسنه ونوره .

قال خراشة بن عمرو العسبي يمدح قومه ويفخر بانتصارهم : (١٧٨)
بكل سريجي جلا القين متنه رقيق الحواشي يترك الجرح انجلا (١٧٩)
وهناك انواع اخرى من السيوف تنسب الى اماكن صنعها ، او

-
- (١٧٣) ابو تمام : الحماسة : شرح المرزوق ٣٩٥/١ .
(١٧٤) والمعنى . قومي بنو الحرب التي عونت ، اي صارت
عوانا بهم ، وباجتماع جيشهم . والمراد ، واشتعال نارها بالرماح
والسيوف المشرقية .
(١٧٥) الفضل الضبي : المفضليات ١٦٥/٢ .
(١٧٦) حبت : دنت . المشرقية : سيوف منسوبة الى المشارف .
السامر : القوم يسمرون في الليل ، وهو اسم جامع ويقال للواحد ايضا
سامر . يقول : كان سيوفهم مخاريق سامر يلعبون بها بالليل ويتلهون
ويتحدثون غا) مكترئين .
(١٧٧) ابو تمام : الحماسة . شرح المرزوقي ٦٦٧/٢ .
(١٧٨) الفضل الضبي : المفضليات ٣٠٦/٢ .
(١٧٩) سريجي : سيف نسب الى سريج اسم رجل كان صناعا
للسيوف . الانجل : الواسع .

الى صناعها ، او الى معادنها ، فاليماني نسبة الى اليمن ، والقلعي
بالتحريك نسبة الى مرج القلعة وهو موضع بالبادية تنسب اليه السيوف
القلعية والقُساسي نسبة الى معدن القساس بارمينية (١٨٠) .

كما نسبت جياذ السيوف الى بصرى ايضا، قال الحصين بن الحمام
المرى (١٨١) :

صفائح بصرى اخلصتها قيونها ومطردا من نسج داودمبهما (١٨٢)

والى جانب السيف كان الرمح ، وهو أيضا يضارع السيف رفعة
وتعظيما ، ولم تكن اهميته اقل من اهمية السيف بالنسبة للفراس
في المعركة ، فهو كثيرا ما يذكر مع السيف . قال عمرو بن كلثوم (١٨٣) :
نطاعن ما تراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف اذا غشينا (١٨٤)
بسمر من قنا الخطيّ لدن ذوابل او بيض يختلينا (١٨٥)

وقال عنترة (١٨٦) :

فطعنته بالرمح ثم علوته بهند صافي الحديدة مخذم (١٨٧)

(١٨٠) الجوهرى : الصحاح . تحقيق احمد عبد الففور

عطار ٣/١٢٧٠ .

(١٨١) المفضل الضبي : المفضليات ١/٦٤ .

(١٨٢) صفائح : سيوف عريضة . بصرى : بلد تنسب اليه جياذ

السيوف . القين : الحداد . اخلصتها : جاءت بها خالصة من العيوب .
والمطرّد : المتتابع الذي ليس فيه اختلاف . يريد انها لا فتق فيها ، ويريد
بها الدروع وهو مما يذكر ويؤث . المبهم : الذي لا تلم فيه ولا خرق ،
او الذي لا يخالط لونه لون آخر .

(١٨٣) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩٤ .

(١٨٤) غشينا : دنا بعضنا من بعض .

(١٨٥) السمر من الرماح : اجودها . لدن : لينة . ذوابل : فيها

بعض اليبس . يقول لم تجف كل الجفاف فتنشق اذا طعن بها وتندق ،
ويروى البيت أو بيض يعتلينا : أي ان هذه الرماح تعلق رؤوس الاعداء .

(١٨٦) الديوان ص ١٥١ .

(١٨٧) مخذم : سريع القطع . يقول طعنته فرصته ، ثم اجهزت

عليه بسيفي المهند .

وقال عمرو بن معد يكرب (١٨٨) :

اعددت للحرب ففضفاضة دِلاصا تشنى على الراهش (١٨٩)
واجرد مطردا كالرشاء وسيف سلامة ذي فائش (١٩٠)

وكما اهتم العرب بانساب السيوف ، اهتموا بانساب الرماح ،
وفتشوا عن اصلها فقالوا : رماحا يزنية ، وهي الرماح التي تنسب الى
ذي يزن (١٩١) . وخطيه ، وهي الرماح التي تنسب الى الخط . وهو
موضع باليمامة (١٩٢) او مرفأ السفن بالبحرين .

قال حاتم الطائي (١٩٣) :

واسمر خطيبا ، كأن كعوبه

نوى القسب قد ارمى ذراعا على العشر (١٩٤)

وقال الاعشى (١٩٥) :

ولدن من الخطي فيهِ أسنة ذخائر مماسن ابزى وشرع (١٩٦)

(١٨٨) لاصمعي : الاصمعيات ص ٢٠٣ .

(١٨٩) فضفاضة : واسعة يريد الدرع . الدلاص : اللينة البراقة ،
المساء . الرواهش : عصب وعروق في باطن الذراع . وقيل في ظاهره ،
واحدتها : راهشة وراهش .

(١٩٠) الاجرد . عني به الرمح ، قد سويت كعوبه فاملس .
مطرد مستقيم . الرشاء : الجبل ، شبه الرمح في طوله به . وسلامة :
اسم رجل . وفائش واد في اليمن كان يحميه .

(١٩١) ابن سيدة : المخصص ٦/٣٣ .

(١٩٢) الجوهرى : الصحاح ٣/١١٢٣ .

(١٩٣) ديوان حاتم ص ٦٦ .

(١٩٤) الاسمر : الرمح . الخطي : المنسوب الى الخط . مرفأ
للسفن في البحرين تباع فيه الرماح . كعوبه : عقده . القسب : ضرب
من التمر غليظ النوى . شبه كعوب الرمح بنوى هذا التمر في صلابتها .
وقوله ارمى ذراعا على العشر ، اي انه لا طويل ولا قصير . فلا يكون
مضطربا ولا قاصرا .

(١٩٥) ديوان الاعشى الكبير ص ٢٠٥ .

(١٩٦) لدن : مرن . الخطي : الرمح ينسب الى الخط وهو مرفأ

وقالوا رماحا ردينية ، وهي الرماح التي تنسب الى امرأة تسمى ردينة ، كانت تقوّم القنا بخط هجر • وكان زوجها سمهر يقوّم الرماح أيضا ونسب اليه نوع منها (١٩٧) • قال أوس بن حجر (١٩٨) :

اصم ردينيا كأن كعوبه نوى القسب عراصا مزجامنصلا (١٩٩)
وقال عميرة بن جُعل (٢٠٠) :

جمعت ردينيا كأن سنانه سنا لهب لم يستعن بدخان (٢٠١)
وقال الحصين بن الحمام (٢٠٢) :

يهزون سرا من رماح ردينة اذا حُرّكت بضت عواملهادما (٢٠٣)
وكان الفارس يظفي على رمحه صفة التشخيص كما اضفاها على فرسه وسيفه • قال عنتر (٢٠٤) :

للسفن بالبحرين كانت تباع فيه ، وليس هو منبتها كما يتوهم . الاسنة : جمع سنان ، وهو حديدة الرمح المحددة . ذخائر . مدخرة للحرب . سن الرمح : ركب فيه السنان . ابزى وشرعب . رجلان من صناع الرماح . (١٩٧) الصحاح ج ٢ ص ٦٨٩ وج ٥ ص ٢١٢٢ .

(١٩٨) ديوان اوس بن حجر ص ٨٣ .
(١٩٩) الرمح الاصم : الرمح المصمت الذي لا جوف له . والرمح الرديني : منسوب الى ردينة بالتصغير ، وهي امرأة كانت تقوم الرماح . وكان زوجها سمهر أيضا يقوم الرماح . يقال لرماحه سمهرية . الكعب : الانبوب ويسمون العقدة كعبا وهو المراد هنا . والقسب : تمر يابس نواه صلب . والعراص : الشديد الاضطراب . المزجي : الذي جعل له زج (بضم الزاي وتشديد الجيم) وهي الحديدة التي في اسفل الرمح تفرس في الارض . والمنصل الذي جعل له نصل وهو السنان .

(٢٠٠) المفضل الضبي : المفضليات ٥٩/٢ .

(٢٠١) الرديني : الرمح . بدخان : اذا لم يستعن بدخان كان اصفى له . شبه السنان في صفائه بصفاء انسان النار .

(٢٠٢) المفضل الضبي : المفضليات ٦٤/١ .

(٢٠٣) السمر من الرماح : اصلب من غيرها لانها تنضح فسي منبتها . بضت : سالت . عامل الرمح : سنانه وقيل ما يلي السنان .

(٢٠٤) ديوان عنتر ص ١٩ .

تصيح الردينيات في حجاتهم صياح العوالي في الثقاف المثقب (٢٠٥)

وقد كانت العرب تذكر القناة الصلبة التي لا تلين ، ولا تقبل
التقويم والتثقيب . لتضرب بها المثل في الخلاف والاباء والامتناع ،
والتعسر على من يريد اكرامهم ، والتعصب على من يريد تليينهم ، أو
الغض منهم . وفي ذلك يقول المساور بن هند (٢٠٦) :

ولنا قناة من ردينة صدقة زوراء حاملها كذلك ازور (٢٠٧)

ويخاطب عمرو بن كلثوم عمرو بن هند في معلقته فيقول (٢٠٨) :

فان قناتنا يا عمرو أعيت على الاعداء قبلك ان تلينا (٢٠٩)

أما حديثهم عن صفات الرماح ، فهو يدلنا على تفضيلهم الرمح الاصم

اللين على الرمح الاجوف .

قال عنتره (٢١٠) :

فظلنا نكر المشرفية فيهم وخرصان لدن السمهري المثقف (٢١١)

وقال عبيد بن الابرص (٢١٢) :

(٢٠٥) الحجيات : جمع حجة . وهي حرف الورك وللورك

حجبتان يشرفان على الخاصرة . والعواني : رؤوس القنا أو انصافها التي

تلي الاسنة . والثقاف : ما تسوى به الرماح . والمثقب : المثقوب ، جعل

أصوات الرماح وهي تنفذ في حجاتهم كأصواتها وهي تنفذ من ثقب

الثقاف حين تثقف .

(٢٠٦) ابو تمام : الحماسة : شرح المرزوقي ١/٤٦٢ .

(٢٠٧) الصدقة : الصلبة والمعنى قناتنا لا تستقيم لمقوم وحاملها

لا ينقاد لجتذب .

(٢٠٨) التبريزي شرح القصائد العشر ص ٢٣٨ .

(٢٠٩) اراد بالقناة الاصل اي نحن لا نلين لاحد .

(٢١٠) ديوان عنتره ص ١٠٧ .

(٢١١) المشرفية : السيوف نسبة الى مشارف . والخرصان :

الرمح ، الواحد خرص . ولدن : لينة . والسمهري : نسبة الى سمهر

زوج ردينة وكانا مثقفين للرمح . والمثقف : المقوم .

(٢١٢) ديوان عبيد ص ٣٢ .

طعنوا بمران الوشيح فما ترى خلف الاسنة غير عرق يشخب (٢١٣)
وقال عنتره (٢١٤) :

واطعن في الهيجا اذا الخيل صدها غداة الصياح السمهري المقصد (٢١٥)

وكان الفرسان يميلون الى الرماح المتوسطة الطول ، حتى يتمكنوا
من السيطرة عليه • وقد كان بعضهم يميل الى استعمال الرماح الطويلة
كما جاء في قول الاعشى (٢١٦) :

واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا (٢١٧)

وكما وضعوا للخيل أسماء ، ونلسيوف أسماء فقد وضعوا للرماح
اسماء كثيرة • فاذا كان الرمح مضطربا ، فهو (عاسل) • وان كان شديد
الاضطراب فهو (عسال) و (عراض) •

واذا كان ليناً فهو (لذن) ، وان كان شديداً فهو (سمهري) (٢١٨)
وان كان صلبا لا ينثني فهو (صدق) •

أما القسي فهي من الاسلحة المستخدمة في الحرب • وهي اعواد
من الخشب اللين المتين ، تقوس كالهلال ، ويثبت فيها وتر من جلد الابل
ترمى به السهام ، واجود انواعها العصفورية •

وقد نسبت القسي الى ماسخ او ماسخة ، وهو قواس ازدي ،
ويقال انه اول من عمل القسي عند التحام المعركة (٢١٩) :

-
- (٢١٣) المران : الرماح اللدنة . الوشيح : الشجر الذي تصنع
منه الرماح . يشخب : يسيل دما .
(٢١٤) ديوان عنتره ص ٤٧ .
(٢١٥) الهيجا : الحرب . والسمهري : الرمح صلب العود .
المقصد : المكسر بنصفيين حتى يبين ، يريد حين يشتد البأس ، فتنكسر
الرماح في صدور الافراس .
(٢١٦) ديوان الاعشى ص ١٢ .
(٢١٧) اوزار الحرب : عدتها .
(٢١٨) وهذا تخريج آخر للسمهري .
(٢١٩) شعر الطفيل الغنوي ص ١٣ .

فما برحوا حتى رأوا في ديارهم لواء كظل الطائر المنقلب (٢٢٠)
رمت عن قسي الماسخي رجالنا بأجودما يتتاع من نبل يثرب (٢٢١)

كما نسبت الى رضوى وهي امرأة مشهورة بصنعها *
وكانت القوس رمز الرجولة ودليل الشرف ، لانها رفيق البدوي
ووسيلة عيشه ، وقد بلغت منزلة القوس عند العربي انه اذا اراد ان
يلتزم بتنفيذ امر ولم يستطعه رهن قوسه (٢٢٢) ، وحتى في قضايا الديات
فهم يرهنونها حتى يتم دفعها ، والى ذلك يشير قراد بن حنش (٢٢٣) :

ونحن رهنا القوس ثمت فوديت بالف على ظهر الفزاري اقرعا

وكان للعرب مهارة عظيمة في استخدامها ، لما كانوا عليه من حدة
البصر ، فقد جاء في العقد الفريد (٢٢٤) ان العربي كان يستطيع ان يرمي
بالنبال فيصيب احدى عيني غزال دون العين الاخرى ، وكان احدهم
يعلق ظيبا بشجرة ويرميه بالنبال فيصيب أي عضو شاء من اعضائه ،
حتى يرمي فقراته فقرة فقرة فلا يخطيء واحدة منها *

وقد ترددت أسماء القوس على ألسنة الشعراء في جميع مجالات
حياتهم ، وكان الحديد يدور عن صنعها وصناعاتها ، والخشب الذي
تتخذ منه ، وان غلب شجر النبع على جميع الانواع الاخرى التي كانت
تصنع منها *

قال ثعلبة بن عمرو العبدي :

وصفراء من نبع سلاح اعداها وايض قصال الضريبة جائف (٢٢٥)

-
- (٢٢٠) اللواء : العلم : يقول رأى اعداؤنا في ديارهم لواءنا .
(٢٢١) الماسخي : رجل نسبت اليه القسي . يتتاع : يشتري .
(٢٢٢) الاصفهاني . الاغاني ١١ / ١١١ .
(٢٢٣) ابو عبيدة : النقائض ٢ / ١٦٥ .
(٢٢٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ص ٦٨ (الطبعة القديمة) .
(٢٢٥) الصفراء : القوس . النبع : شجر تتخذ منه القسي
والسهام . القصال : القطاع ، يعني سيفا . الضريبة : المضروبة . الجائف :
الذي يبلغ الجوف .

وكما اهتم العرب بالقوس اهتموا بصوتها ، واهتموا بلونها *
فهي في ضوء ما وصل الينا من الشعر صفراء دائماً ، ولكن الشنفرى
يصورها لنا حمراء تارة اخرى فيقول (٢٢٦) :

وباضعة حمر القسي بعثتها ومن يغزُ يغنم مرة ويشمت (٢٢٧)

والظاهر ان القوس تكون صفراء في اول بريها فاذا كثر استعمالها
وطال بها العهد احمر عودها *

اما اصواتها التي كانت تحدثها عند الرمي ، فقد كانت تفتنهم
فتنة شديدة ، تبدو في تلك الصور الشعرية التي رسموها ، وتتجسم في
الاصوات الحزينة المعولة التي شبهوها بها * قال الشنفرى في
لاميته (٢٢٨) :

وانى كفاني فقدَ من ليس جازياً بحسنى ولا في قربه متعل (٢٢٩)

ثلاثة اصحاب فؤاد مشيع وايض اصليت وصفراء عيطل (٢٣٠)

هتوف من الملس المتون يزينها رصائع قد نيظت اليها ومحمل (٢٣١)

(٢٢٦) الفضل الضبي : المفضليات ١/١٠٨ . وانظر الديوان
ص ٣٨ (الطرائف الادبية) .

(٢٢٧) الباضعة : القاطعة . يعني قوما غزاة . حمر القسي
غزوا مرة بعد مرة . فاحمرت قسيهم للشمس والمطر . بعثتها : بعثت
هؤلاء وغزوت بهم . يشمت : من قولهم : شمته الله اي خيبه ، والشيمات
بكسر الشين وتخفيف الميم : الخيبة .

(٢٢٨) عجب العجب في شرح لامية العرب ص ١٤ .

(٢٢٩) التعلل : التلهي بالشيء ، يقال فلان يتعلل بكذا اي يتلهى .

(٢٣٠) المشيع : الشجاع المقدام . الاصليت : الصقيل ويجوز

ان يكون في معنى مصلت ولهذا يقال سيف مصلت اي مجرد من غمده .
الصفراء : اسم للقوس . العيطل : الطويلة العنق .

(٢٣١) الهتف : الصوت . يقال هتفت الحمامة اي صوتت

وصاحت ، وقوس هتافه وهتفى اي ذات صوت ، والملاسة ضد الخشونة .
اي هذه القوس ملساء لا عقد فيها ولا خشونة ، وتمتين القوس صلابتها
ومتن الشيء : صلبه والمتون : الصلبة . نيظت : علق . والمحمل مثال

إذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزأة عجلي ترن وتعول (٢٣٢)

وقال راشد بن شهاب الإشكري (٢٣٣) :

ونبل قران كالسيور سلاجم وفرع هتوف لاسقي ولا نشم (٢٣٤)

وقال عمرو بن معد يكرب (٢٣٥) :

وذات عداد لها ازمل برتها رماة بني وابش (٢٣٦)

وقال أوس بن حجر (٢٣٧) :

فجردها صفراء لا الطول عابها ولا قصر اذرى بها فتعطلا (٢٣٨)

كتوم طلاع الكف لا دون ملئها ولا عجبها عن موضع الكف افضلا (٢٣٩)

الرجل : علاقة السيف وهو السير الذي يقلده المتقلد وقد سمي عرق الشجر بذلك . والرصائع : ما يرصع به من جوهر وغيره : أي محلى بالرصائع ، وهي حلق يحلى بها ، والمراد بها السيور التي تزين بها القوس . (٢٣٢) زل السهم : خرج منها . حنت : صوتت وكذلك حنت الناقة الى ولدها أي صوتت في نزاعها اليه ، والمرزأة التي تعتادها الرزايا ، والمعنى ان هذه القوس كثيرة التصويت لكثرة الرمي عنها . عجلي : مسرعة . وترن : تصوت مأخوذ من الرنة وهي الصوت . وتعول : ترفع صوتها بالبكاء .

(٢٣٣) المفضل الضبي : المفضليات ١٠٨/٢ .

(٢٣٤) القران : المتشابهة . السلاجم : الطوال ، الواحد سلجم . الفرع : القوس اخذت من أعلى الفصن . الهتوف : المصوتة . السقي : ما شرب الماء على الإنهار من الشجر . النشم : شجر خوار ضعيف .

(٢٣٥) الاصمعي : الاصمعيات ص ٢٠٣ .

(٢٣٦) ذات عداد : يريد القوس ، وعدادها : صوتها ورنينها . وهو صوت الوتر . الازمل : الصوت . وبنو وابش : قبيلة اشتهرت بكونها ارمى الناس .

(٢٣٧) الديوان ص ٨٨ - ٨٩

(٢٣٨) يقول لو كانت قصيرة لتعطلت ، وكانت اصغر من ان يرمى عنها ولم تعب من طول . فتعطل : تترك لا تتخذ قوسا .

(٢٣٩) كتوم : يصف القوس يريد مرتفعة الصوت فسمها كتوما من الاضداد . وقوس طلاع الكف أي ملء الكف ، والعجس : موضع كف الرامي من كبد القوس .

إذا ما تعطوها سمعت لصوتها إذا انبضوا عنها نثيما وازملا (٢٤٠)

وكما اهتم العرب باصوات القسي والوانها ، اهتموا ايضا بصنعها وكيف كانت تعمل ، والشجر الذي تؤخذ منه ، وكيف يتعهدون عوده وهو صغير فيختلفون اليه حتى يصبح صالحا لاتخاذ القسي ، ثم يبدؤن بسقيها ماء لحائها ، وتتم هذه العملية بتقطيع هذا العود وهو رطب ، ثم يترك في الظل حتى يجف ، ليكون أكثر صلابة • ويصور لنا اوس ابن حجر هذه العملية فيقول (٢٤١) :

وصفراء من نبع كأن نذيرها اذا لم تخفضه عن الوحش افكل (٢٤٢)
تعلمها في غيلها وهي حظوة بواد به نبع طوال وحثيل (٢٤٣)
وبان وظيان ورنق وشوحط ألف ائث ناعم متغيل (٢٤٤)
فمطعمها حولين ماء لحائها تعالي على ظهر العريش وتنزل (٢٤٥)
فملك بالليط الذي تحت قشرها كعرقى ءبيض كنه القيص من عل (٢٤٦)

(٢٤٠) تعاطوها : تناولوها . انبض القوس : جذب وترها لتصوت . النثيم : الصوت الضعيف وصوت القوس وكذلك الازمل . الازمل .

(٢٤١) ديوان اوس بن حجر ص ٩٦ .

(٢٤٢) يصف قوسه . النبع : شجر مرن تؤخذ منه القسي . نذيرها : صوتها ، الافكل : الرعدة .

(٢٤٣) يعني انه ابصر عود هذه القوس وهو صغير مثل السهم ، فلم يزل يتعده ويختلف اليه ، حتى صلح أن يتخذ منه قوسه . الحظوة : القضيبة الصغير ينبت في أصل الشجرة . والفيل : الشجر الملتف . والنبع والحثيل : من اشجار الجبال .

(٢٤٤) البان والظيان والرنق والشوحط : من اشجار الجبال . الالف : الملتف : الاثيث : الكثيف المتشابك ، وكذلك المتغيل .

(٢٤٥) مطعت القوس : اذا سقيتها ماء لحائها . العريش : البيت يقول ترفع عليه بالليل وتنزل بالنهار لئلا تصيبها الشمس فتتفطر .

(٢٤٦) ملك : ترك من القشر شيئا يتمالك به ، يكنه لئلا يبدو قلب القوس . والقيص : قشر البيض الغليظ . والعرقى : القشر الرقيق

وازعجه ان قيل شتان ما ترى اليك وعود من سراءٍ معطلٍ (٢٤٧)
 وللشماخ قصيدة طويلة ومشهورة يصف فيها قوسه منذ أن
 كانت قناة من نبع الى أن تست تسويتها وأعدت للرمي (٢٤٨) . وهي
 قصيدة طويلة نختار منها ما يلي :

قليل التلاد غير قوس واسمهم كأن الذي يرمي من الوحش تارز (٢٤٩)
 مطلا بزرق ما يداوي رميها وصفراء من نبع عليها الجلائز (٢٥٠)
 تخيرها القواس من فرع ضالة لها شذب من دونها وحواجز (٢٥١)
 نمت في مكان كنتها فاستوت به فما دونها من غيلها متلاخز (٢٥٢)
 فما زال ينجو كل رطب ويابس وينفل حتى نالها وهو بارز (٢٥٣)
 فانحى عليها ذات حد غرابها عدو لا ووسط العضاة مشارز (٢٥٤)

- (٢٤٧) السراء : النبع . معطل : غير صالح .
 (٢٤٨) ديوان الشماخ بن ضرار ص ٤٦ وقد اعتبرها ابو زيد
 القرشي في جمهرته من المشوبات .
 (٢٤٩) قليل التلاد : إي لا تلاد له وتارز : اي ميت يابس لا حراك
 به ، ولا روح له . والمعنى : كان الذي يرمي من الوحش الميت .
 (٢٥٠) مطلا : مشرفا بطلله اي شخصه . بزرق : أي برماح زرق .
 ويداوي : يعالج . ورميها : الذي يرمي بها . وصفراء : أي قوس صفراء .
 والنبع : شجر أجود ما تتخذ منه القسي . والجلائز : عقبات تلوى على
 كل موضع من القوس واحدها جلاز وجلازة .
 (٢٥١) تخيرها : اختارها . والقواس : الذي يبني القسي .
 وفرع ضالة : اعلاها والضالة واحدة الضال : وهو السدر البري .
 الشذب : قطع الشجر وقيل قشره . وحواجز : جمع حاجز وهو ما
 يحجز بين الشبيئين اي هي ممتنعة بما دونها من الاغصان والشذب .
 (٢٥٢) كنتها : سترها واستوت به : اعتدلت . والفيل بالكسر :
 الشجر الكثير اللتف الذي ليس بذي شوك . ومتلاخز : متضايق داخل
 بعضه في بعض .
 (٢٥٣) ينجو : يقطع . والرطب : ضد اليابس . وينفل : يدخل
 تحت الشجر ليأخذها . وبارز : ظاهر .
 (٢٥٤) نحى : امال . واووسط : جمع وسط . وعضاة : جمع
 عضاة وهي اعظم الشجر . المشارز : المعادي ، أي امال على النبعة
 فأسا ذات حد . عدو لا ووسط العضاة لانه يعتاد قطعها .

فلما اطمأنت في يديه رأى غنى
 فمظعها عامين ماء لحائها
 اقام الثقاف والطريدة درأها
 فوافى بها أهل المواسم فانبرى
 فقال له هل نشترها فانها
 فقال ازار شرعي واربع
 شان من الكوري حمر كأنها
 وبردان من خال وتسعون درهما
 فظل يُناجي نفسه واميرها
 احاط به وازور عن يجاوز (٢٥٥)
 وينظر منها ايها هو غامر (٢٥٦)
 كما قومت ضغن الشموس المهامز (٢٥٧)
 لها يبع يُغلى بها السوم رائز (٢٥٨)
 تباع بما بيع التلاد الحرائز (٢٥٩)
 من السيراء او اوق نواجز (٢٦٠)
 من الجمر ما اذكى على النار خابز (٢٦١)
 على ذلك مقروظ من الجلد ماغز (٢٦٢)
 أيأتي الذي يُعطى بها أم يجاوز (٢٦٣)

(٢٥٥) اطمأنت : سكنت : واحاط به : من الاحاطة . وازور : مال .
 المعنى انه لما ظفر بهذه القوس رأى انه استغنى عن الناس فازور عن احبائه
 ومن كان يحتاج اليه .
 (٢٥٦) مظعها : قطعها رطبة ثم وضعها بلحائها في الشمس حتى
 تشرب ماءها لئلا تتصدع وتشقق ، وقيل مظعها : الانها . وغامر : اسم
 فاعل . غمز القنأة سوى المعوج منها .
 (٢٥٧) اقام : اصلح ، والثقاف : ما تسوى به الرماح والقسي .
 والطريدة : القصبه التي فيها حزة ، توضع على المغازل . ودرؤها : ميلها .
 والشموس من الخيل : الصعب . والمهامز : جمع مهماز وهي حديدة في
 مؤخر خف الرائص . المعنى : ان الثقاف اصلح هذه القوس .
 (٢٥٨) وافى بها : اتى بها . انبرى لها . اعترض . والبيع من
 الاضداد للمشتري والبائع . والمراد : الاول . ويغلى بها السوم : يسومها
 سوما غاليا . ورائز : مجرب لصاحبها ابييعها أم لا .
 (٢٥٩) التلاد : من المال ما ولد عندك وقيل كل مال قديم موروث
 عن الاباء ، والحرائز من الابل : التي لا تباع نفاسة بها .
 (٢٦٠) الازر : الملحفة . والشرعي : ضرب من البرود . والسيراء :
 ضرب من البرود ايضا . والنواجز : الحاضرة التي لا مطل فيها .
 (٢٦١) الكوري : الذهب المصنوع بالكور بالضم ، وهو مجمره
 الحداد . المعنى إنه سامها بهذه الاشياء لنفاستها .
 (٢٦٢) الخال : ثياب تصنع باليمن ، وقيل هو موضع باليمن
 تصنع به الثياب . والمقروظ : الجلد المدبوغ بالقرظ .
 (٢٦٣) اميرها : قلبها .

فقالوا له بايع اخاك ولا يكن
 فلما شراها فاضت العين عبرةً
 وذاق فاعطته من اللين جانباً
 اذا أنبض الرامون عنها ترنمت
 هتوف اذا ما خالط الطبي سهمها
 كأن عليها زعفرانا ثميرَه
 اذا سقط الانداء صينت واشعرت
 لك اليوم عن ربح من البيع لاهز (٢٦٤)
 وفي الصدر حزاز من الوجد حامز (٢٦٥)
 كفى ولها ان يُعرق السهم حاجز (٢٦٦)
 ترنم ثكلى او جعتها الحناز (٢٦٧)
 وان ريع منها اسلمته النواقر (٢٦٨)
 خوازن عطار يمان كوانز (٢٦٩)
 حبير اولم تدرج عليها المعاوز (٢٧٠)

وهكذا تتبع الشماخ قوسه منذ ان كانت قناة من نبع ، ممتنعة
 بما دونها من الاغصان والشذب ، فأمال عليها القواس بفأس ذات حد
 فظفر بها ، واستغنى عن الناس ، وازور عن احبابه ، وما كان يحتاج
 اليه ، فقطعها رطبة ، ثم وضعها بلحائها في الشمس حتى تشرب ماءها

- (٢٦٤) لاهز : دافع اي بع ولا تتأخر .
 (٢٦٥) شراها : باعها . وفاضت : سالت . والعبرة : الدمعة .
 وحزاز : يحز القلب وحامز : شديد . وقيل ممض محرق .
 (٢٦٦) ذاق القوس : جذب وترها اختبارا لينظر ما شدتها ،
 واللين : ضد الصعوبة . والجانب : الناحية . والوله : الحزن . والحاجز :
 من يجعل السهم حاجزا بينه وبين من يريدده . يعني ان من سدد اليه
 سهم بهذه القوس يتحقق هلاكه .
 (٢٦٧) أنبضها : جذب وترها لترن . والرامون : جمع رام المعنى
 اذا جذب الرامون وتر هذه القوس ، صوتت مثل بكاء فاقدة اولادها .
 (٢٦٨) النواقر جمع ناقرة وهي قوائمه والمعنى ان هذه القوس
 تصوت اذا خالط السهم المرمي بها الطبي ، فاذا ريع منها واراد الفرار
 اسلمته قوائمه ، لانها اصيبت ، فلا يقدر على الجري .
 (٢٦٩) كوانز : جمع كانزة يقال كثر المال حفظه . والمعنى ان هذه
 القوس صفراء اللون .
 (٢٧٠) الانداء : جمع ندى وهو المطر والبلل . وصينت : حفظت .
 وشعرت : البست . وحبيراً : ثوبا ناعما جديداً ، وقيل هو ثوب موشى .
 ولم تدرج : لم تطو . والمعاوز : جمع معوز والمعنى ان هذه القوس
 تطفى بالثياب النفيسة اذا سقطت الانداء ، خوفاً عليها ان تفسد اوتارها
 لعزتها على صاحبها .

لثلا تتصدع وتتشقق ، ثم اصلح هذه القوس بألته التي تسوى بها
الرماح والقسي ••• واضفى عليها من البرود والسيراء زيادة في تجميلها
وتزيينها • ثم جاء بها الى السوق ليعرضها للبيع ، ففاضت دموعه
حسرة عليها •

وجاء من يجتبرها لينظر ما شدتها ، فوجد انها قوية ، وان من
يسدد اليه بهذه القوس يتحقق هلاكه ••• وقلبا ثانية ، وجذب وترها
لترن فصوتت مثل بكاء الثكلى ••• واخيرا فهذه القوس تغطي بالثياب
النفيسة اذا سقطت الانداء خوفا عليها ان تفسد اوتارها لعزتها
على اصحابها •

وكان الشعراء الجاهليون يكثرون من اوصاف السهام في جميع
مراحلها منذ بريها وتركيب الريش فوقها حتى لحظة استخدامها ، وهم
في كل تلك العمليات انما يسعون الى غرض واحد ، وهدف مقصود هو
اعداد هذه الهدية الى اعدائهم الذين يبغضونهم ليصوبوها الى قلوبهم ،
وفي ذلك يقول الشنفرى (٢٧١) :

وردت بمأثور يمان وضالة تخيرتها مما اريش وارصف
اركبها في كل احمر غائر وانسج للولدان ما هو مقرف
وتابعت فيه البري حتى تركته يرن اذا انزفته ويزفرف
بكفي منها للبغيض عراضة اذا بعث خلا ماله متعرف (٢٧٢)

وقال ذو الاصبغ العدواني فاعتا سهامه وريشها :

السيف والرمح والكنانة والنبل جيادا محشورة صنعا
قوم افواقها وترصها انبل عدوان كلها صنعا
ثم كساها احمر اسود قينانا وكان الثلاث والتبعنا

هذه هي اشهر اسلحة الهجوم التي اعتمدها العربي في حياته ،

(٢٧١) ديوان الشنفرى ص ٣٨

(٢٧٢) وفي الاغانى ٩٢/٢١ مع اختلاف .

وهناك جانب آخر من الاسلحة كان يتوقى فيها هجمات الاعداء ، وهي
أسلحة الدفاع ، منها الدروع والبيض والمغافر والترس •

والدرع ثوب ينسج من زرد الحديد ، يلبس في الحرب ، وله
اكمام قصيرة تصل الى منتصف الذراع ، ويصنع احيانا من حلقات
معدنية صغيرة • متداخل بعضها في بعض • وجرى لبس الدرع على ثوب
من النسيج المبطن اشبه بوسادة تحت حلقات المعدن او صفائح
الرفيعة •

وقد شغل وصف الدروع جانبا كبيرا من الشعر الجاهلي ، لانه
وقاية انفارس وحاجز الموت عنه ، ووسيلته في الدفاع عن نفسه • قال
عمرو بن كلثوم (٢٧٣) :

علينا البيض واليلب اليماني واسياف يقمن وينحنينا (٢٧٤)
علينا كل سابعة دلاص ترى فوق النجاد لها غضونا (٢٧٥)

وقال عامر بن الطفيل (٢٧٥) :

بالباسلين من الكماة عليهم حلق الحديد يزينا السرد* (٢٧٦)

وقد استحب العربي الدروع المضاعفة النسج التي نسجت حلقتين

(٢٧٣) التبريزي : شرح القوائد العشر ص ٢٤٣ - ٢٤٤ •

(٢٧٤) البيض : جمع بيضة الحديد ، واليلب : الدرع وقيل
الديباج وقيل ترسة تعمل في اليمن من جلود الابل ، لا يكاد يعمل فيها
شيء • ينحنين : اي ينثنين من كثرة الضراب • وقال الاصمعي اليلب :
جلود يخرز بعضها الى بعض ، تلبس على الرؤوس خاصة وليست على
الاجساد ، وقال ابو عبيدة : هي جلود تعمل منها دروع تلبس وليست
بترسة • وقيل إلباب جلود تلبس تحت الدروع •

(٢٧٥) ٩ لسابغة : التامة من الدروع • والدلاص : اللينة التي
تزل عنها السيوف • والنجاد : حمائل السيف • والفضون : التكسر •

(٢٧٥) الديوان ص ٤٢ •

(٢٧٦) الباسلون : الاشداء والشجعان • والكماة : الواحد كمي :
أي يكمي عدوه ، يقمعه • والسرد : تتابع عمل الدرع •

حلقتين ، والتي تغشى القدم والكف والبنان ، قال راشد بن شهاب
اليشكري (٢٧٧) :

ومطرّد الكعنين اسمر عاتر^{٢٧٨} وذات قتيّر في مواصلهاد رَم (٢٧٨)
مضاعفة جدلاء او حُطميّة تغشّي بنان المرء والكف والقدم (٢٧٩)

وقال الجميح (٢٨٠) :

مدرّعا ريطّة مضاعفة^{٢٨١} كالنهبي وفقى سراره الرهم^{٢٨١}

وقال قيس بن الخطيم (٢٨٢) :

فلما رأيت الحرب حربا تجردت لبست مع البردين ثوب المحارب
مضاعفة يغشى الانامل فضلها كأن قتيّريها عيون الجنادب (٢٨٣)

وقال بشامة بن عمرو (٢٨٤) :

(٢٧٧) المفضل الضبي : المفضليات ١.٠٨/٢ - ١.٠٩ .

(٢٧٨) المطرد : يعني رمحا اذا هز اضطرب كله واطرد في اضطرابه
كاطراد الماء في جريه . العاتر : الصلب . ذات قتيّر : يعني درعا . والقتير .
رؤوس مسامير الدرع . الدم : الاستواء واراد بمواصلها ما يتصل
بالحلقتين .

(٢٧٩) المضاعفة التي نسجت حلقتين حلقتين . الجدلاء : المحكمة .
الحطمية : المنسوبة الى حطمه بن محارب بن عبد القيس وكان صانع
دروع ويقال انها التي تحطم السيوف .

(٢٨٠) المفضل الضبي : المفضليات ٤.٠/١

(٢٨١) الريطة : الملاة واراد بالريطة هنا الدرع شبهها بها لصفاء
حديدها . المضاعفة التي نسجت من حلقتين حلقتين . النهي بفتح
النون وكسرها : الفدير وسراره بالفتح : وسطه . الرهم بكسر ففتح :
جمع رهمة بكسر فسكون . المطرة الضعيفة الدائمة . ووفته الرهم :
ملأته ، فاذا امتلأ الفدير وضربته الرياح بدت فيه طرائق وصفاء تشبه
به الدروع .

(٢٨٢) ديوان قيس بن الخطيم ص ٣٣ .

(٢٨٣) القتيّر : رؤوس المسامير احلق الدروع . ويشبه القتيّر
بحلق الاسود وبحلق الجراد .

(٢٨٤) المفضل الضبي : المفضليات ٥٧/١ .

ومن نسج داود موضونة ترى للقواضب فيها صليلا (٢٨٥)

وقال ابو قيس بن الاسلت الانصاري (٢٨٦) :

اعددت للاعداء موضونة ففضاضة كالنهي بالقاع (٢٨٧)

وكانوا يميلون الى لبس الدروع الواسعة السابعة ، التي تفضل
عن اطراف الفارس ، والصلبة المتينة التي تتلم عليها السيوف ، وتتكر
عندها السهام . قال عبد قيس بن خفاف البرجبي يصف قوة درعه
واتساعها (٢٨٨) :

وسابعة من جواد الدروع تسمع للسيف فيها صليلا

كماء الغدير زفته الدبور يجر المدجج منها فضولا (٢٨٩)

وقال يزيد بن الخذاق يصف درعه (٢٩٠) :

نعد ليوم الروع زغفا مفاضة دلاصا وذاغرب احد ضروسا (٢٩١)

وقال طريف العنبري (٢٩٢) :

(٢٨٥) نسج داود : بريد الدروع . موضونة : التي نسجت

حلقتين حلقتين مضاعفة . القواضب : السيوف القاطعة . الصليل : الصوت

على الشيء اليابس . عبر عن السماع بالرؤية توكيدا للمعنى .

(٢٨٦) المفضل الضبي : المفضليات ٨٤/٢

(٢٨٧) موضونة : التي نسجت حلقتين حلقتين ، يعني الدرع .

الفضفاضة : الواسعة . النهي : الغدير .

(٢٨٨) المفضل الضبي : المفضليات ١٨٦/٢ .

(٢٨٩) اراد ان هذه الدرع في صفائها مثل ماء الغدير الذي تصفقه

الرياح . الدبور : ريح تهب من المغرب تقابل الصبا ، وخصها لانها شديدة

المر تكدر الماء . وزفيها الماء : ان تطرده وتدفعه . المدجج بفتح الجيم

وكسرها : اللابس السلاح التام . يريد انها سابعة تفضل عن اطرافه .

(٢٩٠) المفضل الضبي : المفضليات ٩٨/٢ .

(٢٩١) الزغف : الدرع اللينة . المفاضة : الواسعة . الدلاص :

السهلة . الغرب : الحد و اراد بذئ الغرب : السيف . الاحذ : الخفيف .

الضروس : السوء الخلق في الابل وهو في السيف تشبيهه .

(٢٩٢) الاصمعيات ص ١٤٠ .

تحتى الاغر وفوق جلدي نثررة" زغف ترد السيف وهو مثلم (٢٩٣)

وقال المزرد اخو الشماخ يفخر بشجاعته ويصف درعه (٢٩٤) :

ومسفوحة فضفاضة تبعية وأنها القتير تجتويها المعابل (٢٩٥)

دلاص كظهر النون ما يستطيعها سنان ولا تلك الحظاء الدواخل (٢٩٦)

موشحة بيضاء حاب حبيكها لها حلق بعد الانامل فاضل (٢٩٧)

مشهرة تحنى الاصابع نحوها اذا جمعت يوم الحفاظ القبائل (٢٩٨)

وتسبغة في تركة حبيرية دلا مصة ترفض عنها الجنادل (٢٩٩)

وكما نالت الاسلحة المتقدمة احترام العربي وتقديسه، نالت الدروع نفس الاحترام والاعتزاز ، فكانوا يتوارثونها ، ويحتفظون بها . ولقد روي في أخبار امريء القيس ان عدد الدروع التي ورثها عن ابيه خمسة ، وهي الفضفاضة والضاوية والمحصنة والخريق وام الذبول . وكان بنو آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك (٣٠٠) . وقد اعتنى بها

(٢٩٣) الاغر : فرسه . النثرة : الدرع السلسلة الملبس . الزغف : الدرع اللينة .

(٢٩٤) ديوان المزرد ص ٤٣ .

(٢٩٥) مسفوحة : درع مصبوبة صبا . فضفاضة : واسعة .
وأنها . شدتها . والواي من الخيل : الشديد . والقتير : رؤوس المسامير .
تجتويها : تنبو عنها لا تستمرؤها . المعابل : اي تضعف عنها كما يضعف
الرجل عن الارض الوبيئة .

(٢٩٦) الدلاص : الخلقاء اللينة . والحظاء الدواخل : السهام

الصفار يلعب بها الصبيان . كظهر النون : أي كالممكة في ملاستها .

(٢٩٧) موشحة : فيها طرائق صفر . أي نحاس . الحبيك : الطرائق

من النسج . فاضل : زائد يريد انها سابعة .

(٢٩٨) تحنى الاصابع نحوها : يشار اليها لوجودتها . الحفاظ :

الذب عن المحارم والفضب لها .

(٢٩٩) التسبغة : نسيج يكون من حلق يلبس تحت البيضة

المستديرة . الدلامصة : السهلة اللينة ، واذا لان الحديد كان أجود له .

ترفض : تنكسر وتفرق عنها لصلابتها .

(٣٠٠) الاصفهاني : الاغاني ٩/٩٣ .

العربي عناية فائقة ، فكان يجلوها بعد انتهاء المعركة ، ويضعها في اماكن خاصة خشية الصدا والتلف •

أما البيضة فهي غطاء الرأس الذي تحدث عنه الشعراء ، فامتدحوه وأكثروا من ذكره في أشعارهم • قال عمرو بن معد يكرب يذكر بلاء قومه في الحرب (٣٠١) :

صبحتهم بيضاء يبرق بيضها اذا نظرت فيها العيون ازمهرت (٣٠٢)

وكان الفرسان يشدون البيض الى الدروع خشية سقوطها • قال المنخل الشكري (٣٠٣) :

وفوارس كأوار حَرَ النار احلاس الذكور (٣٠٤)
شدوا دوابر بيضهم في كل محكمة القتير (٣٠٥)

وإذا طالت الحرب وبعدت ايامها ظل الفارس محتفظا بعدته لا يخلعها ، فتتغير ملامح الفرسان ، وتتبدل الوان اسلحتهم بسبب ما يصيبها من العوارض ، وتبقى البيض على رؤوسهم طوال تلك المدة ، حتى تذهب بشعر رؤوسهم ، قال ابو قيس بن الاسلت (٣٠٦) :

من يذق الحرب يجد طعمها مرا وتحبسه بجعجاع (٣٠٧)
قد حصت البيضة رأسي فما اطعم غمضا غير تهججاع (٣٠٨)

-
- (٣٠١) الاصمعي : الاصمعيات ص ١٢٩ .
(٣٠٢) صبحتهم : جئتهم بالكتيبة صباحا . بيضاء يريد كتيبة بيضاء عليها بياض الحديد . بيضا : قلانس الحديد على رؤوسها واحدها بيضة . ازمهرت : احمرت من الغضب .
(٣٠٣) الاصمعي : الاصمعيات ص ٥٤ .
(٣٠٤) الاوار : الوهج . الاحلاس : جمع حلس ، وهو كل شيء عولي ظهر الدابة تحت السرج ونحوه .
(٣٠٥) البيض : قلانس الحديد . ودوابرها : ما خيراها . القتير : مسامير الدروع .

- (٣٠٦) المفضليات ج ٢ ص ٨٤ .
(٣٠٧) الجعجاع : الحبس في المكان الغليظ او الضيق .
(٣٠٨) حصته : اذهبت شعره ونثرته لطول مكثها على رأسه ، ومعنى البيت انه يطيل لبس السلاح ويقل النوم .

وقد تشبه البيض وهي على رؤوس الفرسان بيض النعام في املاسه
وصفائه . قال سلامة بن جندل (٣٠٩) :

كأن النعام باض فوق رؤوسهم بنهي القذاف او بنهي مخفق (٣١٠)

اما الترس فهو من معدات الحرب التي تستعمل للوقاية ، وكانوا
يتخذونه من جلود الابل ، لذلك قالوا عنه الاسمر . قال ابو قيس بن
الاسلت الانصاري (٣١١) :

صدق حسام وادق حادته ومجناء اسمر فراح (٣١٢)

ويشبه الترس وسط المعركة بالشمس في القتام . قال المزرد (٣١٣) :

وجوب يرى كالشمس في طخية الدجى

وابيض رساب الكريهة قاصل (٣١٤)

من هذه النماذج الكثيرة التي لم نطل في سردها ، نستطيع ان
نصور الحالة التي كانت تسود المجتمع الجاهلي ، والتي دفعت العرب
الى الاهتمام بالسلاح . لانه اصبح ضرورة من ضروريات الحياة ، ومن
هنا كانت غاية العربي الحصول على اكبر قدر منه ، ليستطيع مواجهة
الحياة ومواجهة ظروفها القاسية .

(٣٠٩) الاصمعيات ص ١٤٩ .

(٣١٠) شبه البيض على رؤوسهم بيض النعام . النهي : الموضع
الذي له حاجز ينهي الماء ان يفيض منه ، وقيل هو الفدير . القذاف
ومخفق : موضعان .

(٣١١) الفضليات ج ٢ ص ٨٥ .

(٣١٢) الصديق : الصلب . الحسام : القاطع . الوداق : الماضي
الحداد : المجنأ : المعطوف ، عنى به الترس وجعله اسمر لانهم كانوا
يتخذون الترس من جلود الابل . القراع : الصلب .

(٣١٣) ديوان المزرد ص ٤٤ .

(٣١٤) جوب : ترس . طخية : ظلمة . رساب : أي يرسب عند
الكريهة ، أي حين تضرب به الضرائب الشداد .

الفصل الرابع

تقاليد الفروسية

ليس في امكاننا التحدث عن تقاليد الفروسية كنظم قائمة ، أو مؤسسات لها دساتير وقوانين تفرض على منتسبيها شروطا معينة ، وتحملهم واجبات محددة ، وانما هي اخلاق يرثها الابناء عن الآباء ، وقيم اجتماعية وجدت في الجزيرة العربية متسعا لها فانطلقت في رحابها ، حتى أصبحت رابطة تضم العرب كلهم في مجالسها • يتدربون عليها ليصبحوا فرسانا ، يدفعون عنهم الذل ، وينتصرون ليكتبوا لهم ولقبائهم صفحات المجد والخلود ، ويسعون ليحفظوا لتلك القيم والمثل قدسيها •

فالرجل الجاهلي يشب وهو يحس حاجة الى التدريب على ركوب الخيل ، والقيام بأمورها ، والاستعداد لخوض غمار الحرب ، والتأهب لمقابلة الفرسان ، فهو يقدم في مواضع الاقدام ، ويحجم في مواضع الاحجام ، ولا يدخل موضعا لا يرى له فيه مخرجا •

ومن هنا نجد معاني الفروسية ومثلها متلازمة ، لا تذكر منها واحدة الا أردفت بيقينتها ، فالفراس كريم جواد وقت الازمة ، يمنع جاره ويأخذ للحرب عدتها بفرس تسقى اللبن ، وتسبق حمار الوحش كما جاء في قول عوف بن عطية^(١) :

(١) المفضل الضبي : المفضليات ٢/ ٢١٣ .

وقالت كيشة^٢ من جهلها : أشيبا قديما وحلما مَعَارَا
فما زادني الشيب الا ندى اذا استروح المرضعات القتارا^(٢)
أحيي الخليل واعطي الجزيل حياء وافعل فيه اليسارا
وامنع جاري من المجففات والجار^٣ ممتنع حيث صارا
واعدت للحرب ملبونة^٤ تُرد على سائسها الحمارا^(٣)

وهذا ربيعة بن مقروم ، يفخر بقومه ، ويصف شدة بأسهم في
الحروب ، ويذكر ايامهم ، فيقرن تلك الشجاعة بكرمهم وحمايتهم للمرأة ،
واقفاهم وقت الشدة فيقول^(٤) :

وان تسأليني فإني امرؤ أهين اللئيم واحبو الكريما
وابني المعالي بالمكرمات وأرضي الخليل واروي النديما
ويحمد بذلي له معتف^(٥) اذا ذم من يعتفه اللئيم^(٥)
وقومي ، فان انت كذبتني بقولي فاسأل بقومي عليم^(٦)
اليسوا الذين اذا أزومة^(٦) الحت على الناس تُنسي الحلوما^(٦)
يُهينون في الحق اموالهم اذا اللزبات^(٧) التحين المسيم^(٧)

والفارس يسعى لكسب الحرب ، ويكتفي بنفوس اعدائه في
ميدان الطعان ، ويترفع عن اخذ الاسلاب والغنائم ، وفي ذلك يقول
عنتر^(٨) :

-
- (٢) استروح : تشمم . القتار : ريح الشواء : يريد اشتد الزمان ،
وكان القحط ، ولم يطعم احد صاحبه لضيق العيش .
(٣) الملبونة : التي تسقى اللبن .
(٤) المفضل الضبي : المفضليات ١ / ١٨١ .
(٥) المعتفي : المعرض من غير مسألة .
(٦) الحلووم : العقول .
(٧) اللزبات : بفتح الزاي . جمع لزبة يسكونها : وهي القحط .
التحين : قشرن يقال لحوت العود ولحيته : اذا قشرت ما عليه من لحائه .
المسيم : صاحب الابل والفنم ، اشتق اسمه من السائمة .
(٨) ديوان عنتر : تحقيق عبدالمنعم عبدالرؤوف ص ١٠ .

إذا التقيتُ الاعادي يوم معركة تركتُ جمعهم المغرورُ ينتهبُ
لي النفوس والمطير اللحوم وللوحش العظام وللخيالة السلبُ
ويكرر هذا المعنى في معلقته فيقول مخاطبا حبيته^(٩) :
يخبركُ من شهد الواقعة انني اغشى الوغى واعفث عند المغنم
والفارس لا يقبل الحياة مازجها الهوان مهما تكن المغريات ، فهي
في حلقه غصص وشجي ، قال عنتره^(١٠) :

لا تسقني ماءَ الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز اطيب منزل
وقد اتصف قسم من الشعراء الفرسان بعدم الاندفاع وراء الخيال
في المبالغة ، لما يصيب اعداءهم في المعركة ، وانما كانوا معتدلين منصفين ،
يذكرون ما وقع لخصومهم في المعركة وما وقع لقومهم فيها دون تحيز ،
ويعترفون لخصومهم بالبأس والنجدة والمروءة ، فلا يذمونهم ، ولا
يجردونهم من صفات الفروسية الحققة، ومن هنا نشأت « المنصفات » التي
تحدثنا عنها في غير هذا الموضوع .

وكان من عادة الفرسان ألا يقتلوا عيون الاعداء وجواسيسهم
الذين يندسون في صفوفهم ليعرفوا اسرارهم ، أو يقفوا على عددهم
وعدتهم ، ليرجعوا الى مرسلهم بواضح الاحوال والاخبار ، ولينبؤهم
بمبلغ قوتهم واستعدادهم ، والى ذلك يشير عبد الشارق بن عبد
العزى^(١١) :

ودسّوا فارسا منهم عشاءً فلم نغدر بفارسهم لدينا
ومن تقاليد الفروسية ، معاملة الاسرى بالحسنى ، لانهم
الفارس أن تكون معاملته قائمة على الحسنى ، ولا تتسم بالاذلال
والاهانة ، لانهم يعتقدون بأن عز الاسير واحترامه يمثل الهدف النبيل ،

(٩) نفس المصدر : ص ١٥٠

(١٠) نفس المصدر : ص ١٣٥ .

(١١) ابو تمام : الحماسة . شرح المرزوقي ٤٤٤/١ .

ويصور منتهى الشهامة والسمو الانساني في معاملة شخص يقع تحت
رحمة شخص آخر أقوى منه ، و متمكن عليه ، ولكنه يرفق به ، ويحسن
اليه ، وفي ذلك يقول علقمة بن عبدة الفحل يمدح الحرث بن جبلة (١٢) :

وما مثله في الناس الا اسيره^١ مدان^٢ ولا دان لذاك قريب^٣

والفرسان يصرحون باحسانهم الى الاسرى ، لانهم يريدون ان
يحسن خصومهم الى اسراهم ، والفارس لا يجوز لنفسه ان ينزع عن
الاسيرة حليها أو قلايتها .

أما جز النواصي (١٣) - وكان العرب يخبرون الاسير بين الاسر
وجز الناصية - فكان من النعم التي ينعم بها الفارس على الرجل
الشريف اذا وقع اسيرا بين يديه ، وتكون الناصية عند من جزها ، او
تحفظ في الكنان ، لتكون وسيلة من الوسائل التي يفاخر بها الفارس ،
ويقتل من شأن القبيلة التي كان الاسير منها (١٤) :

قال بشر بن ابي خازم الاسدي (١٥) :

فاذ جُزّت نواصي آل بدرٍ فادوها وأسرى في الوثاق

والا فاعلموا إننا واتم بعاة ما حيننا في شقاق

وقالت الخنساء مفتخرة بقومها (١٦) :

جززنا نواصي فرسانهم وكانوا يظنون الا تُجزا

ومن ظن ممن يلاقي الحروب بان لا يُصابَ فقد ظن عجزا

اما الفراسة فقد كانت معروفة بالنسبة للفرسان ، وهذه الفراسة
لا تتأني الا نتيجة التجربة الحربية الطويلة ، والممارسة الفعلية لقيادة

(١٢) الفضل الضبي : المفضليات ١٩٦/٢

(١٣) النواصي : جمع ناصية ، وهي الشعر في مقدم الرأس فوق

الجبهة وجزها قصها .

(١٤) ابو عبيدة : النقائض ١٥/٢ ، ١١٥/٢ .

(١٥) ديوان بشر بن ابي خازم ص ١٦٥ .

(١٦) المبرد : الكامل في اللغة والادب ١٢٢٤/٣ .

المعارك • ففي يوم الصلعاء^(١٧) عندما غزا دريد بن الصمة غطفان خرجت إليه غطفان ، فقال دريد لصاحبه : ما ترى ؟ قال : ارى خيلا عليها رجال كأنهم الصبيان ، استنتها عند اذان خيلها • قال : هذه فزارة ثم قال : انظر ما ترى ؟ قال : ارى قوما كأن عليهم ثيابا غمست في الجادي^(١٨) • قال : هذه اشجع ثم قال : انظر ما ترى ؟ قال : ارى قوما يهزون رماحهم سوداً يخدون الارض باقدامهم • قال : هذه عبس • اتاكم الموت الزؤام فاثبتوا^(١٩) •

وكان منهم من يتخذ له شارات تميزه عن غيره في المعركة ، او علامات يُعرف بها ، كما وقع في يوم تحلاق اللحم ، فقد حلقت بنو بكر يومئذ رؤوسها ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نساءهم ، وقد قلدوا كل امرأة ادواة^(٢٠) من ماء ، واعطوها هراوة • فاذا مرت على صريع من قبيلتها عرفته من حلاقة لمته فسقته الماء وانعشته ، واذا مرت على رجل من غير قبيلتها ضربته بالهراوة فقتلته ، فكان ذلك من اسباب انتصار بكر على تغلب •

وكان المقاتلون من الفرسان يلبسون الدروع ، حماية من الضرب ، وغالبا ما تكون هذه الدروع طويلة واسعة ، يسحبها الفارس سحبا ، وهي احب عندهم لسترها معظم الجسد ، فيبدون وهم يرتدونها كالسيول لكثرتها ولما كسبته من لون الحديد • قال عنتره^(٢١) :
وسارت رجال^(٢٢) نحو اخرى عليهم ال
حديد كما تمشي الجمال الدوالح^(٢٣)
اذا ما مشوا في السابغات حسبتهم سيولا وقد جاشت بهن الاباطح^(٢٣)

(١٧) الصلعاء : رابية في ديار غطفان •

(١٨) الجادي : الزعفران •

(١٩) ابن عبد ربه : العقد الفريد ١٧٣/٥ •

(٢٠) الادواة : اناء صفير •

(٢١) ديوان عنتره : تحقيق عبد المنعم عبدالرؤوف ص ٤٧ •

(٢٢) الدوالح : التي تمشي متناقلة من ثقل ما تحمل •

(٢٣) الدرع السابغة : التي تجرها في الارض او على كعبيك

طولا وسعة •

وتعتبر الدرع حياة ثانية لصاحبها ، لأنها جلد حديدي فوق جلده ،
يقيه طعنات الرماح ، وضربات السيوف .

وكان بعض المياسير وكبار القواد يضاعف بين درعين يلبس
أحدهما فوق الأخرى ، زيادة في الحيلة والتوقي ، كما فعل الحارث بن
جبله الغساني في يوم حليلة ، وفيه يقول علقمة بن عبدة الفحل (٢٤) :

مُظَاهِرٌ سِرْبَالِي حَدِيدٍ ، عَلَيْهِمَا عَقِيلَا سِيُوفٍ مَخْذَمٌ * وَرَسُوبٌ (٢٥)
تَخْشِشُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمُ
كَمَا خَشِشْتَ يَبْسَ الْحَصَادِ جَنُوبٌ (٢٦)

ويروى أن رسول الله (ص) لبس يوم أحد درعين ظاهر بينهما ،
واشترى يزيد بن حاتم دراعا ، فقال اني لست اشترى ادراعا ، وانما
اشترى اعماراً (٢٧) .

وهناك فريق من الفرسان كان يلبس الدرع بلا اكمام ، لتسهيل
حركة يديه عند الطعن وخفتهما اثناء القتال ، على أن بعض المبرزين من
الابطال كان يعتز بشجاعته ، فيترك الدرع ويحارب حاسراً ، ثقةً من
أن يقي نفسه بغير سيفه ورمحه ، فالفارس الحق من يعتمد على سيفه
دون أي سلاح ، وذلك لخفة حملة ، وسرعة قطعه ، واجهازه على القتل .
يقول قيس بن الخطيم (٢٨) :

-
- (٢٤) المفضل الضبي : المفضليات ٢/ ١٩٤ .
(٢٥) السربال : القميص وعنى به ههنا الدرع . المخذم : القاطع
الذي يبين الضريبة ، وكان الحارث يتقلد بسيفين .
(٢٦) الخشخشة : صوت الثوب الحديد اذا لبس . البدن : الدرع
من الزرد .
(٢٧) الشمشاطي : كتاب الانوار ومحاسن الاشعار . مخطوط في
مكتبة السلطان أحمد الثالث باستانبول تحت رقم (٢٣٩٢) .
(٢٨) ديوان قيس بن الخطيم : تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي
والدكتور احمد مطلوب ص ٣٤ .

أجالدهم يوم الحديقة حاسراً
كأن يدي بالسيف مخراقٌ لاعب^(٢٩)

وكان بعضهم يتمنطق النطاق في الحرب ليشد به وسطه ، ويعلق به
سلاحه •

قال عبيد بن الأبرص^(٣٠) :

وقد اترك القرن الكميّ بصدري
مششلةً فوق النطاق تفوح^١

كما كان البعض الآخر يرتدي الخوذات التي تلتصق فيها القوانس •
كما جاء في قول عبيد بن الأبرص^(٣١) :

شُمٌّ كأن سنا القوانس فوقهم
نارٌ على شرفِ اليفاع تلهب^(٣٢)

ولذكر العمائم مواضع • لأنها كانت تيجانهم وبها عزهم ، وقد
وردت في اشعارهم كثيراً ، قال اوس بن حجر^(٣٣) :

ولما دخلنا تحت فيء رماحهم خبطت بكفي اطاب الارض باللمس
فأبتُ سليماً لم تمزق عمامتي ولكنهم بالطعن قد خرّقوا ترسي

وكانوا يجعلون العمامة لواءً اذا اضطروا لذلك ، فالاحنف بن
قيس عندما عقد لعيس بن طلق اللواء نزع عمامته من رأسه فعقدتها
له^(٣٤) • وربما شدوا بالعمائم اوساطهم عند المجاهدة ، واذا طالت العقبة ،

(٢٩) الحديقة : قرية من اعراض المدينة في طريق مكة كانت بها
وقعة بين الاوس والخزرج قبل الاسلام . والمخراق : خرقه مفتولة يلعب
بها الصبيان •

(٣٠) ديوان عبيد ص ٤٨ •

(٣١) ديوان عبيد ص ٣٣ •

(٣٢) يريد قوانس الخوذات : وهي اوساطها في علاها • اليفاع
كل ما ارتفع من الارض •

(٣٣) ديوان اوس بن حجر ص ٥٢ •

(٣٤) الجاحظ : البيان والتبيين ٩٦/٣ •

ولذلك قال شاعرهم (٣٥) :

دُفَعْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ كَالذَّبِيحِ خَاطِبًا نَشْدُو عَلَى أَكْبَادِنَا بِالْعَمَائِمِ (٣٦)

وقال آخر (٣٧) :

خَلِيلِي شَدَّاءَ لِي بِفَضْلِ عَمَامَتِي عَلَى كَبْدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا صَمِيمُهَا

وكان من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع ، وفي اسواق العرب ، كأيام عكاظ وذي المجاز وما اشبه ذلك ، التقنّع الا ما كان من ابي سكيط طريف بن تميم احد بني عمرو بن جندب ، فانه كان لا يتقنّع ولا يبالي أن يثبت عينه جميع فرسان العرب ، متحدياً أعداءه ومن يريد اخذ الثأر منه نتيجة اعتداده بنفسه ووثوقه بشجاعته والى ذلك يشير في قوله (٣٨) :

أَوْ كَلِمَا وَرَدَتْ عَكَاظَ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيْقَهُمْ يَتَوَسَّمُ
فَتَوَسَّمُونِي إِنِّي أَنَا ذَاكُمْ شَاكٌ سَلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مَعْلَمٌ
تَحْتِي الْإِغْرُ وَفَوْقَ جَلْدِي نَثْرَةٌ زَغْفٌ تَرْدُ السِّيفِ وَهُوَ مِثْلَهُمْ (٣٩)

وربما يعلم الفارس عن نفسه بعلامة ، كما فعل حمزة بن عبدالمطلب يوم بدر فاعلم عن نفسه بريشة نعامة حمراء ، وكان الزبير بن العوام معلماً بعمامة صفراء (٤٠) . ولكن الغالب على الفرسان انهم كانوا يكرهون ان يُعرفوا فلا يكون لفرسان عدوهم همٌ غيرهم (٤١) .

وكان قسم منهم يرفع علماً في الحرب ليدل على نفسه ومكانه ، وفي ذلك يقول اوس بن حجر (٤٢) :

-
- (٣٥) نفس المصدر ٩٦/٣ .
(٣٦) الذبيح : ذكر الضياع .
(٣٧) الجاحظ : البيان والتبيين ٩٦/٣ .
(٣٨) نفس المصدر ٩٣/٣ .
(٣٩) النثرة : الدرر المتينة .
(٤٠) الجاحظ : البيان والتبيين ٩٣/٣ .
(٤١) نفس المصدر : ٩٣/٣ .
(٤٢) ديوان اوس بن حجر ص ١٢٢ .

رَأْتِي مَعَدَّةً مُعَلِّمًا فَتَنَازَرْتُ مُبَادِهْتِي أَمْشِي بِرَايَةِ مُعَلِّمٍ (٤٣)
وقد امتدحوا البطل الذي يصل سيفه بخطواته ، لان ذلك دليل
على فضل جرأته • قال الاخنس التغلبي (٤٤) :

وَانْقَصَرَتْ اَسِيافُنَا كَانِ وَصَلَّتْهَا خَطَانَا اِلَى الْقَوْمِ الَّذِيْنَ نَضَارِبُ
وَفِي طَرِيقَتِهِ قَالَ بِشَامَةَ النَّهْشَلِيِّ (٤٥) :

اِذَا الْكِمَاةُ تَنْحَوُّوْا اِنْ يَنْالَهُمْ حَدُّهُ الطُّبَاتُ وَصَلْنَاهَا بِاَيْدِيْنَا
وربما زاد الفارس في طول رمحه ليخبر عن فضل قوته ، لانه
لا يحمل الرمح الخطل منهم الا الشديد الأيّد ، والمدل بفضل قوته ،
الذي اذا رآه الفارس في تلك الهيئة هابه وحاد عنه (٤٦) :

وَالِي هَذَا يَشِيرُ رِبِيعَةُ بْنُ مَقْرُومٍ عِنْدَمَا يَمْدَحُ قَوْمَهُ (٤٧) :
طَوَالَ الرِّمَاحِ غَدَاةُ الصَّبَاحِ ذُوو نَجْدَةٍ يَسْنَعُونَ الْحَرِيْمَا
وَكَاثِرًا يَتَّخِذُونَ الْفَاظَا يَسْمُوْنَهَا الشُّعَارُ ، يَتَنَادَوْنَ بِهَا اِثْنَاءَ الْمَعْرَكَةِ ،
عَلَى اَنْ هَذِهِ الْاَلْفَاظُ لَمْ تَكُنْ مَعِيْنَةً ، وَاِنَّمَا هِيَ مُصْطَلِحَاتٌ يَتَّفِقُوْنَ عَلَيْهَا
حَسَبَ مَقْتَضَى الْحَالِ •

فَكَانَ شُعَارَ الْاِحْزَابِ فِي غَزْوَةِ اَحَدٍ « يَا لِلْعَزَى يَا لِهَيْلٍ » ، وَكَانَ
شُعَارَ تَنْوُخِ فِي الْحِيْرَةِ « يَا اَلَّ عِبَادِ اللّٰهِ » • وَجَعَلَ النَّبِيُّ (ص) لِكُلِّ مَنْ
الْمُهَاجِرِيْنَ وَالْاَنْصَارِ شُعَارًا • فَكَانَ شُعَارَ الْمُهَاجِرِيْنَ « يَا بَنِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ »
وَشُعَارَ الْاَوْسِ « يَا بَنِي عُبَيْدِ اللّٰهِ » وَشُعَارَ الْخَزْرَجِ « يَا بَنِي عَبْدِ اللّٰهِ »

(٤٣) فتناذرت مبادهتي : جعلت مفاجأتي ومقارعتي في الحرب
نذرا بينها •

(٤٤) الفضل الضبي : المفضليات ٧/٢ وفي حماسة ابي تمام
شرح المرزوقي : خطانا الى اعدائنا فنضارب •

(٤٥) ابو تمام : الحماسة شرح المرزوقي ١/١٠٨ •

(٤٦) الجاحظ : البيان والتبيين ٣/٢٢ • والخطل : الذي يضطرب
في يد صاحبه لافراط طوله • والايّد : القوي •

(٤٧) الفضل الضبي : المفضليات ١/١٨١ •

وكان شعار أصحاب رسول الله (ص) يوم أحد « أمت أمت » وكان شعار اصحاب رسول الله (ص) يوم خيبر « يا منصور أمت أمت » (٤٨) .

وكان بعض الفرسان يتخلى عن السلاح ، لان التخلى عنه يُعتبر منتهى الشجاعة وقمة الفروسية .

أما السكوت في الحرب فكان من تقاليدهم التي تعارفوا عليها ، لان ذلك دليل رباطة الجأش ، وأما كثرة الصوت والجلبة فهي اشارة الفزع ، ولان ذلك يثير الاضطراب في الصفوف، ويوهم العدو بارتباكهم، فيفتح المنافذ في صفوفهم ، وقد اوصى اكنم بن صيفي قومه في يوم الصفقة والكلاب الثاني فقال : اقتلوا الخلف على امرائكم ، ودعوا كثرة الصياح في الحرب فانه من الفشل (٤٩) .

كما جوزوا للفارس الهروب والفرار من المعركة اذا قدر ان الهروب في محله ، وانه اتفع من الثبات . لان النجاة في مثل هذه المواقف ، وبالنسبة لفارس مشهور ، تكون انتصارا للقييلة كلها . وان كان هذا الفرار يترك أثرا في نفوس الفرسان الآخرين الذين يخزيهم الفرار ، فيظلون في حومة المعركة ينتظرون المصير كما وقع لعبد يفتوح ابن وقتاص عندما وقع أسيرا في يوم الكلاب الثاني ، ولما لم يجد من القتل بدأ طلب اليهم أن يطلقوا عن لسانه - وكانوا قد شدوا لسانه لئلا يهجوهم - ليذم أصحابه ، وينوح على نفسه . فقال (٥٠) :

جزى الله قومي بالكلاب ملامةً صريحهم والآخرين المواليا (٥١)

(٤٨) ابن هشام : السيرة ١٣/٣ ، ٣٨٣/٣ وجرجي زيدان تاريخ التمدن الاسلامي ٢١٠/١ .

(٤٩) ابن الاثير : تاريخ الكامل ٢٦١/١ .

(٥٠) المفضل الضبي : المفضليات ١٥٥/١ .

(٥١) الكلاب : بضم الكاف : يوم الكلاب الثاني وفيه أسر عبد

يفتوح . صريحهم : خالصهم .

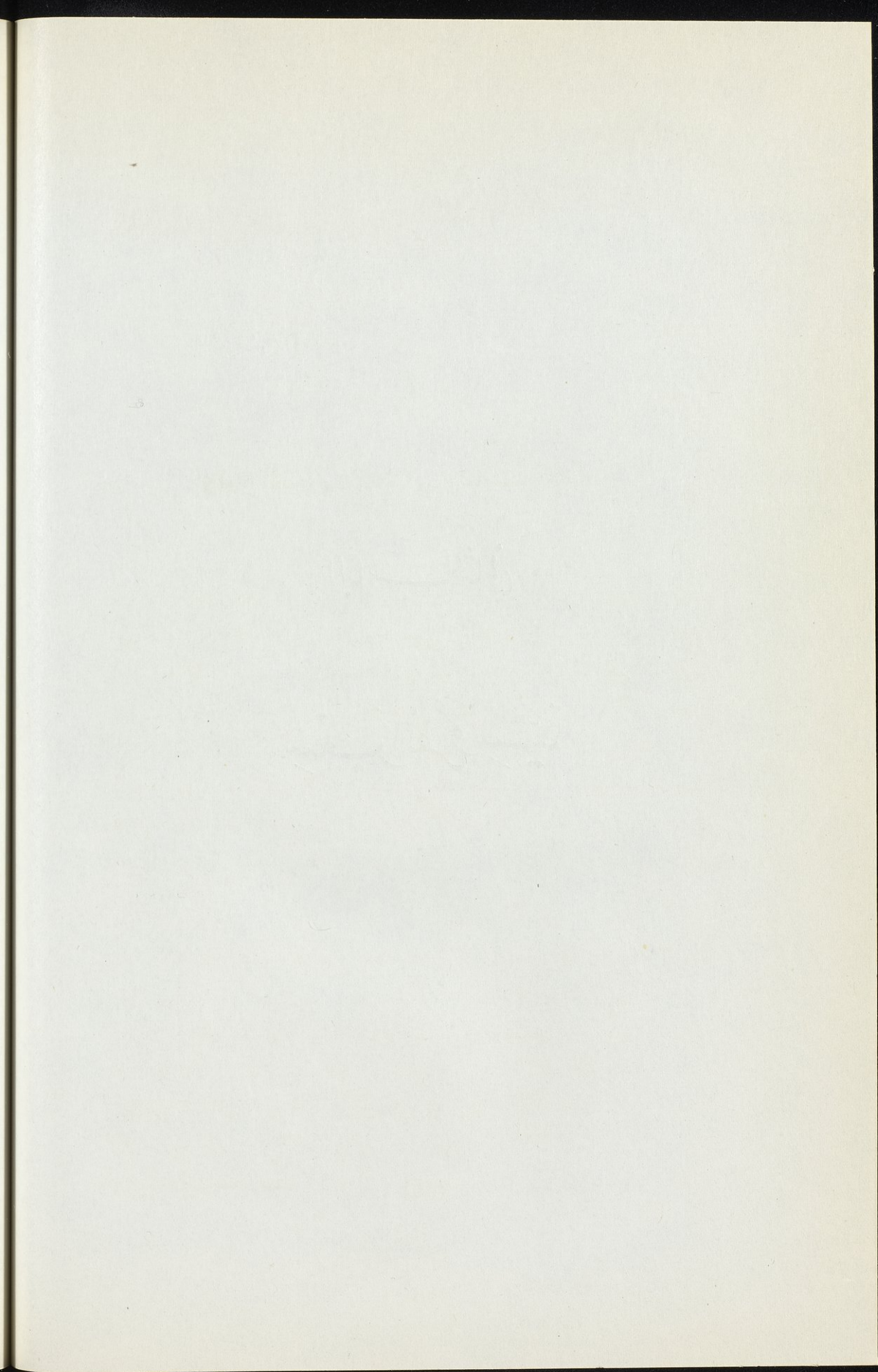
ولو شئتُ نجتني من الخيل نهدة" ترى خلفها الحوة الجياد تواليا (٥٢)
ولكنني احمي ذمار ابيكم وكان الرماح يختطفن المثاميا
واذا اراد الفارس ان يعتزل الحرب ويتخلى عن قومه اذا وجدهم
على غير حق ، حل وتر قوسه ، ونزع سنان رمحه ، واعتزل بأهله
وأقاربه . كما فعل الحارث بن عباد عندما علم بمقتل كليب (٥٣) .

وهكذا يصور لنا الادب الجاهلي تقاليد الفروسية التي عاشها
الانسان الجاهلي واضحة جلية ، ويرسم لنا مجموعة القيم الخيرة التي
سادت ذلك المجتمع ، وانتشرت بين ابناءه ، فكانت طريقا يسلكه الافراد ،
ودستورا يهتدون به دون قانون مكتوب .

(٥٢) النهدة : المرتفعة الخلق . الحوة : الخضرة ، والاحوى من
الخيال ما ضرب لونه الى الخضرة .
(٥٣) ابن الاثير : تاريخ الكامل ١ / ٢٢٠ .

الباب الثاني

شعر الفروسية



الفصل الأول

أولية الشعر الجاهلي وقضية الانتحال

لم يعد خافيا على مؤرخي الادب أن الشعر الجاهلي ترجع بدايته الى خمسين ومئة عام أو مائتي عام قبل الاسلام . ولم تعد هذه النظرية تجد مجالها في الاوساط العلمية التي تستند على البحث العلمي الدقيق ، وانما الذي تؤكد هذه الاوساط ، وتستطيع أن تطمئن اليه ، هو ان الشعر الجاهلي لم يكن بدائيا الى هذه الدرجة ، بل هو ثمرة ناضجة لمراحل سابقة من تطور الفن الشعري عند قبائل شبه الجزيرة العربية خلال اجيال طويلة ، وان الالتماعات الابداعية الرائعة التي نلمسها في الشعر الجاهلي لدليل ساطع على رقي هذا الشعر ومستواه الفني الرفيع .

كما ان النمو الطبيعي للقصيدة العربية ، بأوزانها وموضوعاتها ومضامينها ، تستدعي أن تكون هذه القصيدة قد مرت بأطوار كثيرة ، تعثرت خلالها تعثرات صعبة ، ووقفت أمام عوائق صلبة حتى كتب لها هذا الاكتمال الشامل . لاننا لو رجعنا الى القصائد الطويلة في الادب الجاهلي، لاحظنا انها تأخذ نمطا معيناً في التعبير والاداء . وكان الشعراء كانوا يحرصون على أسلوب موروث فيها ، وهذا ما يدفعنا الى الاعتقاد بأن القصيدة الجاهلية مرت بمراحل معينة ، كانت تقتفي فيها انماطا

تقليديه سائدة ، فهي بذلك تكون أبعد غورا في اعماق التاريخ ، وأكثر
ايغالا في ثناياه ، مما صوره لنا البعض ، ورسمته لنا اخيلة النقّاد
القدامى ♦

فبلاد العرب لبثت مدة طويلة قوة من القوى العظمى على الارض،
لها أعمالها الفكرية الهائلة ، وان الحيوية الدفاعة التي كانت تهدر في
الجزيرة العربية ، كانت مههدا حاسما للمشعل الحضاري الانساني الذي
حملته سواعد العرب ، فكانوا بحق من أكبر رواد الحضارة الانسانية ،
ومن أمجد صانعيها ♦

ان هذه الحيوية الخلاقة ، انطلقت من العصر الجاهلي الذي طبع
الحضارة العربية بطابع خاص متميز ، وان دراسة هذا العصر تستوجب
الوقوف طويلا عند دقائقه ، واستقصاء جوانبه ، لانها كونت فيما بعد
الاعمدة الضخمة في بناء الحضارة العربية ، ولانها تحمل ذخرا وافرا من
القيم الانسانية الاصيلة ، وما الشعر الجاهلي الا صورة تلك القيم ،
والتعبير الصادق عن الحنين الاصيل نحو الحياة الفضلى، فنظرة الانسان
الجاهلي الى واقع الحياة والموت، كانت نظرة قوية عيفة بالنظر لما كانت
تعطيه اياه حواسه وقواه الواعية من المعطيات المادية الحية ، فكان
يعيشها بكل حياته ، وقد تمثلت هذه النزعة في الشعر الجاهلي ، وكانت
آثار هذه النزعة عميقة وحاسمة في تاريخه ♦ وان قصائد القرن السادس
الميلادي الجديرة بالاعجاب ، تنبئ بأنها ثروة صناعة طويلة ، لان
الشعر ديوان العرب ، تعرض ليامهم وحروبهم، وانسابهم ، ومفاخر
القبائل ، وعقائدهم وكل ما له صلة بهم قبل الاسلام ♦

ولكن الاحداث الخطيرة ، والاضطرابات الجسيمة التي مرت بها
جزيرة العرب ، جعلت الحياة السابقة التي مر بها الشعر العربي في اطواره
الاولى ، غير واضحة المعالم ، لانصراف الناس الى الحديث عن حاضرهم
الذي يعيشونه ، ويامهم التي يحيونها ، والتي شغلتهم بحروبها الكثيرة،
وأيامها الدامية ، فكان الشعر صورة للمسائل الكبيرة التي عقلت

بأذهانهم ، وكانت القصائد التي وصلت إلينا قصائد نقر معين من الناس يحملون لقب الزعامة والبطولة •

أما الجوانب الأخرى للشعر العربي ، والقصائد التي لم تتحدث عن هذه المسائل ، فلم نعثر عليها ، ولم تنتقل إلينا، وبذلك انقطع حاضر القصيدة عن ماضيها ، فحسبها النقاد حديثة الميلاد، لا يرجع مولدها إلى أكثر من قرن ونصف قرن ، أو قرنين قبل الإسلام •

إن شعر المهلهل والشنفرى وتابطشرا لا يدل على الحدأة الأولية، وإنما نجد التوافق والتكامل والانسجام قد توفر في شعر هذه للطائفة ، وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذا النوع من الشعر يمتد إلى فترة طويلة ، وأنها تدل على تاريخ عريض في هذا الفن •

والشعر الجاهلي يعتبر أصل الشعر الذي انبثق منه الشعر العربي في سائر عصوره ، لأنه أرسى عمود الشعر ، وثبت نظام القصيدة، إلى جانب ذلك فهو يمثل وفرة من القيم الفنية الأصيلة ، ويشكل مصدرا من مصادر الدراسة ، ويصور لنا النفس العربية في فترة من أصعب فترات التاريخ ، يرسمها وهي تحتاز مراحل عسيرة من مراحل نموها وتطورها • ونحن نستطيع أن ندرك هذا التمثيل وتلك الصورة من ثنايا الأبيات التي يجمع الثقاة على صحتها ، ونستدل على حقائق الحياة في ذلك العصر من الأخبار القصيرة التي احاطت بهذه الفترة، والأحاديث التي دارت حولها •

والشعر بكل تلك المراحل والأحوال صورة للحياة ، وتعبير صادق عنها ، لتوافر العناصر الحية فيه ، المرتبطة ارتباطا وثيقا بالأصالة والعراقة ، والمتعلقة إلى استكمال المقومات الأدبية الناضجة •

فصفة الجمال في الشعر الجاهلي تميزه عن غيره من الآداب ، والرفقة تمثل بأظهر وجوهها في الوصف الحي لجمال المرأة ، وتبين مزاياها ، وأصالة الإحساس بجمالها ، وما تركه في النفس ، وما يبعثه

خيالها ، تتجلى في استجلاء الجمال الطبيعي بكل اشكاله والوانه •
والقصيدة العربية ظلت محافظة على افتتاحيتها الغزلية بصورها
المختلفة ، واحاسيسها المتباينة • فوصف الرحيل والنزول ، والبكاء على
الطلل ، أصبحت سنة يتبعها الشعراء ، وسابقة يسلكونها في قصائدهم ،
وظلت حتى العصور المتأخرة ملازمة للشعر العربي ، متمكنة في نفوس
الشعراء •

وقد حفل الشعر الجاهلي بدراسات سليمة لحياة بعض الحيوانات،
كالخيل والابل والنعام وبقر الوحش ، فوصفوها بدقة ، واستقصوا
دقائقها ، لا سيما ما كان منها نافعا في حياتهم ، أما الشعر الحماسي فقد
استنفد معظم الشعر العربي ، وشغل حيزا كبيرا من ديوان العرب ،
لان الحياة الجاهلية كانت مليئة بالكفاح البطولي الشاق ، والنوازع
الحماسية الصعبة ، مما جعله يواجه مأساة الموت والنهاية بعناد •

ومن هذه النظرة انطلقت طلائع الفرسان الجاهليين ، وانبثقت
قيمهم الخيرة تملأ جوانب ذلك الادب العربي ، الذي صور لنا عظمة
تلك الحياة ، وما كتب الحماسة الا دليل على الاهتمام بهذا النوع من
الشعر • وقد دار الشعر الحماسي حول وصف المعارك ، ووصف اعمال
البطولة ، ثم وصف الخيول والابل ، وادوات الحرب ، فخطبوها
مخاطبة الصديق ، وتجاوبوا معها تجاوبا ذاتيا عميقا ، فبرعوا بذلك
براعة فائقة ، وصوروها تصويرا حيا نابضا بالحياة ، مليئا بالهول ،
فالبيادين فسيحة الارحاء ، واصوات الابطال تتعالى ، وقعقة السلاح
ترتفع ، وحممة الخيل تتردد ، واحياء العرب في لغط وضوضاء ،
يقوم فيها المنادون يدعون الى القتال ، لان الشرف قد ديس ، ولان
الدم يطلب الثأر ، أو لان المرعى قد اغتصب ، والمواشي سيقت •

وهكذا كان الجاهليون يصفون الابطال بالشدة والشجاعة
والبأس، ويصفونهم بقوة الساعد وصرامة الشكيمة، والعناد في الصدام ،

ورجاحة العقل في الكر والفر ، والحيلة في مواقف الشدة ، والعفة عند تقسيم الغنائم ، والبديهة في المأزق الضيق ، والكرم في كل حال .

أما المجالات الأخرى ، فكانت ميدانا فسيحا للتعبير عنها ، هذه المجالات التي لم يجد فيها الشعراء الفرسان ما كانوا يسعون إليه ، ويقدمون من أجله أعز ما يملكون ، فكانت الشكوى ، وكان الألم ، وكان التبرم بالحياة .

هذه الألوان مزجت شعرهم ، ولونت حياتهم ، فكانت فروسية مشوبة بالألم ، ممزوجة بالشكوى ، مليئة بالفخر والبطولة .

فالشعر الجاهلي يعتبر الأساس الذي نستطيع أن نقيم عليه جميع دراساتنا ، ونبني على مراحل الشعريّة أحكامنا ، ولا يمكن الحكم على أي أثر فني من الآثار إلا باستقصاء الحلقات المتتابعة من الحياة الأدبية ، وتحليل القسم الذي يعتمد عليه ، أو الذي يكون قريبا من الواقع ، وبالتالي إعطاء النتائج المترتبة على كل تلك الدراسات .

وطبيعي أن يسود الاضطراب هذا الهيكل القديم ، وتدور حوله الأحاديث ، ويخوض الأدباء غمار جدال طويل ، في صحته أو عدم صحته ، وقد بينا في الصفحات الآتية جزءا مما دار حول ذلك .

قضية الانتحال

لقد ورثنا عن الفروسية الجاهلية شعرا حماسيا كثيرا ، تحدث فيه الفرسان عن معاركهم التي خاضوها ، وبطولاتهم التي أبدوها ، فصوروا البسالة والاقدام ، ورسوموا لنا الجوانب الحية التي عاشوها خلال المعركة ، وتغنوا بانتصاراتهم على خصومهم ، ويمثل هذا الشعر القسم الاكبر مما وصل الينا من الشعر الجاهلي . ولا غرابة في ذلك ، فالحياة الجاهلية - كما اسلفنا في الفصول السابقة - كانت حربا مستمرة ، وقتالا دائما ، لا يتذوق العربي فيه طعم الاستقرار الا أشهرها معدودة . وحتى هذه الاشهر كانت لا تسلم من الحرب في بعض الاحيان .

ان هذا الشعر الذي وصل الينا يصور الفضائل الجاهلية التي تعارف عليها القوم ، واصبحت طبيعة من حياتهم ، واخص هذه الفضائل الفروسية . لانها تصوير دقيق لما يعانیه الفارس ساعة المعركة ، وتعبير تجريبي لواقعة يخوضها فيبسط فيها ارق مشاعره ، واعنف اعماله ، مستقصيا كل حركة من حركات جواده الذي اصبح بضعة من نفسه، او متتبعا كل امارة من امارات اعدائه ، او متحدثا عن نفسه بكل ما يدعو الى الفخر والاعتزاز .

لذا أصبح الفخر والحماسة والهجاء والرثاء من أبرز مواضيع شعر الفروسية .

على أن معظم المصنفات التي ألفت في تراجم الشعر وطبقاتهم ، كانت تؤلف على أساس شهرة هؤلاء المترجم لهم ، ومدى معرفتهم بالنسبة لاهل الادب، او من الذين يحتج بشعرهم لاثبات قاعدة نحوية، او لفظة غريبة ، أو لغة شاذة . وقد حملت على هذه المجاميع أحاديث شتى ، وقصائد موضوعة ، وايات لم يعرف قائلوها .

أما أولئك المغورون الذين طمرت أسماؤهم ، وخفيت أخبارهم ، فلم يجدوا في هذه المجاميع مجالا ، أو إشارة لادبهم فطويت صفحاتهم ، وكتب عليهم النسيان . إلا أسماء تتردد في مظان الكتب ، مذيلة بأبيات من الشعر لا تميز صاحبها ، ولا توضح شخصيته . وقد أحصيت في جزء واحد من كتاب ما يزيد على عشرين شاعرا ذيلت أسماؤهم بعبارة لم أعرفه ، أو لم أجد له ترجمة ، أو لم أعرف له ترجمة . ولا ادري كيف يكون ذلك مع ان محقق الكتاب من أعلام التحقيق في العالم العربي ، ومن أكثرهم ادراكا وعلمًا للقضايا الادبية العربية القديمة^(١) .

هذه حقيقة ثابتة لا يمكن النقاش فيها ، فما وصل إلينا من الشعر الجاهلي لا يتكافأ بأي حال من الاحوال مع كثرة الشعراء الجاهليين ، ومع الفترة الزمنية التي عاشوها ، ومرد ذلك يعود الى ضياع القسم الأكبر من هذا التراث واندثاره .

وقد أدرك القدماء هذه الحقيقة ، فقال ابن سلام نقلا عن أبي عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب الاقله ، ولوجاءكم وافرا ، لجاؤكم علم وشعر كثير^(٢) .

ومن هذا نستطيع ان نقول : ان المشكلة التي تواجه الباحث في هذه الفترة هي أين يجد شعر هذه الفترة ؟ واين المصادر التي يمكن الاعتماد عليها لدراستها ؟ واحسب ذلك من المسائل الاولى التي تقف حائلا امام الباحثين ، وتكاد تصرف البعض منهم عن هذه الدراسة .

(١) الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش واخبارها ، شرح وتحقيق الاستاذ محمود محمد شاكر الجزء الاول . تنظر الصفحات : ١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٩٤ .

(٢) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ١٧ . مطبعة السعادة .

أما الملاحظة الثانية التي تقف في هذا المجال ، وتكاد تسد على الباحث الطريق ، فهي نظرية الشك في الادب الجاهلي ، وان تكن مسألة الشك ليست من المسائل الجديدة في عالم الادب ، وانما تمتد جذورها الى اصول عميقة ، ولكنها لم تصل الى ما وصلت اليه في عصرنا الحاضر .

ولا نريد ان نعيد المناقشات في هذه المسألة ، والجدل الطويل الذي جرى بين أنصار الشك من جهة ، وبين المدافعين عن الادب من جهة أخرى ، لان الحديث في ذلك اصبح ضربا من التكرار . ولكننا سنكتفي ببعض الاشارات بقدر ما يتعلق الامر بهذه الدراسة ، التي تعتمد على الشعر الجاهلي اساسا لبحثها ، ومحورا تدور عليه ، ثم نرجع الى مصادر الشعر الجاهلي لتحدث عن أهميتها بالنسبة للبحث ، وقيمتها التاريخية ، أدلة تدفع عن الادب فرية ابتلى بها ، وتهمة حملت عليه حملا .

فالانتحال من الظواهر الادبية العامة التي تعرضت لها كثير من الآداب ، وكما عرف الادب الجاهلي هذه العملية ، فقد عرفتها العصور الاخرى ، وكما عانى الادب هذه الظاهرة ، فقد عانتها العلوم الاخرى . كالحديث ، والانساب ، والاخبار ، والتاريخ .

ومشكلة الانتحال هذه بحثت بحثا كثيرا، وعالجها علماء كثيرون، والواقع انها مشكلة عسيرة ودقيقة . على أن بحثها قد بلغ فيه، وحملت النصوص اكثر مما تتحمل ، واصبح الخبر الواحد قاعدة عامة ، قيست عليها كثير من القواعد . وغدت الحالة الفردية نظرية شاملة ، عمت الادب كله .

لقد عرف القدماء ذلك ، وميزوا بين ما يقوله الانسان وما يدعيه . ففي الاخبار ، أن عروة بن الزبير وعبيد الله بن عتبة بن مسعود دخلا على عمر بن عبدالعزيز وهو يومئذ امير المدينة ، فجرى بينهم الحديث ،

حتى قال عروة في شيء جرى من ذكر عائشة وابن الزبير : سمعت عائشة تقول ما أحببت أحدا حُبِّي عبد الله بن الزبير • لا أعني رسول الله (ص) ولا أبوي ، فقال له عمر : انكم لتنحلون عائشة لابن الزبير انتحال من لا يرى لاحد معه فيها نصيبا فاستعاده لها •

وقال ابن هرمة :

ولم أنتحل الاشعار فيها ولم تعجزني المدح الجياد^(٣)

على ان الرواة والعلماء قد تنبهوا الى أمر النحل في روايتهم ، فقد ذكر أبو عمرو بن العلاء ، أن القصيدة المنسوبة الى امرئ القيس ، والتي مطلعها :

لا وأبيك ابنة العامر ي لا يدعي القوم أني أفرّ

هي لرجل من أولاد النمر بن قاسط ، يقال له ربيعة بن جشم^(٤) ، كما ان بعض الرواة قد أنكروا ما اضيف الى قصيدة الحارث بن عباد « قربا مربط النعامة مني » ولم يصححوا منها غير أبيات ثلاثة فقط^(٥) ، ويدفع أكثر الرواة أن يكون مطلع معلقة عنتره :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم^(٦)

ومما يذكر ان الاصمعي ، قال : أقمت بالمدينة زمانا ما رأيت بها قصيدة صحيحة الا مصحفة أو مصنوعة^(٧) •

ومن بين هؤلاء العلماء يبرز ابن سلام الجمحي ، الذي يعد أكثرهم اهتماما بهذه الناحية ، ويعتبر كتابه من أول الكتب التي أثارت مشكلة الانتحال في الشعر الجاهلي ، وقد نص ابن سلام على ان في الشعر

(٣) لسان العرب مادة نحل •

(٤) البغدادي : خزانة الادب ١/٣٣٧ •

(٥) الاصفهاني : الاغاني ٥/٤٧/٤٨ •

(٦) نفس المصدر : ٩/٢٢٢ دار الكتب •

(٧) السيوطي : المزهر ٢/٤١٣ •

المسموع مفتعلا موضوعا كثيرا لا خير فيه^(٨) .

كما طعن في رواية محمد بن اسحاق ، وما صنعه في السيرة ، فقال عنه : انه « ممن أفسد الشعر وهجته ، وحمل كل غشاء منه ، فقبل الناس عنه الاشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، أوتى به فأحملة ، ولم يكن ذلك عذرا ، فكتب في السير أشعار الرجال ، الذين لم يقولوا شعرا قط ، واشعار النساء فضلا عن الرجال ، ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، فكتب لهم اشعارا كثيرة ، وليس بشعر ، انما هو كلام مؤلف معقود بقواف^(٩) .

وابن سلام نفسه يحاجّ محمد بن اسحاق فيقول : « أفلا يرجع الى نفسه فيقول من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف من السنين ؟^(١٠) »

ووصف حمادا الراوية بأنه ينحل شعر الرجل غيره ، ويزيد في الاشعار^(١١) .

وقد شك ابن سلام في شعر كثير من الشعراء ، واعتبر كثيرا مما روي لهم محمولا عليهم ، فشك في شعر عبيد بن الابرص . وقال عن شعره : انه مضطرب ذاهب ، لا اعرف له الا قوله^(١٢) :

اققر من أهله ملحوب فالقطيبات فالذنوب

وقال عن عدى بن زيد انه كان يسكن الحيرة ويراکز الريف^(١٣) فلان لسانه ، وسهل منطقته فحمل عليه شيء كثير ، وتخليصه شديد . واضطرب فيه خلف ، وخالط فيه المفضل^(١٤) . وقال عن حسان : بأنه

(٨) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ٦ طبع السعادة .

(٩) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ٧ طبع السعادة .

(١٠) نفس المصدر ص ٨ .

(١١) نفس المصدر ص ٢٤ .

(١٢) نفس المصدر ص ٥٠ .

(١٣) ولعلها مراكز الريف .

(١٤) نفس المصدر ص ٥١ .

حمل عليه ما لم يحمل على أحد (١٥) .

فمن هذا نستطيع أن نقول ان القدماء قد ادركوا هذه الظاهرة ،
وميزوا مواضعها ، وعرفوا الاماكن التي يحتمل ان يتسرب اليها الشك .
مستندين على روايات موثوق بها ، أو نظرات يصحبها ذوق سليم .
كما ان شكهم في قصيدة او قصائد من شعر شاعر ، لا يجعلونه وسيلة
الى انكار كل ما يضاف اليه ، أو يذهبون به الى ان هذا الشعر الذي
يعزى الى الجاهليين ليس من الجاهليين في شيء .

وأهل العلم يعرفون الشعر الصحيح ، نتيجة كثرة المدارس . وقد
استشهد بقسم كبير منه على كثير من القضايا النحوية ، واستدل بهذه
الشواهد على قضايا كبيرة . والمعروف في ذلك ان اوائل النحاة قد
عاشوا في اواسط القرن الثاني الهجري وان الخليل بن احمد نفسه قد
استدل بأبيات من الشعر الجاهلي في اثبات العروض ، فاذا كان
الوضع واقعا في نهاية العصر الاموي ، كان معنى ذلك انه قد وقع في
عصر واضعي النحو وجامعي اللغة ، ولا يعقل ذلك . لان واضعي النحو
لا يمكن ان ينظري عليهم مثل هذا التزوير . واذا كان الوضع قد تأخر
عن هذا التاريخ ، كان الحكم على النحو والبلاغة والعروض وكل
العلوم الاخرى غير واقع لانها لم تخلق .

والحقيقة الواضحة في هذا الموضوع ، هي ان الشعر الجاهلي لم
يكن مجموعة من القوالب الجامدة التي نظمت في وقت التلهية ، ولا
صناعة مفتعلة صيغت من قبل جماعة أخذت على عاتقها تزييف الشعر
وانتقاله لعوامل آتية ، وانما هو أكبر من ذلك كله ، لانه يمثل القيم
الحقيقية التي تميزت بها حياة الامة ، والمثل السامية التي ضحت من
أجلها المجتمعات ، فكان النموذج الحي لتلك القيم والمثل ، والصورة
الصحيحة لهذه الحياة الشاملة بكل ما تتضمن من جوانب .

(١٥) نفس المصدر ص ٨٤ .

ان مفهوم الشعر الجاهلي يتضح في تلك المجاميع التي اتفق المؤرخون على صحتها ، وأجمع النقاد على صدقها ، وليس في تلك المجاميع الهزيلة التي استبعدها النقاد من مجموعة الشعر ، ودلوا على عدم صحتها بمعاييرهم العلمية ، وهو متهيء لكل من وهب الفهم الصحيح ، والتفكير العلمي البناء ، والقابلية الحقة على تمييزه .

ثم جاء المستشرقون فحملوا نظرية الشك في الشعر الجاهلي أكثر مما تحتمل ، وروجوا لها بكل ما يستطيعون من وسائل ، وابدوا في ذلك آراء شتى ، ولكن هذه الآراء جميعها تتلخص في أنه لا يمكن التسليم بصحة الشعر الجاهلي بصورة عامة ، وانما يمكن التسليم بأن عددا قليلا من هذه القصائد يمكن التسليم بصحتها . ومن هؤلاء نولدكه وآلورد وموير وماسيه وبروكلمان وبلاشير (١٦) .

وكان مرجليوث على رأس هذه الحملة ، وأكبر من أثاروا هذه القضية في مقالاته وبحوثه التي نشرها ، وقد اعتمد على نفي الرواية التي حفظت لنا الشعر الجاهلي ، وسلم بوسيلة أخرى هي الكتابة ، ثم عاد الى نفي الكتابة في العصر الجاهلي ليؤكد انه نظم في مرحلة زمنية تالية للقرآن ، ثم يقف ازاء الرواة المشكوك في صحة روايتهم ليزعم ان الوضع في هذا الشعر كان مستمرا ، ثم يتعرض الى نقطة اخرى وهي اللغة فيقول : ان اللغة ذات وحدة ظاهرة ، وهي نفس لغة القرآن . ويقول : ان هذا الشعر لو كان صحيحا لمثل لنا لهجات القبائل المتعددة في الجاهلية ، وهذا نفس المذهب الذي سلكه الدكتور طه حسين أيضا في نفيه للشعر الجاهلي ، وقد رد معظم الذين تعرضوا للرد على هذه النظرية بما يكفي ، ويتلخص ردهم في هذه النقطة ، بأن لغة القرآن الفصحى كانت سائدة في الجاهلية ، وان الشعراء كانوا ينظمون بها ، وانها كانت لهجة قريش ، ولسيادة هذه اللغة أسباب تتعلق بمركز

(١٦) شوقي ضيف : العصر الجاهلي ص ١٦٦ .

قريش السياسي والتجاري والديني * * وهذا ما يمثله العصر الحاضر
تماما * فالشاعر ينظم باللغة الفصحى مهما كانت لهجته التي يتكلمها * *
ومتى ما ادركنا ذلك فليست هناك مشكلة يمكن ان نبني عليها حكما
نريده نحن ولا يريده المنطق العلمي *

وقد رد ليال على دعوة مرجليوث هذه ردا منطقيا سليما وقال :
« ان الاستاذ مرغليوث يذهب مذهبا يدعو الى الدهشة والعجب ،
وهو قوله ان الشعر القديم هو في معظمه موضوع منحول صيغ على
نمط القرآن » *

ولا نريد بعد هذا ان نتطرق الى مناقشة الادلة التي استند اليها
هذا المستشرق في نظريته المذكورة (١٧) او نتحدث عن آرائه في هذه
الفترة الادبية من تاريخ العرب ، لان ذلك اصبح من بديهيات الادب *
وجاء الدكتور طه حسين فشك في الشعر الجاهلي ، وأظهر رأيه
كنظرية جديدة في عالم الادب ، وبالغ فيها حتى نفى وجود بعض الشعراء ،
لا من جهة شاعريتهم فحسب ، بل من جهة كيانهم ايضا *

فالدكتور طه حسين أراد ان يقلد مرجليوث أو غيره من الاوربيين
والمستشرقين ، وهو لم يتبع طريقة القدماء في تقدهم للشعر ، وانما
تتلخص طريقته في أن الشعر الجاهلي كذب * ويجب أن يرد كله ويحكم
عليه بالكذب والصنعة * وهي طريقة لو اتبعت فيما وصل الينا من
الاخبار والروايات لانقطعت الصلة بيننا وبين اسلافنا *

وقد اخص الدكتور آراءه في كتابه في الادب الجاهلي ، فأنكر
ما روي من الشعر الجاهلي ، لانه لا يمثل الحياة الدينية والعقلية
للعرب الجاهليين *

كما اعتمد أيضا على ان هذا الشعر لا يمثل اللغة العربية في العصر

(١٧) مجلة الجمعية الملكية الاسيوية ١٩٢٥ .

الذي يزعم الرواة انه نظم فيه ، كما لا يصح نسبته الى الجاهلية • ولكنه لم يوضح لنا الاختلافات الجوهرية بين لغة الشعر ولغة الوقت الذي قيل فيه • وحاول ان يثبت الخلاف بين الحميرية والعدنانية بما نقله محرفا عن أبي عمرو بن العلاء^(١٨) • لان المنقول عن أبي عمرو بن العلاء هو ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ، ولا عريبتهم بعريبتنا ، مخالف لما بنى عليه حكمه ، لان الخلاف لا يخرجهما عن كونهما لهجتين للغة واحدة •

والدكتور في كل ذلك يذكر الواقعة ويلحق بها ألف واقعة ، ويذكر بضعة أشخاص ويجعلهم مثال الامة ، وعلى هذه الطريقة بنى حكمه واعتمد كتابه •

وقد حاول التدليل على رأيه بكل ما يستطيع من السبل ، حتى لو أدى ذلك الى تغيير عبارات المتقدمين من المؤرخين ليثبت رأيا يريد ، ويؤكد حكما حاول اثباته • فمن ذلك ما نقله عن ابن سلام من انه قال: « ان قريشا كانت أقل العرب شعرا في الجاهلية ، فاضطرها ذلك الى أن تكون أكثر العرب انتحالا للشعر في الاسلام^(١٩) • ومع ان نص ابن سلام هو « اخبرني بعض أهل العلم من اهل المدينة ان قدامة بن موسى ابن عمر بن قدامة بن مظعون الجمحي قالها ونحلها أبا سفيان ، وقريش تزيد في اشعارها تريد بذلك الانصار والرد على حسان^(٢٠) •

وخلف الاحمر الذي اتخذه الدكتور دليلا آخر من أدلته التي أستند اليها ، معتمدا على جزء من رواية ابن سلام فيه ، فقد قال ابن سلام في وصفه خلفا : « اجمع اصحابنا انه كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدق لهسانا ، كنا لا نبالي اذا اخذنا عنه خبرا او انشدنا شعرا ان

(١٨) طه حسين : في الادب الجاهلي ص ٨٠ •

(١٩) نفس المصدر ص ١٣٢ •

(٢٠) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ٦٢ طبع دار المعارف

لا نسمعه من صاحبه^(٢١) » • هذه عبارة ابن سلام •• يأتي الدكتور طه حسين فيقول : « وأما خلف فكلام الناس فيه في كذبه كثير ، وابن سلام يثبتنا بأنه كان أفرس الناس بيت الشعر^(٢٢) • فيجوز لنفسه هذا الاقتطاع ، ويبنى عليه أحكامه ، والجملة بهذا الشكل تختمل أوجهها عدة ، منها القدرة على نقد الشعر ونميينه ، ومنها القدرة على الاختلاق والوضع •• الا ان بقية نص ابن سلام ، يحدد لنا المعنى المطلوب الذي اراده ، وهو عكس ما اراده الدكتور ، على أن معنى (الفرس) صار ذا رأي وعلم بالامور والفراس العالم •

ثم ينتقل الدكتور الى رواية آخر هو أبو عمرو الشيباني فيقول فيه : « وهناك رواية كوفي لم يكن أقل حظا من صاحبيه هذين في الكذب والاتحال^(٢٣) • وهكذا يستمر الدكتور في بناء احكامه ويسوق حججه التي يشيد عليها آراءه •

وفي حديثه عن اسباب اتحال الشعر من حيث الرواة تطرق الى حماد ، وذكر في ذلك رواية « ان المهدي - الخليفة العباسي - أمر حاجبه فأعلن في الناس انه يبطل رواية حماد^(٢٤) • أما نص الرواية التي رواها صاحب الاغانى فهي :

« انهم كانوا في دار امير المؤمنين المهدي (بعيساباذ) ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها واشعارها ولغاتها ، اذ خرج بعض اصحاب الحاجب ، فدعا بالفضل الضبي الراوية فدخل ، فمكث مليا ثم خرج اليها ومعه حماد والمفضل جميعا وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم ، وفي وجه المفضل السرور والنشاط ، خرج حسين الخادم معهما ، فقال يا معشر من حضر من اهل العلم : ان أمير

(٢١) نفس المصدر ص ٢١ •

(٢٢) طه حسين : في الادب الجاهلي ص ١٧٨ •

(٢٣) نفس المصدر ص ١٧٩ •

المؤمنين يُعَلِّمُكُمْ انه قد وصل حمادا الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وابطل روايته لزيادته في اشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين ألفا لصدقه وصحة روايته ، فمن اراد ان يسمع شعرا جيدا محدثا فليسمع حمادا ، ومن اراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل (٢٥) .

وقبل أن نتطرق الى مناقشة هذا النص ، فالحادثة يداخلها الشك لامور كثيرة ، منها ان القصر شيد بعد تولي المهدي سنة ١٥٨ هجرية ، فقد ذكر في تاريخ الطبري ان المهدي بنى قصره سنة ١٦٤ وسماه قصر السلامة ، والمناقشة بين المفضل وحماد حدثت قبل ذلك ، لان حمادا كان في عداد الاموات عند تولي المهدي الخلافة . فابن خلكان يذكر ان وفاة حماد كانت في سنة ١٥٥ ، وابن النديم يذكر انها كانت في سنة ١٥٦ ، والمهدي تقلد الخلافة سنة ١٥٨ ، فالى أي مدى يمكن تصديق هذه الاخبار .

وإذا سلمنا جدلا بصحة هذه المناقشة فلم اعتبر الدكتور هذا الاعلان دليلا على تجريح حماد ولم يعتبره دليلا على تصديق المفضل الضبي . وهو من خيرة اهل الكوفة ، وانه صاحب المفضليات التي تعتبر من روائع الشعر الجاهلي ، والتي تضم مائة وثلاثين قصيدة تشتمل على الفين وستمائة واربعة وستين بيتا ، وان المفضل نفسه كان يتهم حمادا ويشك في روايته .

أما بالنسبة للرواة فقد ادعى الدكتور ان الرواة انفسهم نظموا الشعر وحملوه على بعض الشعراء حملا، ولا يعقل ان انسانا يقضي عمره، ويهدر نبوغه في نظم شعر بليغ جيد ، ثم ينسبه الى غيره من الموتى أو الاحياء . وكان اولي له ان ينسبه لنفسه ليفخر به ، بل اية فائدة

(٢٤) طه حسين : في الادب الجاهلي ص ٢١٠ .

(٢٥) الاغانى : دار الكتب ٩٠/٦ .

تعود على رجل يجهد مواهبه في الصياغة والنظم ، ثم يتخلى عن ثمرات فكره باختياره ♦♦

ثم ان الرواة المشهورين الذين يسند اليهم هذا العمل لم يرد عنهم انهم نظموا الشعر ، وان مجموع ما نسب اليهم لم يتجاوز العشرين بيتا ، ولم تصل هذه الابيات الى درجة الشعر الجيد ♦

ثم ينتقل الدكتور الى الكتاب الرابع فيتحدث فيه عن الشعر والشعراء ، فيبدأ بامرئ القيس ويقول عن قصائده انها محدثة ، انتحلت حين تنافست القبائل العربية ، وقد أحس القدماء بعض هذا ، فصاحب الاغاني يحدثنا ان القصيدة القافية التي تضاف الى امرئ القيس على انه قالها يمدح بها السموأل حين لجأ اليه منحولة ، نحلها دارم بن عقال وهو من ولد السموأل (٢٦) ♦

وليت الدكتور نقل عبارة أبي الفرج صحيحة ، فالرواية كما رواها صاحب الاغاني بعد ان ذكر أول بيت من هذه القصيدة قال : « وهي قصيدة طويلة اظنها منحولة ، لانها لا تشاكل كلام امرئ القيس ، والتوليد فيها بيّن ، وما دونها في ديوانه أحد من الثقات ، واحسبها مما صنعه دارم ، لانه من ولد السموأل ، أو مما صنعه من روى عنه ذلك فلم تكتب هنا (٢٧) ♦

والفرق واضح بين الروائين ، فرواية أبي الفرج تشك في القصيدة لانها لم تدون في ديوان امرئ القيس ، وانها لا تشاكل كلامه ، وان التوليد فيها بيّن ♦ وفرض انها من وضع دارم بن عقال لانه من ولد السموأل ، وهو لم يجزم بذلك بل تردد بين دارم او شخص آخر ممن روى عنه ♦

لقد روي شعر امرئ القيس في القرن الثاني الهجري وكبار

(٢٦) طه حسين في الادب الجاهلي ص ٢١٠ .

(٢٧) الاغاني : دار الكتب ٩/٩٧ .

الرواة أحياء ، كالمفضل والاصمعي وابي عمرو بن العلاء فلم يطعنوا في جاهليته ، ولم يشكوا في نسبته اليه ، مع العلم ان هؤلاء الاعلام لم يكونوا من السداجة وعدم التمييز بالدرجة التي تجعلهم يسكتون عن هذا الشعر ، ويسكتون عن نسبته الى امريء القيس • اذا تصورنا ذلك حقا حكمنا على كل ما وصل الينا بالتزوير ، وحكمنا على كبار العلماء والثقات بالكذب وعدم الفهم ، وهذا ما لا تصدقه الروايات ولا يؤمن به البحث العلمي •

فنحن لا نرتاب من ابطالهم لامية الشنفرى بشكهم فيها ، وتأكيدهم على ان نازلمها هو خلف الاحمر، وشكهم في غيرها من القصائد التي اظهروا الارتياب في قبولها ، ولكن ذلك لا يعني ان ثقتنا نسبة أبيات الى شاعر يعني عدم وجود ذلك الشاعر ، لان الاستناد على امثال هذه الحجج لا يكون منطقيا ولا مقبولا • ومن هذا نستنتج ان كثيرا من المقدمات التي استعان بها الدكتور طه حسين على نفي الشعر الجاهلي لا يمكن الاعتماد عليها ، لان الفروض التي فرضها في اسباب اصطناع هذا الشعر ونسبته اليهم ، فروض لا يؤيدها البحث العلمي او المنطق التاريخي •

والحق - كما يقول الدكتور شوقي ضيف - ان الشعر الجاهلي فيه موضوع كثير ، غير ان ذلك لم يكن غائبا عن القدماء ، فقد عرضه على نقد شديد ، تناولوا به رواته من جهة ، وصيغه وألفاظه من جهة ثانية، أو بعبارة اخرى عرضه على نقد داخلي وخارجي دقيق، ومعنى ذلك انهم احاطوه بسياج محكم من التحري والتثبت ، فكان ينبغي ألا يبالغ المحدثون من امثال مرجليوث وطه حسين في الشك فيه مبالغة تنتهي الى رفضه، انما نشك حقا فيما يشك فيه القدماء ونرفضه، أما ما وثقوه ورواه اثباتهم من مثل ابي عمرو بن العلاء والمفضل الضبي والاصمعي وابي زيد ، فحري ان نقبله ، ما داموا قد اجمعوا على صحته ، ومع ذلك ينبغي ان نخضعه للامتحان ، وان نرفض بعض

ما رويده على أسس علمية منهجية لا لمجرد الظن ، كأن يروي لشاعر شعر
لا يتصل بطروفه التاريخية ، او تجري فيه أسماء مواضع بعيدة عن
موطن قبيلته ، أو يضاف اليه شعر اسلامي النزعة ، ونحو ذلك مما
يجعلنا نلمس الوضع لمسا (٢٨) .

(٢٨) تاريخ الادب العربي : العصر الجاهلي / الدكتور شوقي
ضيف ص ١٧٥ .

الفصل الثاني

مصادر شعر الفروسية

لابد لنا ونحن نبحت مصادر الادب الجاهلي التي يمكن الاعتماد عليها ، أن نمر على موضوع الرواية التي انتقل بواسطتها هذا الادب ، محاولين تمييز النصوص التي شك القدماء في روايتها ، والنصوص التي وثقوها واعتبروها صحيحة . فرواية الشعر في العصر الجاهلي كانت الوسيلة المتعارف عليها لنشره وذيوعه ، لان العربي الذي يريد أن ينظم الشعر يلزمه راو يروي شعره ، وهذه الرواية تنقل الى شخص آخر ، الى أن تتسلسل الرواية في حلقات تأخذ كل حلقة عن سابقتها .

ولعل في ذلك ما يدل على ان رواة كثيرين حملوا الشعر الجاهلي الى عصر التدوين ، ولا بد أن يشوبه شيء من الالتحال والوضع ، وهذا ما تحدث عنه القدماء وذكروه في كتبهم . فالرواية الشفوية وحدها هي الطريقة الاساسية التي وصل بها الشعر الجاهلي الى عصر التدوين .

والذي يتضح لنا من ذلك هو أن رواية الشعر الجاهلي أحيطت بكثير من التحقيق ، فعلى الرغم من وجود الرواة المهتمين ، فإن ذلك لم يمنع الرواة الثقات من الوقوف لهم بالمرصاد ، ليبينوا صحبته من زائفه ، ويصفوه من الشوائب الكثيرة التي علقته به .

فنحن لا ننكر ان في بعض الشعر الجاهلي اضطرابا ، وذلك ناشيء

من طبيعة روايته . فقد كان الرواة يعتمدون على حافظتهم ، فمن البديهي أن ينشأ من ذلك تقديم بيت على آخر ، أو نقص أو أن ينسبوا بعض الأشعار القديمة الى شعراء الجاهلية الاولى . كما يمكن أن توضع أشعار قديمة منحولة على مشاهير الابطال لتمجيد بعض القبائل ، ولكن ذلك لم يلعب الا دورا ثانويا في قضية الشعر الجاهلي ، لان الشعر الذي وصل الينا يحمل في ثناياه كثيرا من الشعر الاصيل الثابت الموثوق به . وقد اعترف جماعة من المستشرقين بذلك ، فبروكلمان يقول : ان ما نعرفه من الشعر المستند الى مصادر صحيحة نسبيا لا يمتد الى ما قبل المائة السابقة على مولد النبي (ص) (١) ، وبروكلمان يؤكد ولو بصورة نسبية صحة هذا الشعر على أن رأيه هذا لم يكن جديدا في عالم الادب لان الجاحظ قد تطرق الى هذا الحديث في كتاب الحيوان (٢) .

ويزعم بلاشير ان الاصول الصحيحة للشعر الجاهلي اختلفت بالماذج والقصائد الموضوعية اختلاطا يتعذر معه أن يميز ، ونحن نؤيد بلاشير فيما ذهب اليه ، فتميزه يتعذر على بلاشير وأمثاله في عصرنا هذا ، ولكن هل يتعذر ذلك على الاصمعي والضبي وأبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وغيرهم ممن خبروا اللغة، وعرفوا دقائقها ، واستقصوا غريبها . وقد ادرك القدماء هذه الحقيقة ، وعرفوا الرواة الثقات والمجرحين ، فصدقوا الاصمعي والضبي ، وطعنوا في حماد وخلف وأبن الكلبي ، وتمكنوا من التمييز بين ما هو منحول وما هو غير منحول .

لقد توزع الشعر الجاهلي على هيئة منتخبات عامة ، ودواوين الشعراء ، ودواوين القبائل ، ومجموعات لاغراض شعرية معينة ، وأول هذه المجموعات العلقات . وقد ذكر ابن عبد ربه وابن رشيق وابن خلدون وغيرهم انه قد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت الى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في

(١) بروكلمان : تاريخ الادب العربي القسم الاول ص ٥٥ .

(٢) الجاحظ : الحيوان ٣٦/١ - ٣٧ .

القباطي المدرجة وعلقتها في أستار الكعبة ، ومنه يقال مذهبة امريء القيس ومذهبة زهير والمذهبات السبع • وقد يقال لها المعلقات • وقيل ان وجه التسمية بذلك لعلوقها باذهان صغارهم قبل كبارهم ، ومرؤسيهم قبل رؤسائهم ، عناية بحفظها والاحتفاظ بها • وقد أنكر أمر تعليقها أبو جعفر النحاس (٣) •

أما المحدثون فقد ذهبوا في تفسيرها مذاهب اخرى ، فقال نولدكه: ان مؤرخي العرب في القرون الوسطى يستعملون كلمة بمعنى العقد ، أي السموط عنوانا لكتبهم ، وهذا ما جرى للمعلقات التي سميت بالسموط (٤) • أما ليال فقال ان المعلقات مشتقة من العلق ، وهو ما يضمن به من الاشياء والحلي والثياب (٥) •

وكما اختلفوا في وجه التسمية اختلفوا في عددها واصحابها ، فهي عند حماد سبع (٦) ، معلقة امريء القيس وزهير وطرفه وليد بن ربيعة وعمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد والحارث بن حلزة اليشكري ، وهي عند المفضل سبع أيضا غير انه اسقط اثنتين من رواية حماد وهما معلقتا الحارث بن حلزة وعنترة واثبت مكانهما معلقة الاعشى والنابغة ويضيف اليها أبو زكريا التبريزي في كتابه القصائد العشر الطوال • معلقة لعبيد بن الابرص فيجعلها عشرا • وواضح ان قصائد امريء القيس وزهير وليد وطرفه وعمرو بن كلثوم متفق عليها من الرواة جميعا •

ولعل ذلك يؤلف الجوهر الحقيقي في هذه المجموعة التي اضيفت اليها فيما بعد قصائد اخرى بدوافع مختلفة •

(٣) ياقوت : معجم الادباء ٤/١٤٠

(٤) بلاشير : تاريخ الادب العربي ص ١٥٦ •

(٥) نفس المصدر ص ١٥٦ •

(٦) ياقوت : معجم الادباء ٤/١٤٠ •

وقد نالت المعلقات اهتماما كبيرا من قبل مؤرخي الادب ، فاقبلوا على شرحها ودراستها واستخلاص الحياة الجاهلية من ثنايا آياتها ، فكانت زادا لمن أراد التزود ، ومجالا فسيحا لمن اراد البحث والاستقصاء .

أما المجموعة الثانية من المنتخبات فهي « المفضليات » ، وهي تعتبر من أقدم ما وصل إلينا من اختيارات الشعر العربي ، لان الرواة قبلها كانوا يضعون أشعار القبائل ويضمون أشتات شعر المتنين الى قبيلة واحدة ، ويجعلون كلا منها كتابا ، ولا نعلم أحدا قبل المفضل الضبي إقدم على ان يصنع للناس اختيارا من الشعر كهذا ، وقد نسبت الى جامعها المفضل الضبي رأس علماء الكوفة في عصره . ويذهب بروكلمان في تسميتها مذهبا آخر فيقول : انها سميت في الاصل كتاب الاختيارات ، ولكنها سميت بعد ذلك بالمفضليات نسبة الى جامعها^(٧) .

وعدد المفضليات مائة وست وعشرون قصيدة ، أضيف إليها أربع قصائد أخرى وجدت في بعض النسخ ، وقد اضطربت روايتها بعض الشيء ، قال ابن النديم : « وهي مائة وثمان وعشرون قصيدة وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عنه والصحيحة التي رواها عنه ابن الاعرابي^(٨) ، وفي مقدمتها سند كامل يرفعها الى ابن الاعرابي تلميذ المفضل^(٩) ، وأحد أسنة اللغة المشار اليهم في معرفتها ، ولم يشرح المفضل هذه المختارات ، وانما شرحها أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الانباري المتوفى سنة ٣٠٥ ، وأعقبه في ذلك أبو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحوي المصري ، المعروف بابن النحاس والمتوفى سنة ٣٣٨ ، فأبو علي أحمد بن محمد المرزوقي

(٧) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ١/٧٣

(٨) ابن النديم : الفهرست ص ٦٨

(٩) المفضل الضبي : المفضليات ١/١١

المتوفى سنة ٤٢١ ، فأبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي
المتوفى سنة ٥٠٢ ، ثم أبو الفضل احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم
الميداني صاحب مجمع الامثال المتوفى سنة ٥١٨ (١٠) .

والذي لا شك فيه هو ان المفضل لم يخرج كل هذه القصائد التي
شرحها الانباري ، وان كثيرا منها ادخل في أثنائها من بعده ، ويعتقد
البعض (١١) ان اصلها سبعون، وهي التي اختارها ابراهيم بن عبدالله بن
حسن ، والتي يقول المفضل فيها « صدرت بها اختيار الشعراء ، ثم
أتمت عليها باقي الكتاب » وانه زادها بعد عشرين ، حتى تقدم اليه
المنصور في اختيار قصائد للمهدي ، فصارت ثمانين . وان هذه الثمانين
هي أصل الكتاب عن المفضل ، ثم قرئت على الاصمعي فأقرها وزاد
قصائد ، وزاد في بعض قصائدها أبياتا، واختار قصائد آخر ، ثم جاء من بعد
الاصمعي من زاد في القصائد - اصلها ومزيدها - أبياتا دخلت في
روايتي المفضل والاصمعي حتى اختلقت كلها .

فلم يكن ميسورا أن يجزم جازم بما كان أصلا وما كان مزيدا الا
قليلا ، ثم يؤكد هذا البعض ان السبعين التي بني عليها الكتاب، والعشرة
التي زاد المفضل ، ليست الثمانين الاولى من هذه المجموعة ، وانما هي
ثمانون مفرقة في الكتاب ولا يمكن البت في قصيدة بعينها ، انها منها
أو من غيرها الا قليلا أيضا (١٢) .

على ان ليال يورد في مقدمة طبعته للمفضليات رأيا آخر (١٣) يخالف
ما ذكرناه ، وهو رأي ينتهي به الى انه لا يستطيع التسليم بالخبر الذي

(١٠) نفس المصدر ص ٢١

(١١) عبدالسلام هارون واحمد محمد شاکر في مقدمتهم

للمفضليات ص ١٢

(١٢) مقدمة المفضليات تحقيق عبدالسلام هارون واحمد محمد

شاکر ص ١٢

(١٣) مقدمة المفضليات ليال ص ١٥ - ١٦

رواه الاخفش ، والذي يذكر فيه ان المفضل اخرج منها ثمانين قصيدة للمهدي وقرئت بعد على الاصمعي فصارت مائة وعشرين • فيعلق على ذلك بقوله ، ومع ذلك فان هذه المسألة ليست مما يمكن حله حلا قاطعا • أما مسألة صحة هذا الشعر ونسبة قصائده الى قائلها ، فان مكانة الاصمعي في الرواية ، والحكم على مثل هذه الامور ، لا تقل في قيمتها وعلوها عن مكانة المفضل •

والمفضليات على الرغم من هذا التباين والاختلاف ، تعتبر اروع ما بأيدينا من نصوص الشعر الجاهلي التي لا يرقى اليها الشك ، وتفوق المجموعات الشعرية الاخرى بما تعكسه من اتجاهات الشعر العربي ، وما تمثله من جوانب الحياة المختلفة منذ العصر الجاهلي حتى منتصف القرن الاول الهجري •

وتتوزع هذه المجموعة القيمة من الشعر على سبعة وستين شاعرا ، منهم سبعة وأربعون شاعرا جاهليا ، واربعة عشر شاعرا مخضرمًا ، وستة شعراء اسلاميين •

والمجموعة الثالثة من كتب المنتخب العامة « الاصمعيات » ، نسبة الى الاصمعي راويها ، وقد أعاد نشرها نشرا علميا جيدا عبد السلام هارون واحمد محمد شاكر ، بعد أن طبعها للمرة الاولى المستشرق الوارد ، وهي اثنتان وتسعون قصيدة ومقطعة (١٤) •

وهي موزعة على واحد وسبعين شاعرا ، اربعون منهم جاهليون والباقيون اسلاميون مخضرمون ، ولا بد أن يكون للاصمعي اختيارات اخرى لم تثبت في هذه القصائد (١٥) •

(١٤) هذا عددها في الطبعة المصرية بتحقيق عبدالسلام هارون واحمد محمد شاكر ، وأما الاوربية بتحقيق وليم بن الورد فليس فيها الا سبع وتسعون قصيدة ومقطعة •

(١٥) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢١-٢٢ والمفضليات تحقيق عبدالسلام هارون واحمد محمد شاكر ص ٢٠

وقد اعتبر الدكتور ناصر الدين الاسد^(١٦) عدم وجود اسناد يكشف عن الرواية التي انتقلت بها هذه المختارات عن الاصمعي عيباً، كما اعتبر قول ابن النديم^(١٧) « ان الاصمعي عمل قطعة كبيرة من اشعار العرب ليست بالمرضية عند العلماء لقلّة غريبها واختصار روايتها» اشكالا لا سبيل الى حله ، لعدم ايضاح مفهوم هذه القطعة الكبيرة من أشعار العرب التي وردت في هذا النص واعتبر عبارة « واختصار روايتها» اشكالا آخر لاسباب وضوحها في كتابه^(١٨) .

ولكننا اذا رجعنا الى المفضليات ، وما قيل عيا فيها من الاختلاط بين الاصمعي والمفضل ، وما زاد الاصمعي فيها على ما جمعه المفضل ، وقول ابن قتيبة^(١٩) في الشعر والشعراء وفي قصيدة المرقش ، وعجبه من ادخال الاصمعي لهذه القصيدة في متخيرها ، والقصيدة موجودة في الاصمعيات تحت رقم (٥٢) والعبارة التي كتبت تحت مجموعة الاصمعيات « هذه بقية الاصمعيات التي اخلت بها المفضليات » ، والتفسير الذي اوردته المحققان احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون من ان كلمة « أخلت » يجب أن تقرأ فعلا مبنيا لما يسم فاعله ، وهي من قولهم خل الشيء في الشيء أنفذه ، ومنه التخليل والتخلل ، واصله من ادخال الشيء في خلال الشيء وهو وسطه .

اذا رجعنا الى كل ما تقدم ، وربطنا بين هذه الادلة والاقوال ، ادركنا الثقة الصحيحة في نسبتها الى الاصمعي ، وأدركنا ان هذه المجموعة تستحق الدراسة الدقيقة لاعتبارها الى حد ما تكملة المفضليات ولان طبيعة الاصمعي تتجلى فيها ، ولانها اخيرا اقرب المجاميع التي وصلتنا الى الصحة ، وأثبتها وادقها في الرواية .

(١٦) ناصر الدين الاسد : مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٧٨

(١٧) ابن النديم : الفهرست ص ٥٦

(١٨) ناصر الدين الاسد : مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٨١

(١٩) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٢-١٣

أما المجموعة الرابعة ، فهي دواوين الحماسة ، وأقدم هذه الدواوين ما جمعه أبو تمام ، وقد بنى اختيار ما فيها من الشعر على أبواب المعاني ، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن الجامع شاعر ممتاز ، ممكنه شعره من أن يختار احسن ما تقع عليه عينه ، وهو الى جانب ذلك شاعر كبير من شعراء المعاني ♦

ولسنا ندرى حقيقة هذه التسمية ، أهى من صنع أبي تمام نفسه ، أم هي عرف جرى بين الادباء ، فليس الديوان الذي جمعه حماسة فحسب ، ولكنه يجمع الى جانب الحماسة ، المراثي والادب ، والنسيب ، والهجاء والاضياف والمدح والصفات والسير والنعاس والملح ومذمة النساء ♦

والظاهر ان التسمية لم تكن من قبيل الصدف ، وانما تشير الى أجل فضيلة اعظمها العربي ، لانه امتدح البسالة في القتال ، والصبر على اشتداد البلاء ، والجد في طلب الثأر ، وحماية الضعيف ، والازدراء بالاهوال ♦ وما كثرة منتخبات الحماسة واطلاق هذا الاسم عليها الا دليل على ما ذكرناه من أهمية هذا الباب في الادب العربي ♦

ومما يقال في هذه التسمية ايضا ، ان ابا تمام سمي مجموعته باسم اول باب من ابواب مختاراته وهو اعظمها ، وقد لاحظ العلماء ان ابا تمام كان يعمد احيانا الى تغيير نصوص الشعر ، ليستقيم له ان يربط بين الايات التي تفككت ، او ليستر عوار قبيصة يشين وجه الحسناء من مقطوعاته وفي ذلك يقول المرزوقي (٢٠) :

« وهذا الرجل لم يعمد من الشعراء الى المشتهرين منهم دون الاغفال ، ولا من الشعر الى المتردد في الافواه ، المجيب لكل داع ، بل اعتسف في دواوين الشعراء ، جاهليهم ومخضرمهم ، واسلاميههم

(٢٠) مقدمة الشارح (حماسة ابي تمام شرح المرزوقي) ص ١٣

ومولدهم ، واختطف منها الارواح دون الاشباح ، واخترف الاثمار
دون الاكمام » •

وحكى الصولي انه سمع المبرد يقول : سمعت الحسن بن رجاء
يقول : « ما رأيت أحدا قط أعلم بجيد الشعر ، قديمه وحديثه من أبي
تمام (٢١) • وقد وقع الاجماع من النقاد على انه لم يتفق في اختيار
المقطعات اتقى مما جمعه أبو تمام ، ولا في اختيار المقصدات أوفى مما
دونه المفضل ونقده (٢٢) •

وهذه المجموعة لم تصل الى أبي تمام عن طريق الرواية ، وانما
أخذها ابو تمام من الكتب ، وابتناها من الدواوين والمجاميع ، وظل
هذا الكتاب مطويا قرابة مائة وتسعين سنة (٢٣) ، الى أن اتيح له
المرزوقي الذي يعتبر شرحه للحماسة من اكبر الشروح التي وصلت
اليها ، واكثرها عناية بمعاني الشعر • أما الشرح الثاني فهو شرح
التبريزي الذي ألف بعد المرزوقي ، ولكنه لم يصل الى ما وصل اليه •
وحذا البحثري حذو أبي تمام مع بعض الريية في نسبة الحماسة
اليه (٢٤) •

وهي مقطوعات قصيرة موزعة على مائة واربعة وسبعين بابا • ولم
تتل حماسة البحثري من الذبوع والشهرة ما نالته حماسة أبي تمام
ويقال انها جمعت اجابة للفتح بن خاقان ، وزير الخليفة العباسي المتوكل •
ويغلب عليها طابع الدعوة الى الاخلاق الفاضلة •

-
- (٢١) مقدمة الشارح ص ١٤
(٢٢) يعني بذلك القصائد المفضليات التي اختارها المفضل الضبي
(٢٣) توفي أبو تمام سنة ٢٣١ وتوفي المرزوقي سنة ٤٢١ هـ •
(٢٤) لقد شك البغدادي في نسبة هذه الحماسة الى البحثري ،
فقد ذكر في الخزائنة (٣ : ٥٩١) بعد ان نقل عن العيني في سياق حديثه
عن بيت من الشعر نسب الى النابغة ، فقال : « ذكره البحثري في حماسته
ولم نسمع ان للبحثري حماسة » •

وجمع هبة الله العلوي ابن أحمد بن الشجري المتوفى سنة (٥٤٢) مختارات شعراء العرب ، وقد طبعت هذه الحماسة في حيدر آباد ، طبعا كرنكو ، وأغلب منتخباتها من الشعر الجاهلي . كما صنف اختيارات كثيرة بعنوان الحماسة ، منها حماسة الخالدين للاخوين أبي عثمان سعيد ، المتوفى سنة (٣٥٠) ، وأبي بكر محمد المتوفى سنة (٣٨٠) ، ابني هاشم الخالدي .

ومنها الحماسة البصرية^(٢٥) وقد جمعها صدرالدين علي بن ابي الفرج البصري .

وأهمية كتب الحماسة تتجلى في عدد الشعراء المغمورين الذين اظهروهم ، وجمعت طائفة من شعرهم .

أما المجموعة الخامسة فهي جمهرة اشعار العرب ، وقد اضطرت نسبتها الى أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، لان المؤلف مجهول وليس له ادنى ذكر في جميع كتب الطبقات والرجال ، ولم يذكر مع المحدثين ورواة الحديث ، ولا مع اللغويين والنحويين ، ولا مع الشعراء والادباء ، ولا مع مؤلفي الكتب وجامعي الدواوين^(٢٦) .

(٢٥) وهي لم تطبع حتى الآن .

(٢٦) مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٨٥ ، وللدكتور مصطفى جواد رأي في مؤلف هذا الكتاب ، بسطه في مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد السابع لسنة ١٣٧٩ - ١٩٦٠) . ويتلخص رأيه في أن مؤلف هذا الكتاب قد جمع للعرب أحسن جمهرة من اشعار شعرائهم ، ولكن مؤرخي الآداب العربية ولا سيما المتأخرين منهم لم يوفقوا الى ترجمة المؤلف ، ولا لتعيين عصره ، ثم يذكر انه بعد البحث المستوفي ، والتحري المستقصى ، تمكن من أن يثبت بأنه من أهل القرن الخامس للهجرة . وفي مكتبة كويرالي باستانبول مخطوط تحت رقم (١٢٣٢) ومعنون بجمهرة الاشعار ، ولهذا المخطوط صورة في معهد احياء المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ويضم هذا المخطوط مجموعة جمهرة اشعار العرب نفسها مع اختلاف في ترتيب بعض القصائد والمقدمة ، كما

وقد ذكر هذا الكتاب في خزانة الادب للبغدادى وفي المزهري للسيوطي وفي العمدة لابن رشيقي ، ولكن ذكره كان خاليا من اللقب مرة ، أو يذكر الكتاب وحده دون ذكر اسم المؤلف ، وهكذا (٢٧) .

وقد ظن البعض انه كان يعيش في اواخر القرن الثالث او اوائل القرن الرابع .

والجمهرة مجموعة سباعية تشتمل على سبعة اقسام ، اولها المعلقات ، وقد اخذ فيها برواية الضبي ، فاسقط منها معلقتي الحارث وعنترة ، ووضع مكانهما معلقتي الاعشى والنابعة ، وتحمل الاقسام الستة الباقية حلى من العناوين المختارة، وهي المجهرات والمنتيقات (٢٨) والمذهبات (٢٩) والمراثي والمشوبات (٣٠) والملحمات (٣١) .

يضم شرحا لبعض قصائد الجمهرة ، وهو على خمسة فصول وثمانية أبواب ، لباب الاول منه في خمسة فصول ، الفصل الاول فيما وافق به القرآن الكريم من الفاظهم وإشعارهم ، الفصل الثاني في اخبار الشعراء ، الفصل الثالث فيما روى عن النبي (ص) وما جاء عن أصحابه والتابعين ، الفصل الرابع في قول الجن للشعر على ألسن العرب ، وهكذا ، أما الباب الثاني فيتحدث فيه عن السموط ، ثم يعدد أصحابها ، وفي الباب الثالث يتحدث عن اصحاب المجهرات ، حتى يختم الكتاب في الباب الثامن بذكر الملحمات ، وينسب هذا الكتاب الى محمد بن أيوب العزيري العمري . . ثم يختم الكتاب بعبارة . . تم الكتاب - كتاب جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام بمن الله وعونه - وكان الفراغ من نساخته يوم الاحد السادس عشر من شهر رمضان الأعظم سنة ثلاث وثمانين وستمائة . . ومن هنا يظهر لنا جليا مدى الاضطراب الذي يشوب هذا الكتاب والملابسات التي رافقته .

(٢٧) مصادر الشعر الجاهلي ص ٥٨٥

(٢٨) المختارات

(٢٩) وجمعها الشعراء من الانصار ، جاهلين أو مخضرمين . وربما قصد باسمها أنها تستحق أن تكتب بالذهب . (شوقي ضيف ص ١٧٩) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي .

(٣٠) وهي لمخضرمين شابهم الكفر .

(٣١) وجميعها لاسلاميين .

والجمهرة مجموعة غنية بالقصائد الطويلة ، ولكنها غير موثقة
الرواية ، فلا بد في الاعتماد عليها من مقابلتها على روايات صحيحة^(٣٣) .

وإذا تركنا هذه المختارات الى الدواوين المفردة ، لقينا منها أشعار
الشعراء الستة الجاهليين (امرئ القيس بن حجر والنابعة الذياني
وعلقمة بن عبده الفحل وزهير بن ابي سلمى المزني وطرفة بن العبد
البكري وعنترة بن شداد العبسي) التي تعتبر من احسن المجموعات
الشعرية التي ظهرت في الاندلس ، وهي من اختيار عالم اندلسي نحوي ،
هو يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالاعلم الشنتمري المتوفى
سنة ٤٧٦ هـ . وقد عمل الاستاذ مصطفى السقا شرحا لتلك الدواوين ،
ولكنه احتفظ فيه برواية الاعلم نقلا عن الاصمعي^(٣٣) .

وقد اعتمدها الوارد اصلا في طبعته لدواوين الشعراء الخمسة .
— عدا امرأ القيس — ، وسماها (العقد الثمين في دواوين الشعراء
الستة الجاهليين) .

وقد سلك الاعلم في جميع دواوين مجموعته خطة واحدة ، فكان
يبدأ في كل ديوان برواية الاصمعي ، حتى اذا استوفاهما نص على
انتهائها ، وميز آخرها ، وتشتمل هذه المجموعة على نوعين من الاشعار
لكل شاعر من هؤلاء الشعراء الستة ، النوع الاول قصائد رواها
الاصمعي وشرحها ، وهذا النوع أنفس النوعين ، لان الظن غالب عند
جمهور الرواة من البصريين ، لتواطؤ الناس عليها ، واعتبارهم لها ،
واتفاق الجمهور على تفضيلها^(٣٤) .

اما النوع الثاني ، فهو ما لم يروه الاصمعي ، ولم يطمئن الى

(٣٢) شوقي ضيف : تاريخ الادب العربي . العصر الجاهلي

ص ١٧٩

(٣٣) وهي التي كانت السند الاساس الذي اعتمدت عليه في

دواوين الشعراء المذكورين .

(٣٤) الاعلم : مقدمة مختار الشعر الجاهلي .

نقلته ، وليس كل هذا الشعر مكذوبا منتحلا ، ولكن بعضه اختلطت
نسبته على بعض الرواة لتشابه اسماء الشعراء ، كما ريء القيس مثلا
فقد نسب الى امريء القيس بن حجر شعر هو لامريء القيس بن عابس
او لامريء القيس بن مالك ونسب الى زهير بن ابي سلمى المزني شعر
لزهير بن جناب الكلبي ، ونسب الى النابغة الذبياني شعر قائله النابغة
الجعدي ، وهكذا تتشابه الاسماء فتتداخل الاشعار وتعمى نسبتها على
بعض الرواة (٣٥) .

ويمتاز مؤلف هذه المجموعة بدقة لغته ، فلم يفتنه أن ينيه على
ما رواه الاصمعي من الصحاح ، ولا ما رواه غيره من القوائد المشته
في امرها ، بل يذهب احيانا في الدقة الى غاية بعيدة ، فينيه الى بيت او
كلمة من القصيدة أنه ليس من رواية الاصمعي ، وانما هو من رواية
فلان اللغوي ، او ان هذه الكلمة من البيت لم يعرفها الاصمعي ، وقد
عرفها غيره ، ومهما يكن من امر القوائد المشكوك في روايتها عند
البصريين ، فاننا نجد ابياتها مشبوتة شائعة في معاجم اللغة وكتب النحو ،
مما يدل على ان فريقا من العلماء عرفها واثبتتها (٣٦) .

الى جانب كتب الاختيار هذه ، هناك دواوين أخرى طبعت طبعات
مختلفة ، وحققت تحقيقا علميا صحيحا يمكن الاعتماد عليها مصادر
لدراسة الادب ، ونصوصا لتفسير الجوانب الحية في الادب الجاهلي .
وأهم هذه الدواوين ، ديوان امريء القيس برواياته المختلفة ، وديوان
زهير بن أبي سلمى ، وديوان النابغة ، وديوان طرفة وديوان عروة بن
الورد ، وحاتم الطائي ، وعلقمة الفحل ، والشنفرى ، وعامر بن الطفيل ،
والطفيل الغنوي ، واوس بن حجر ، والاعشى الكبير ، وسلامة بن
جندل ، وقيس بن الخطيم ، والمزرد بن ضرار الغطفاني ، والمثقب العبدى ،

(٣٥) نفس المصدر .

(٣٦) نفس المصدر .

وغيرهم ممن جمعت قصائدهم المتناثرة في مظان الكتب ، مرجعا لمن
اراد دراسة هذه الفترة الادبية .

الى جانب الكتب الادبية الاخرى التي تعتبر من المصادر الاولية
في الادب الجاهلي ، ككتاب الاغاني ، والنقائض ، وطبقات الشعراء ،
والشعر والشعراء ، والعقد الفريد والبيان والتبيين ، والحيوان وغيرها .



الفصل الثالث

موضوعات شعر الفروسية

الفخر والحماسة :

الفخر هو التمدح بالخصال الحميدة ، وادعاء العظمة والشرف • وهو فن من فنون الادب الاولى ، لانه يشتمل على النفس الى ذاتها ، والوسيلة التي تنشر بواسطتها مفاخر القوم ، وذكريات أيامهم • لذا فان هذا الباب كانت له اهميته الخاصة ، لانه يمثل الخط الاول للمهجوم ، ترهب به القبيلة خصومها ، وتضعف معنوياتهم • وهو باب واسع من ابواب الشعر العربي لتعبيره عن ميلهم الطبيعي الى الانفة والعزة • وهو يتخذ معانيه من جانب المفتخر نفسه ، او قومه بخلاف الهجاء ، فانه يصدر عن نفس ساخطة ، او ساخرة ، ويتخذ مادته من جانب المهجو او قومه ، فهما فنان متقابلان •

وقد قام الفخر على الفضائل الاجتماعية التي أقرتها الحياة العربية القديمة • فالعرب عاشوا في بلاد امتدت صحاريها، وقل مأوها، واتسقت اراضيها المجدبة ، فكانت المنافسة بينهم قائمة ، والقتال مستمرا ، سيطر على حياتهم العنف والقسوة ، وكان كل فرد يحاول أن يثبت

امتيازه وتفوقه على غيره ، اشباعا للشعور بالعزة ، وارضاء لـحب
التسامي والشرف ، واعتقادا منهم بأن القوة والسيطرة جزء لا يتجزأ
من هذه الحياة ما دامت الغلبة للقوى . فكانت حياتهم سجالات بين هذه
المفاهيم ، وكانت هذه المفاهيم دافعا قويا للشعراء . فهذا طرفه بن العبد
يصور لنا الضعيف وكيف يكون في هذا المجتمع فيقول^(١) :

ولو كنت وغلا في الرجال لـضربي عداوة ذي الاصحاب والمتوحد^(٢)
ولكن نفي عني الاعادي جرأتي عليهم واقدامي وصدقي ومحتدي

فالرجوة الحققة هي التي تتمثل في الشجاعة والفروسية والاقدام
وخوض الحروب وكسب المغانم وتحمل المكاره ، وكل ما يتعلق بهذه
الاختبارات التي تصقل مواهب الرجل وتجعله اكثر احتراماً بين عشيره
وقومه ، وعند ذلك تمنحه القبيلة قيادتها وسيادتها .

لقد تمثلت هذه القيم بجلاء في الشعر الجاهلي ، وفي احاديث
الشعراء ، فعمرو بن كلثوم الشاعر المعروف ، يبدو في معلقته مفتخرا
بنفسه وقومه ، متباهيا بشجاعتهم وايامهم التي امتلأت بالقتل والدماء ،
وعصيانهم الملوكة اذا تجبروا وطغوا ، والثورة عليهم وقتلهم ، حتى
هابتهم الجزيرة وخشيت سطوتهم قبائلها . ثم ينتقل الى ذكر آباءه
واجدادهم الذين زخر التاريخ ببسالتهم وبلائهم ، والذين يطعمون في كل
وقت ، وينتصرون في كل حرب ، ويمنعون كل ما يريدون ، وينزلون
حيث شاءوا من الارض ، ويسخطون اذا غضبوا ، ويأخذون اذا رضوا ،
ويحمون من اطاعهم ، ويفتكون بمن عصاهم ، فيقول^(٣) :

(١) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٢٦
(٢) الوغل : الضعيف من الرجال . المتوحد : الفرد من الرجال
الذي ليس معه أحد .
(٣) التبريزي : شرح القصائد العشر ص ٢٢٥

أبا هند فلا تعجل علينا
بأنا نورد الرايات بيضا
وأيام لنا غر طوال
وسيد معشر قد توجه
تركنا الخيل عاكفة عليه
متى نقل الى قوم رحانا
يكون ثفالها شرقي نجد
ورثنا المجد قد علمت معد
ونحن اذا غمار الحي خرت
ندافع عنهم الاعداء قدما
نطاعن ما تراخي الناس عنا
بسمر من قنا الخطى لدن
نشق بها رؤوس القوم شقا

وانظرنا نخبرك اليقيناً (٤)
ونصدرهن حمرا قد روينا
عصينا الملك فيها ان ندينا (٥)
بتاج الملك يحمي المحجرين (٦)
مقلدة اعنتها صفونا (٧)
يكونوا في اللقاء لها طحيناً (٨)
ولهوتها قضاة اجمعيناً (٩)
نطاعن دونه حتى يبيننا
عن الاحفاض نمنع من يلينا (١٠)
ونحمل عنهم ما حملونا
ونضرب بالسيوف اذا غشيننا (١١)
ذوابل او بيض يعتليننا (١٢)
ونخليها الرقاب فيختليننا (١٣)

- (٤) أبو هند : عمرو بن المنذر، وهو أبو المنذر . وأنظرنا : انتظرنا .
ويجوز أن يكون معناه آخرنا .
- (٥) يقول وأيام لنا بيض مشهورة ، وسمى الايام غرا طوالا لعلوهم
على الملك ، وامتناعهم منه لعزهم ، فأيامهم غر لهم طوال على اعدائهم .
وقوله ان ندينا : أي أن نطيع ، والدين الطاعة .
- (٦) المحجرون : الذين قد الجنوا الى المضيق ، ويحمي المحجرين
صفة لسيد معشر .
- (٧) الصافن : القائم .
- (٨) أي متى حاربنا قوم كانوا لنا كالطحين للرحا .
- (٩) المحجرون : الذين قد الجنوا الى المضيق ، ويحمي المحجرين
(١٠) الاحفاض : واحدها حفص ، وهو متاع البيت . ويسمى
البعير الذي يحمل المتاع حفصا .
- (١١) غشيننا : أي دنا بعضنا من بعض .
- (١٢) السمر من الرماح : أجودها . ولدن : لينه . وذوابل : فيها
بعض اليبس .

تخال جماجم الابطال فيها وسوقا بالاماعز يرتمينا (١٤)

☆ ☆

وقد علم القبائل من معد اذا قبب بابطحا بنينا (١٥)
بأنا العاصمون بكل كحل وانا الباذلون لمجتدينا (١٦)
وانا المانعون لما يليننا اذا ما البيض ذابلت الجفونا
وانا المنعمون اذا قدرنا وانا المهلكون اذا أتيننا (١٧)
وانا الشاربون الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا

وعمر بن كلثوم في معلقته هذه التي تعتبر أكثر المعلقات فخرا ، وأبرز الشعر الجاهلي وضوحا وتأقفا ، والتي تصور لنا الانسان الجاهلي بأوضح صورته ، وأبرز سماته ، واعز قيمه ، يبدو لنا عمرو بن كلثوم من بين جحافل الشعراء القدامى ، وهو اعزهم نفسا ، واكبرهم امتناعا ، واشدهم في مقارعة الخصوم والملوك والجبابرة ، واصلبهم عودا في الوقوف امام الطغاة المستبدين . وهو بذلك يمثل لنا العربي بكل ابائه ، ويصوره لنا بكل عزته ومنعته .

لقد حاول الانسان الجاهلي من جانبه المحافظة على هذه الثقة ، ليظل رمزا حقيقيا لهذه التجارب حتى تستطيع القبيلة ان تشق طريقها ، وتقف على قدميها وسط هذا العالم الذي يقدر البطولة والشجاعة ، فكان طبيعيا من الشاعر ان يشيد بهذه المآثر ، ويبالغ - في بعض

(١٣) ونخليها الرقاب، أي نجعل الرقاب لها كالخلاء، وهو الحشيش .

(١٤) الاماعز : جمع امعز وهي الارض الصلبة الكثيرة الحصى .

والسوق : جمع وسق وهو الحمل .

(١٥) يقول قد علم القبائل اذا ضربت القباب انا سادة العرب

والشرافهم .

(١٦) العاصمون : المانعون ، وكحل : سنة شديدة . والمجتيدي :

الطالب .

(١٧) أي منعهم على من اسرنا بائتخلية ، ونهلك من اتانا يغير علينا .

الاحيان - في هذه الصفات ليكسب نفسه - ان كان فارسا واغلب
الفرسان من الشعراء - مثلا محترمة ، ويضفي على نفسه من القاب
الفروسية اوصافا بارزة .

لقد كانت صيحات الشعراء تجد ميلا عند افراد القبيلة ، فتجاوب
اصداء هذه الصيحات في نفوسهم ، وتتردد على ألسنة أبنائهم ، لان
ذكرها فخر لهم ، كما جرى لمعلقة عمرو بن كلثوم ، التي حفظها أبناء
عشيرته كلهم ، وكانوا يتداولونها شفاها حتى هجوا بذلك (١٨) .

لقد انتعشت حركة الفخر ، وامتزجت بالحماسة التي كانت تمثل
العنصر المتم له ، وهي بعد ذلك عماد الحركة الشعرية التي استنفدت
القوائد الكثيرة ، ومدت الشعراء بوقود جزل من التغني بالبطولات .
تفاخر الشعراء بالشجاعة والبطولة ، واستهانوا بالموت ، فهذا الحصين
بن الحمام المري يندد بخصمه ، ويصفه بالجبن ، ويصور لنا المعركة التي
خاضها قومه فيقول (١٩) :

ولما رأيت الود ليس بنافعي وان كان يوما ذاكواكب مظلما (٢٠)
صبرنا وكان الصبر فينا سجية بأسيا فنا يقطن كفاً ومعصما
يقلقن هاما من رجال اعزة علينا، وهم كانوا أعق وأظلما (٢١)
وجوه عدو والصدور حديثه " بؤد ، فأودى كل ود فانعما
فليت أبا شبل رأى كر خيلنا وخيلهم بين الستار فاظلما (٢٢)
نظاردهم نستنفذ الجرد كالقنا ويستنقدون السمهري المقوم (٢٣)

(١٨) المبرد : الكامل في اللغة ١/١٤٠

(١٩) المفضل الضبي المفضليات ١/٦٣

(٢٠) اظلم اليوم من غبار الحرب حتى استبان الكواكب .

(٢١) اظلما : يقول بدؤونا بالظلم على اعزازنا اياهم .

(٢٢) أبو شبل : وهو مليط بالتصغير بن كعب المري . الستار

وأظلم : موضعان .

(٢٣) الجرد : الخيل القصيرة الشعر . السمهري : الترمح . يقول

نفتم منهم خيلهم ونترك في اجسادهم رماحنا اذا طعنناهم فهم يحاولون

اخراجها .

عشية لا تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمما (٢٤)
 لدن غدوة حتى أتى الليل ما ترى من الخيل الا خارجا مسوما (٢٥)
 والمزرد بن ضرار يفخر بكونه فارس ذبيان ، الذي يحمي ذمارها
 ويرد عنها الفرسان ، ويفخر بفرسه الصريح الذي يعزف بصهيله ألحان
 البطولة ، فيقول (٢٦) :

فمن يك معزال اليدين مكانه اذا كشرت عن نابها الحرب خامل (٢٧)
 وقد علمت فتیان ذبيان أنني انا الفارس الحامي الذمار المقاتل (٢٨)
 واني ارد الكبش والكبش جامع وارجع رمحي وهوريان ناهل (٢٩)
 وعندى اذا الحرب العوان تلقحت وابدت هواديهما الخطوب الزلازل (٣٠)
 طوال القرا قد كاد يذهب كاهلا جواد المدى والعقب والخلق كامل (٣١)
 اجش صريحي كان صهيله مزامير شرب جاوبتها الجلاجل (٣٢)
 ولقد تفاخر الفرسان بالاسراع الى مقاتلة الاعداء بكثرة العدد ،
 والجد في الحرب ، والسطوة فيها . كما تفاخروا بأيام أقوامهم ، وغلبتهم

(٢٤) مكانها : أي في مكان استعمالها . المصمم : الذي يمضي في
 صميم العظم ويبريه .
 وانما يلجؤون الى السيوف حين تشتد الحرب ويلتحمون .
 (٢٥) المسوم : المعلم بعلامة في الحرب ، ويريد الشاعر أن يقول
 ان الناس انكشفوا في هذه الحرب ، فلم يبق الا اهل هذه الخيل الاشداء
 الذين سرموا أنفسهم وخيلهم شجاعة وجرأة .
 (٢٦) ديوان المزرد بن ضرار ص ٣٥ .
 (٢٧) المعزال : اعزل من السلاح . مكانه خامل : لا يعرف الحرب .
 (٢٨) في المفضليات ٩٣/١ فقد علمت .
 (٢٩) كبش تقوم : بطلهم وسيدهم . الناهل : الريان وهو من
 الاضداد .
 (٣٠) هواديهما : اوائلها .
 (٣١) القرا : الظهر . جواد المدى : يجود بجريه الى المدى .
 (٣٢) في المفضليات ص ٩٣ ، جاوبتها جلاجل . صريحي : منسوب
 الى فحل يدعى الصريح .

أعداءهم ومطاعتهم الابطال ، ومطاولتهم الكر والفر ، وتفاخروا بمغانم العدو واسلايه • فهذا سلامة بن جندل يصور لنا تلك المفاخر فيقول (٣٣) :

ألا هل أتت ابناؤنا أهل مأرب كما قد أتت أهل الدنيا والخورنق (٣٤)
بانا منعنا بالفروق نساءنا ونحن قتلنا من اتانا بملزق (٣٥)
فمن يك ذا ثوب تنله رماحنا ومن يك عريانا يوائل فيسبق (٣٦)
تركنا بجيرا حيث ما كان جده وفينا فراس عانيا غير مطلق (٣٧)
ولولا جنان الليل ما أب عامر الى جعفر سرباله لم يخرق (٣٨)

ودريد بن الصمة يتوعد فزارة ، ويصف ما أصابها في القتال ، وما أصاب فرسانها مقبلين ومدبرين ، مسهلين ومخزنين فيقول (٣٩) :

فليليوم سميتم فزارة فاصبروا لوقع القنا تنزون نزو الجنادب (٤٠)
تكر عليهم رجلكي وفوارسي وأكره فيهم صعدي غير ناكب (٤١)
فان تدبروا يأخذنكم في ظهوركم وان تقبلوا يأخذنكم في الترائب (٤٢)

(٣٣) الاصمعي : الاصمعيات ص ١٤٨ .

(٣٤) مأرب : موضع باليمن . الدبا بفتح الدال والقصر : سوق من اسواق العرب بعمان . الخورنق : قصر بالحيرة .

(٣٥) الفروق : عقبة دون هجر الى نجد ، وكان فيه يوم من ايامهم . ملزق : موضع كان به يوم من ايامهم ، وهو بضم الميم وفتح الزاي .

(٣٦) ذا ثوب : ذا سلاح . يوائل : ينج . من كل ذا سلاح نالته رماحنا ، ومن طرح سلاحه وتكمش نجا .

(٣٧) بجير وفراس : هما ابنا عبدالله بن سلمة . جده : حظه . عانيا : أسيرا .

(٣٨) جنان الليل : شدة ظلمته وادلهمامه .

(٣٩) الاصمعي : الاصمعيات ص ١١٨

(٤٠) النزو : الوثبان . الجنادب : ضرب صفار من الجراد .

(٤١) الرحلة بفتح الراء وكسرها : جمع راجل وهو الذي ليس له ظهر يركبه في سفره . والصعدة : القناة المستوية يعني الرمح . واكراهها فيهم : ادخالها بقوة . غير ناكب : غير عادل عنهم .

(٤٢) الترائب : عظام الصدر .

وان تسهلوا للخيل تسهل عليكم بطعن كايزاغ المخاض الضوارب
اذا احزنوا تغشى الجبال رجالنا
كما استوفزت فدر الوعول القراهب (٤٣)

والحياة القاسية في البادية معرضة لقسوة السماء والارض ، وهذه
الحياة نشأت العربي على تعظيم شأن الكرم ، لانه سبيل العيش لفئة
كبيرة من الناس فكان الشعراء يتغنون بالبذل ، ويفخرون بالعتاء ،
ويقدمون الضيف على الاهل والولد . وكان باب الاضياف من ابواب
الشعر العربي التي أفرد لها في مختارات الادب باب كبير ، كما كانت
البطولات النادرة في الكرم مجالا واسعا ، ومنطلقا فسيحا لرسما في
ثنايا الادب العربي .

فهذا عبد يعوث بن وقاص يفخر بشجاعته وكرمه ، وهر في آخر
رمق من الحياة ، لانه يجد في ذلك الذكر الحميد الذي سيبقى حيا
بعده فيقول (٤٤) :

وقد كنت نحر الجزور ومعمل المطي وامضي حيث لا حي ماضيا
وانحر للشرب الكرام مطيتي واصدع بين القينتين رداييا (٤٥)

ومالك بن حريم الهمداني يفخر بابائه ومروءته ، وبأربع خصال
ضمنها كرمه فساقها سوقا لطيفا في حديثه فيقول (٤٦) :

واني لاستحيي من المشي ابتغي الى غير ذي المجد المؤثل مطمعا
واكرم نفسي عن امور كثيرة حفاظا ، وانهي شحها ان تطلعا

(٤٣) استوفز : استقل على رجليه . القدر والقراهب : اللسان
من الوعول .

(٤٤) المفضل المضبي : المفضليات ١/١٥٦

(٤٥) الشرب : جمع شارب

(٤٦) الاصمعي : الاصمعيات ص ٥٨

(٤٧) الاعيط : الابي المتمنع .

وَأَخَذَ لِلْمَوْلَى ، إِذَا ضَيِّمَ حَقَّهُ مِنْ الْأَعْيَطِ الْآبِي إِذَا مَا تَمَنَعَا (٤٧)
فَان يَكْ شَابِ الرَّأْسِ مَنِي فَاثَنِي أَيْتٌ عَلَى نَفْسِي مَنَاقِبَ أَرْبَعَا
فَوَاحِدَةٌ " أَنْ لَا أَيْتَ بَعِيرَةٌ إِذَا مَا سَوَامَ الْحَيِّ حَوْلِي تَضَوَعَا (٤٨)
وِثَانِيَةٌ أَنْ لَا أَصَمْتُ كَلْبِنَا إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافَ حَرَصًا لِنُودَعَا (٤٩)
وِثَالِثَةٌ " أَنْ لَا تَقْدَعُ جَارَتِي إِذَا كَانَ جَارَ الْقَوْمِ فِيهِمْ مَقْدَعَا (٥٠)
وَرَابِعَةٌ أَنْ لَا أُحْجَلُ قَدْرِنَا عَلَى لِحْمِهَا حِينَ الشِّتَاءِ لِنَشْبَعَا (٥١)

إنها صورة حية لنفس العربي الذي عاشها عبر أجياله الطويلة ،
وخلال تجاربه القاسية ، وإنها مثل رفيع من مثل النبل الانساني السامي .
والاسعر الجعفي شاعر آخر ، وفارس يفخر بانه مأوى الضيفان
في الليالي الباردة ، ينحر لهم الكوم في سخاء ، ويفيض على الجميع وحتى
كلاب الحي تظل في خصب وشبعة منه فيقول (٥٢) :

بَاتَتْ كِلَابُ الْحَيِّ تَسْنَحُ بَيْنَنَا يَا كَلْنَ دَعْلَجَةَ وَيَشْبَعُ مِنْ عَفَا (٥٣)
وَمِنَ اللَّيَالِي لَيْلَةٌ مَزْوُودَةٌ غِبْرَاءَ لَيْسَ لِمَنْ تَجَشَّمَهَا هَدَى (٥٤)
كَلَّفَتْ نَفْسِي حُدَّهَا وَمَرَّاسَهَا وَعَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ لَيْسَ لَهُمْ غَنَى
وَمَرَّاسٌ أَقْصَدَتْ وَسَطَ جَمُوعِهِ وَعَشَارَرَاعٌ قَدَاخَذَتْ فَمَا تَرَى (٥٥)
ظَلَّتْ سَنَابِكُهَا عَلَى جِثْمَانِهِ يَلْعَبُنْ دَحْرُوجَ الْوَالِيدِ وَقَدْ قَضَى (٥٦)

-
- (٤٨) الغرة : الغفلة . السوام : الأبل السائمة . تضوع : تفرق .
(٤٩) لنودع : لنترك
(٥٠) تقذع : من القذع ، وهو الرمي بالفحش وسوء القول .
(٥١) لا أحجل : لا أسترها وأجعلها في حجلة ، وهي بيت للعروس
يزين بالثياب والأسرة والستور .
(٥٢) الأصمعي : الإصمعيات ص ١٦ .
(٥٣) الدعلاج : المتردد .
(٥٤) يقال رجل مزوود : أي مدعور إذا فزع .
(٥٥) المرأس : الرئيس . والاقتصاد : القتل على كل حال . والعشار :
جمع عشار وهي الناقة مضى عليها من لقحها عشرة أشهر .
(٥٦) سنابكها : يريد سنابك الخيل . الدحروج : شيء يدحرجونه .

والحياة في البادية حياة فروسية ، يعمل الابطال فيها على حماية
المستضعفين والبائسين ، ونجدة المهوفين ، فتغنى الشعراء بحماية الجار
واعزاز جانبه ، والابتعاد عن الغدر ، كما تغنوا بكل ما هو من ميزات
الفروسية الحقبة التي ترفع الانسان الى ذروة السمو الانساني ودرجة
الكمال . فهذا الحادرة يتحدى صاحبه ان تذكر له مرة غدر فيها (٥٧) .
ويفخر بمنع نفسه من البخل عند طمع الطامع في معرفه ، وبأنه يوجد
بافاضل أمواله ليقبي عرضه ، وبأنه يخوض الغمرات التي تردي الناس
فيقول (٥٨) :

أسمى ويحك هل سمعت بغدرة رُفِع اللواء لنا بها في مجمع
انا نعف فلا ثريب حليفنا ونكف شح نفوسنا في المطمع
ونقي بآمن مالنا احسابنا ونجر في الهيجا الرماح وندعي
ونخوض غمرة كل يوم كريهة تودي النفوس وغنمها للاشجع (٥٩)

وهذا عوف بن عطية يفخر بمنعه الجار حيثما صار فيقول (٦٠) :

أحبي الخليل واعطي الجزيل حياء وأفعل فيه اليسارا
وامنع جاري من المجحفات ، والجار ممتنع حيث صارا
ومن هنا نستطيع ان نقول ان الفخر كان ظاهرة طبيعية بين الشعراء
الجاهليين ، اقتضتها حياة القبائل المتحاربة ، فعمت الشعر الجاهلي هذه
الظاهرة من أقدم عهوده ، وامتازت به جماعة من فحول الشعراء ، كعمرو
ابن كلثوم وعنترة والحارث بن حلزة وعامر بن الطفيل وحاتم الطائي

(٥٧) كان العرب في الجاهلية اذا غدر الرجل رفعوا له بسوق
عكاظ لواء ليُعرف به بين الناس .

(٥٨) المفضل الضبي : المفضليات ٤٣/١

(٥٩) يقول نخوض الغمرات في الكرائه والصعوبات التي تردي

الناس : أي تهلكهم ، ولا يظفر فيها إلا الشجاع .

(٦٠) المفضل الضبي : المفضليات ٢١٣/٢ .

وعروة بن الورد وقيس بن الخطيم وغيرهم من الشعراء ، والفرسان الذين تألقت أسماؤهم في باب الفخر •

والشاعر في كل ما تقدم يتحدث عما تعتر به القبيلة ، معددا أيامها الخالدة ، ومشيدا بصبرها على الملمات • ومن خلال ذلك يصبو سهام الهجاء الى نحور اعدائه •

فالشعر الحماسي نشأ عند جميع الشعوب نشأة واحدة ، لانه رافق المعارك التي خاضتها هذه الشعوب ، فكان عظم الحرب وشمولها مدعاة للفخر ، لان الحرب تستدعي المصاعب ، فعلى الفرسان ركوبها مهما صعبت وتعاضمت ، قال اوس بن حجر (٦١) :

ارى حرب أقوام تدق وحرينا تجل فنعروري بها كل معظم (٦٢)

ثم راح مع الايام يصور ذكرياتها الدامية ، وانتصاراتها الرائعة ، متغنيا بالبطولات القومية ، فهو شعر الحرب وشعر الثورة ، وشعر الغضبة البدوية •

لقد كانت ثقة الفارس قوية بنفسه ، كما كانت معنوياته مثلى سامية • ويمكن ادراك هذه الثقة من خلال الشعر الجاهلي الزاخر بهذه المعاني •

لقد ولد هذا النوع من الشعر عند العربي شعورا دقيقا باعتداده العظيم بنفسه ، واعجابه ببطولته ، لانه شعر الشرف والاباء ، وشعر الفروسية والفتوة • لقد كانت لذة النصر ونشوة الفوز تحرك المشاعر ، وتثير الاحاسيس في نفوس الشعراء ، وتلهمهم المعاني المشرقة للتعبير عن الانفعالات الجياشة في صدورهم •

(٦١) ديوان اوس بن حجر ص ١٢١

(٦٢) يريد اذا حارب غيرنا دقت حربه وضاق نطاقها ، اما حرينا ،

فانها تتسع وتعاضم ونركب لها المصاعب • نعروري : نركبها عريا ، وفيها استعارة ، لانه يريد ان يقول نركبها على اصعب احوالها •

وكان الانتصار يمثل الجانب الواسع من جوانب التعبير التي تتجلى فيه المواهب ، وتتجسد الآمال الكبيرة للتغني بالماثر ، وترديد المفاخر التي تجد فيها القبيلة سلاحا تشهره بوجه خصومها ، وميدانا فسيحا يجدد فيه ذكر بطولاتها .

وكما كان الفخر بالانتصار والغلبة ، كان الفخر بالسبي كثيرا ، لانه دليل القوة والظفر ، ولانه يزيد في نشوة المنتصر الغالب . وهو في الوقت نفسه يبعث في نفوس الخصوم الضعف والرهبة ، وفقدان الثقة بالنفس ، قال طفيل الغنوي في رده على زيد الخيل وقد ادرك (بنو عامر) ثأرهم من طي (٦٣) :

وقتلنا سراتهم جهارا وجئنا بالسبايا والنهب
سبايا طيء أبرزن قسرا وابذلن القصور من الشعاب
سبايا طيء من كل حي بمن في الفرع منها والنصاب

ويقول زهير بن جنان معيِّرا التغليين بذلك (٦٤) :

تبأ لتغلب أن تساق نساؤها سوق الاماء الى المواسم عطلا

وكما كان الحصول على السبايا يمثل مفخرة يعتز بها الفارس ، كان ارجاع السبايا مجالا للفخر أيضا ، وكان ردها الى اهلها مجدا يعتد به ، والمحافظة على الطعينة لقبلا لا يحصل عليه الا من أثبت جدارة ، قال طفيل الغنوي (٦٥) :

فنحن منعنا يوم حرس نساءكم غداة دعانا عامر غير مؤتلى (٦٦)
رددنا السبايا من ثقيل وجعفر وهن حبالى من مخف ومثقل (٦٧)

(٦٣) ديوان طفيل الغنوي ص ٥٧ .

(٦٤) الاصفهاني : الاغاني ٦٤/٢١ ساسي .

(٦٥) ديوان طفيل الغنوي ص ٣٧ .

(٦٦) حرس : موضع . غير مؤتلى : أي لا يألوا ، أي لا يبطنوا .

(٦٧) مثقل : يقال أثقلت اذا عظم بطنها . والمخف : التي لا يثقلها

بطنها . وثقيل وجعفر : قبيلتان .

الهجاء

الهجاء فن من الفنون القديمة في الشعر العربي، أوجده المنافسات القبلية التي أرثها السعي وراء الكلا والغدران، كما ساعدت على تسعيره الحروب المستمرة بين القبائل، فكانوا يتهاجون هجاء مرا • ويعتبر فن الهجاء من أكثر فنون الشعر اتصلا بالحياة وبالواقع، وقد افردت له الكتب التي اهتمت باختيار وجمع الشعر الجاهلي ابوابا خاصة به، فأبو تمام في كتابه الحماسة جعل الهجاء بابا من أبواب كتابه، وكذلك فعل في كتاب الوحشيات، وقدامة بن جعفر حين تقسيمه للشعر في كتابيه نقد الشعر ونقد النثر جعل له بابا خاصا ايضا، حدد اقسامه على نسق علمي أخذه الناس عنه وتأثر به كثير من النقاد الذين خلفوه، ثم جاء ابو هلال العسكري فخصص للهجاء بابا في ديوان المعاني، وابعه ابن رشيقي في عمدته •

والهجاء خلاف المدح، فهو يمثل ظاهرة السخط والسخرية، وتتخذ معانيه من سوءات المهجو أو مثالب قومه لتكون مادته، فالمفتخر يلتفت الى نفسه ليشفق منها مادته، والهاجي ينظر الى خصمه لينشر مساويه، ساخرا منه، هازئا من سلوكه •

وقد تحدث الشعراء في هذا الباب عن المثالب الحربية التي تصور الخصوم بصور غير مستحسنة، ويشمل هذا تجريدهم من صفات البطولة، وما يتصل بها من قيم ومثل، فالمهجون قوم لا يدافعون عن الحمى، ولا يلبون دعوة من يناديهم، وهم ليسوا اهل حرب، يحجمون عن القتال، ولا يثبتون في المعركة، يقبعون في بيوتهم مع النساء والعجزة والاطفال، ولا يخوضون مععان الحرب، ويفرون من المعركة تاركين وراءهم القتلى والجرحى • ومن هنا نجد ان الهجاء يدور في غالب الاحيان على كل ما يناقض مثلهم التي عاشوها •

والظاهر في هذا النوع من الشعر انه لم يكن هجاء عميقا او معقدا ، وانما هو حماسة واضحة مستمدة من طبيعة الحياة ، يقف الشاعر فيها عند افكار عامة ، وصور مأخوذة من القيم المتميزة التي عاشها المجتمع الجاهلي ، والتي كانت تسود هذا المجتمع . وكانت في الغالب تثيرها الانساب ، ويسعرها تاريخ البطولات ، وكان ذلك مادة الشاعر التي يصنع منها ما يريد . وهو في هذه الحالة أقرب الى المؤرخ منه الى الشاعر ، لان مهمة الشاعر في هذا المجال صعبة ، فعليه ان يعرف تاريخ الانساب ، وما يشين خصومه من مثالب ، وما يزين قومه من مفاخر ، ليستطيع ان يقرع الحججة بالحجة ، ويثبت القول بالبرهان . وقد كان لسرعة البديهة في مثل هذه المجالات تأثير كبير في الرد السريع على الخصوم .

وما المنافرات الا ثمرة من ثمار الهجاء ، لانها تعتبر من اقدم ما عرفه الادب العربي من صور الهجاء .

والملاحظ في هجاء هذه الفترة ، انه مظهر مشترك من مظاهر الحياة السائدة ، فلا يمكن ان يكون الهجاء هجاء خالصا لذاته ، معبرا عن غرض واحد . وان كانت هناك بعض القصائد التي انفردت بموضوع الهجاء ، ولكنها قليلة اذا قيست بغيرها من الاعراض . وانما هو في الغالب مزيج من الاثعالات المختلطة بالحماسة والفخر في وقت واحد . فاذا اراد الشاعر ان يهجو شخصا فهو يقارنه بنفسه ، فاذا نعته بالجبن اضفى على نفسه صفة الشجاعة ، واذا عيّرّه بالبخل أعطى لنفسه صفة الكرم ، واذا نسب اليه عدم حمايته الجار قلد نفسه صفة المروءة . وهكذا نجد شعر الهجاء في هذه الفترة بالذات شعرا يتجاوب في ابياته مع التقاليد التي سادت ، والمثل التي تعارف عليها الناس . وهذا لا يمنع من ان يكون الهجاء متبادلا بين أفراد قبيلة واحدة ، كما وقع بين عامر بين الطفيل وعلقمة

بن علاثة (٦٧) * وحتى بين افراد من عائلة واحدة اذا دعت الحاجة الى ذلك ، فقد هجا عميرة بن جُعل قومه ، وذكر انهم لم يؤتوا في لؤمهم من قبل امهاتهم ، وانما أتوا من قبل ابائهم ، وان المرأة الكريمة منهم تتزوج الرجل المسروق النسب ، ومن ذلك جاءتهم الهجئة ، ثم انحى عليهم بأنهم يرضون بالذل ويشناقونه ، واذا ما اخذتهم العزة فرحلوا عن منزل الذل ، ادركهم ذلهم فتعاذلوا لِمَ تركوه ، وبعثوا وفداهم الى أهل ذلك المنزل يستقبل خبيثتهم التي اخطؤوها بانتقالهم * وفي هذه الايات صورطريقة وجديدة تستحق الدراسة والوقوف فيقول (٦٨):

كسا الله حبيي تغلب ابنة وائل من اللؤم اظفارا بطيئا نصولها
فما بهم ان لا يكونوا طروقة هجانا ، ولكن عفرتها فحولها
تري الحاصن الغراء منهم لشارف أخي سلكة قد كان منه سليلها
قليلا تبغيها الفحولة غيره

اذا استسعلت حنان ارضٍ وعولها (٦٩)

اذا ارتحلوا من دار ضيم تعاذلوا عليهم ، وردوا وفداهم يستقبلها

ان المقاييس التي كانت تعترف بها القبائل في تلك الفترة مستمدة من تقاليدها ، فالشخص الذي لا يطعم جاره ، وينام مليء البطن في الوقت الذي يتضور هذا الجار جوعا ، شخص يستحق الهجاء ، وهو شخص بعيد عن تقاليد العرب ، يجد فيه الشاعر المفترخ مادة للاستعلاء عليه * وهي النقطة التي ينطلق منها للتقليل من قيمته ، فكان هذا الشعر يلاقي هوى في نفوس جمهرة الناس ، فيحكمون على مثل هذا الكلام بأنه اهجى بيت قالته العرب كما حصل ذلك ، بالنسبة لقول الاعشى (٧٠) :

تبتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

(٦٧) الاصفهاني : الاغاني ٢٨٣/١٦ دار الكتب .

(٦٨) الفضل الضبي : المفضليات ٦٣/٢ .

(٦٩) استسعلت : صارت كالسعلاة .

(٧٠) ديوان الاعشى ص ١٩

فالعرب نشأوا في الجاهلية على اخلاق اجتماعية حافظوا عليها ، وتمسكوا بها ، فكانت لهم مثل عليا يمدحون من يأخذ بها ، ويذمون من يحمدها . وقد عرفنا ان الشجاعة والكرم وغيرها من الصفات متوارثة ومقدسة ، لذا فالشاعر يحاول ان يطعن خصمه من ناحيتها ، ويسعى الى تجريده منها ، ليسلبه القدرة على الدفاع .

فهذا الاسعر الجعفي يهجو اخوته لاييه ، لانهم باعوا فرس أيهم فأكلوا ثمنها ، وآثروا تزويج امهم بعد تسمينها فيقول (٧١) :

باعوا جوادهم لتسمن أمهم ولكي يعود على فراشهم فتى

وزهير بن ابي سلمى يهجو الحارث بن ورقاء الصيدائي الذي أغار على بني عبدالله بن غطفان ، فغنم واستاق ابل زهير وراعيه يسارا فيقول (٧٢) :

يا حار لا ارمين منكم بداهية لم يلحقها سوقة قبلي ولا ملك
فاردد يسارا ولا تعنف علي ولا تمعك بعرضك ان الغادر الملعك (٧٣)
ولا تكونن كأقوام علمتهم يلوون ما عندهم حتى اذا نهكوا
طابت نفوسهم عن حق خصمهم مخافة الشر فارتدوا لما تركوا
لئن حلت بجو في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فذلك (٧٤)
ليأتينك مني منق قذع باق كما دنس القبطية الودك (٧٥)

لقد كان الشاعر يلجأ الى الهجاء بدافع الخصومة والتنافس لينال من عدوه ، وليسجل مثالبه ، رغبة في اضعاف معنوياته ، وبث روح

(٧١) الاصمعي : الاصمعيات ص ١٥٧ .

(٧٢) شرح ديوان زهير ص ١٨٠ دار الكتب .

(٧٣) الملعك : بسكون العين ، المثل .

(٧٤) جو : واد . ودين عمرو : طاعته . وفدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة افاءها الله على رسوله (ص) في سنة سبع صلحا .

(٧٥) القذع : القبيح . القبطية : كل ثوب ابيض . الودك : الدسم .

التخاذل والخور بين صفوف خصومه ، وكان قصيده نشيدا يردده
الانصار ، معترزين به في خذلان الاعداء .

لقد حرص العربي منذ نشأته الاولى على السمعة الحسنة ،
والصيت الطيب، والذكر الحميد . فنزع الى التعلق بالشرف والارومة ،
وتمسك بطيب النسب ، فافتخر به ، واشاد بذكره ، لانه كان يشل
قومية العربي في تلك الفترة . فعاش طوال حياته محافظا عليه ، معتدا
بتمجيده ، وهو يظهر حزنه اذا تفرق قومه ، وتبدد شملهم ، وتشتت
أمرهم بعد الاتحاد والعزة والقدرة ، ويدفعه ذلك الى هجائهم اذا وجد
فيهم رضوخا لدفع الديات ، وقبولا لتسليم الضرائب الثقيلة ، والاتاوات
الباهظة ، فهذا جابر بن حني التغلبي يلوم قومه فيقول (٧٦) :

لتغلب أبكي اذا اثارت رماحها	غوائل شر بينها مثلهم
وكانوا هم البانين قبل اختلافهم	ومن لا يشد بنيانه يتهدم
اذ انزلوا الثغر المخوف تواضعت	محارمه واحتله ذو المقدم
اقتلهم من عقل قيس ومرثد	اذا وردوا ماء ورمح بن هرثم
وفي كل اسواق العراق أتاوة	وفي كل ماباع امرؤ مكس درهم (٧٧)

على ان الهجاء في هذه الفترة كان عفيفا وبعيدا عن الاثارة والاقذاع،
ولم ينزل الى مستوى السب الجارح او الشتم القبيح ، وهو في الواقع
أقرب الى اللوم منه الى الهجاء، وقد فضل النقاد القدامى قول اوس بن
حجر في الحكم بن مروان بن زباع العبسي وكان قد مدحه فلم يشبهه (٧٨) :
اذا ناقة شدت برحل ونمرق الى حكم بعدي فضل ضلالها (٧٩)

(٧٦) المفضل الضبي : المفضليات ١٠/٢ .
(٧٧) الاتاوة : الخراج . المكس : دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع
في اسواق الجاهلية .

(٧٨) ديوان اوس بن حجر ص ١٠٠
(٧٩) النمرق : كساء يوضع على الناقة .

وقال صاحب العمدة^(٨٠) : خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها
فلا يقبح بمثلها • وقال خلف الاحمر^(٨١) : اشد الهجاء اعفه واصدقه •
وقال مرة اخرى : ما عف لفظه وصدق معناه •

وذكروا ان النابغة سأل قومه بني ذبيان بعد واقعة حسي عما
قالوه في عامر بن الطفيل ، فانشدوه فقال : افحشتم على الرجل وهو
شريف ، لا يقال له مثل ذلك ، ولكني سأقول • ثم قال :

فان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل السباب
فكن كأبيك أو كأبي براء تصادفك الحكومة والصواب
فلا يذهب بلبك طائشات من الخيلاء ليس لهن باب
فانك سوف تحلم أو تناهي اذا ما شبت أو شاب الغراب

فلما بلغ عامرا ما قال النابغة ، شق عليه وقال : ما هجاني أحد
حتى هجاني النابغة ، جعلني القوم رئيسا وجعلني النابغة سفيها
وجاهلا وتهكم بي^(٨٢) :

ومن لطيف تجافيههم عن الهجوم ما قاله صخر بن عمرو أخوالخنساء،
وقد أراد رثاء أخيه معاوية فقالوا له : أهج قتلته ، فتعفف وقال :
وقالوا ألا تهجو فوارس هاشم ومالي واهداء الخنى من شماليا
فعبير عن الهجوم باهداء الخنى •

ولهذا لم يكن الهجاء عند العرب سبابا وافحاشا واقذاعا ، وانما

(٨٠) رواية عن ابي عمر بن العلاء ج ٢ ص ١٦١ •

(٨١) ابن رشيقي : العمدة ١٦٢/٢

(٨٢) ابن رشيقي العمدة ١٦٣/٢ - وتروى هذه الابيات في مجموعة

الاعلم ضمن ديوان النابغة ، بعد خبر يذكر فيه ان النابغة قال لقومه : ان
عامرا له نجدة وشعر ولسنا بقادرين على الانتصاف منه ، ولكن دعوني
أجبه واصفر اليه نفسه وافضل اياه وعمه عليه ، فانه يرى انه افضل
منهما . واعيره بالجهل والصبا فقال هذه القصيدة - ج ١ ص ١٩٢ -

كان سلبا للخلق الرفيع ، او فضلا للمرء من مجموع الخلق الحي الذي
يؤلف قومية الجماعة •

وقد امتاز هجاء الاشراف عن هجاء غيرهم من عامة الناس ، وقد
ادرك الشعراء هذه الحقيقة فكانوا يغمزون الاشراف بما يجدون فيه
ايداء لهم ، والى ذلك يشير الجاحظ في قوله : « واذا بلغ السيد في
السؤدد الكمال ، حسده من الاشراف من يظن انه الاحق به ، وفخرت
به عشيرته ، فلا يزال سفيه من شعراء تلك القبائل قد غاضه ارتفاعه على
مرتبة سيد عشيرته فهجاه • ومن طلب عيبا وجده • فان لم يجد عيبا
وجد بعض ما اذا ذكره ، وجد من يغلظ فيه ويحمله عنه • ولذلك
هَجَّيَ حِصْنُ بن حذيفة ، وهَجَّيَ زُرَّارَةَ بن عُدَّاس ، وهَجَّيَ
عبدالله بن جدعان ، وهَجَّيَ حاجب بن زرارة • وانما ذكرت لك هؤلاء
لانهم من سوَدَدِهِم وطاعة القبيلة لهم ، لم يذهبوا فيمن تحت أيديهم
من قومهم ومن حلفائهم وجيرانهم ، مذهب كليب بن ربيعة ، ولا مذهب
حذيفة بن بدر ، ولا مذهب عيينة بن حصن ، ولا مذهب لقيط بن
زرارة ••• فان هؤلاء وان كانوا سادة فقد كانوا يظلمون ، وكانوا بين
ان يظلموا وبين ان يحتملوا ظلما ممن ظلمهم • ولا بد من الاحتمال كما
لا بد من الانتصار (٨٣) •

وكان أثر الهجاء عنيفا على النفوس ، قويا على المهجوين ، وكثيرا
ما كان يدفعهم الى البكاء بالدموع الغزار ، وهذا من أدلة كرم العرب ،
وقد حفل التاريخ بأسماء الكثيرين من العرب ممن كان الهجاء سببا
في يكائهم ، فقد بكى مخارق بن شهاب ، وبكى علقمة بن علاثة ، وبكى
عبدالله بن جدعان (٨٤) •

وقد كان الهجاء سلاحا لا يقل عن اسلحتهم في القتال ، لذلك قرنه

(٨٣) الجاحظ : الحيوان ٩٣/٢

(٨٤) نفس المصدر ٣٦٤/١

عبد قيس بن خفاف البرجمي بسائر اسلحته ، حيث يقول (٨٥) :

فاصبحت اعددت للنائبات عرضا بريئا وعضبا صقيلا
ووقع لسان كحد السنان ورمجا طويل القناة عسولا

ان بقاء ذكر الهجاء في الاعقاب كان يخيف العربي ، وهذا مادفعهم
الى اخذ المواثيق على الشعراء اذا أسروهم ، وربما عمدوا الى شد
أسنتهم كما صنعوا بعبد يغوث (٨٦) .

ولم يكن يسلم من ضروب الهجاء الا القبائل المغمورة والمنسية ،
حيث لا يكون فيها خير كثير ، ولا شر كثير ، فتسلم من ان يضرب بها
المثل ، بخلاف القبائل المذكورة المشهورة (٨٧) .

والهجاء بعد هذا لم يكن غرضا يقصده الشاعر لاجل التعرض
والتسلية ، وانما كان يصدر عن عاطفة صادقة يحسها الشاعر ، وتجربة
يمر بها ، فاذا لم يقتنع بذلك امتنع عن قوله . فقد قال حسان بن ثابت
للخنساء : « أهجي قيس بن الخطيم ؟ فقالت : لا أهجو أحدا ابدا
حتى أراه . قال : فجاءته يوما فوجدته في مشرقة ملتفا في كساء له ،
فخسته برجلها وقالت : قم فقام ، فقالت : أدبر ، فأدبر ، ثم قالت :
أقبل ، فأقبل ، قال : والله لكأنها تعترض عبدا تشتريه ، ثم عاد الى حاله
نائما ، فقالت : والله لا أهجو هذا ابدا (٨٨) .

وكان من العرب من لا يطيل الهجاء ، ولا يكثر منه ، وانما
يكتفي بالبيت الواحد اذا ادى المعنى المقصود ، وصور العيب الذي
يريده . وقد قيل لعقيل بن علقمة لم لا تطيل الهجاء ؟ فقال يكفيك
من القلادة ما حاط بالعنق ، وقيل لابي المهوش : لم لا تطيل الهجاء ؟

٨٥) المفضل الضبي : المفضليات ١٨٦/٢

(٨٦) نفس المصدر ١٥٤/١

(٨٧) الجاحظ : الحيوان ٣٥٧/١ - ٣٦٣

(٨٨) الاصفهاني : الاغاني ١٠/٣

فقال لم أجد المثل السائر الا بيتا واحدا^(٨٩) . لذا كان معظم الهجاء يساق في تضاعيف الحماسة والاشادة بالمفاخر والانتصارات .

لقد ارتبط فن الهجاء بالسحر والاوهام ، وقد كانت العرب تزعم ان لكل شاعر شيطانا له اسم معين ، يسمونه تابعا أو هامسا ، ولهم في ذلك أقاصيص كثيرة رويت في اخبارهم ، وترددت في اشعارهم^(٩٠) . كما ذكرت الاخبار ان الشاعر كان اذا اراد الهجاء لبس حلة خاصة لعلها كحلل الكهان ، وحلق رأسه ، وترك له ذؤابتين ، ودهن احد شقي رأسه ، وانتعل نعلا واحدة مبالغة في مسخ شكله ، وتشويه خلقته ، واعتقادا منه بأن ذلك يساعد على زيادة القوة الخفية التي تمده بالشعر ، لتزيد لعناته على المهجو . . . وكان شاعر الهجاء كان يتخذ نفس الشعائر التي يصنعها في حجه واثناء دعائه لربه ، حتى تصيب لعنات هجائه خصومه بكل ما يمكن من الوان الاذى وضروب النحس المستمر^(٩١) .

وكان الهجاء كان في يد الشاعر سحرا يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير سحري ، كما كانوا يعتقدون ان الشاعر الهجاء يلقي من الجن ، فهو أليق ببعث الرهبة في النفوس ، لانه كلمات تقال فيها معاني الشر واستمطار اللعنات . ومن هنا جاء اعتقادهم بالقوة الخفية التي تكمن وراء الهجاء ، وانها قادرة على اصابة كل من تحل به . فاذا سرق أحدهم ابلا لغيره ، او اموالا وتوعده المسروق بالهجاء ، اضطر الى ردها الى اصحابها كما مر بنا في قصيدة زهير^(٩٢) .

ان معاني الهجاء بالنسبة للفرسان لم تخرج عن معاني اللوم والعتاب الذي كان الفرسان يؤكدون عليها ، والتي كانت ذات صلة وثيقة

(٨٩) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص ١٩٥

(٩٠) ديوان الاعشى ص ١٥ ، ص ٣٣ .

(٩١) شوقي ضيف: العصر الجاهلي ص ١٩٧

(٩٢) ديوان زهير: ص ١٨٠ دار الكتب .

بحياتهم • ومن هنا كان الهجاء انعكاسا للقيم التي كانوا يجدون فيها نقصا ، فيصمون اعداءهم بهذه الصفات • فالمهجو انسان فرار من الحرب ، لا يحمي حماه ، ولا يذود عن قبيلته ، ولا يكرم ضيفه ، ولا يحمي جاره ، والهجاء في هذه المرحلة كان يأخذ طابع الانصاف في بعض الاحياز ، فتبدو القصائد معتدلة لا مبالغة فيها ، يذكر فيها الشاعر ما وقع له وما وقع لخصومه ، يذكر ذلك دون تحيز ، والمهجو فارس لم يتجرد من صفات الفروسية ، والشاعر عندما يتحدث بهذا الاسلوب لم يكن حديثه من باب الانصاف وحده ، وانما فيه تأكيد على علو كعبه لان اضعاف طابع الشجاعة على الخصم يعني بسالة المقاتل نفسه ، وتمتعه بالشجاعة والبطولة وما معلقة عمرو بن كلثوم الا دليل على هذا الانصاف (٩٣) •

(٩٣) الإنباري : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٣٩٧

الآيات ٣٥-٣٦ •

الرتاء

يشغل الرثاء جانبا عظيما من الشعر الجاهلي ، لاتصاله اتصالا وثيقا بالحماسة ، ولانه في اكثره مصروف الى فرسان العشيرة وساداتها الذين لهم المآثر المحموده . وليس بين الرثاء والمدح فرق ، الا انه يخلط بالرتاء شيء يدل على ان المقصود ميت^(٩٤) . وسبيل الرثاء ان يكون ظاهر التفجع ، بين الحسرة ، مخلوطا بالتلهف والاسف والاستعظام^(٩٥) . واروع الرثاء ما ندب به الابطال في حومات القتال ، لان الشعراء في بكائهم ، وفي تعداد مناقب الموتى ، يشيرون الاحقاد ، ويشحذون العزائم ، ويهيجون القبيحة للحرب ، ويدعون الى الاخذ بالثار . وقد اصطبغ الرثاء بهذه الالوان حتى اصبح سنة من سننه .

فهذه الخنساء ترثي صخرًا فتقول^(٩٦) :

ألا ابلغا عني سُلَيْمًا وعامرا
ومن كان من حيي هو ازن شاهدا
بان بني ذبيان قد عرفوا لكم
اذا ماتلاقيتم بان لا تعاودا
ونحن قتلنا مالكا وابن اخته
ولا سلم حتى يشتفين عوائدا

وهذه أم ندبة - زوجة حذيفة بن اليمان - ترثي ابنها وتلوم زوجها على قبول الديه ويمكن اعتبار هذه القصيدة من المؤنثات في الشعر الجاهلي^(*) :

حذيفة لا سلمت من الاعادي ولا وقيت شر النائبات

(٩٤) ابن رشيقي : العمدة ١٣٩/٢ ، قدامة بن جعفر : نقد الشعر / ٩٨

(٩٥) ابن رشيقي : العمدة ١٤٠/٢

(٩٦) لويس شيخو : انيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء

ص ٤٨ بيروت ١٨٩٦

(*) لويس شيخو : رياض الادب في مرثي شواعر العرب .

أَيَقْتَلُ نَدْبَةَ قَيْسٍ وَتَرْضَى بِأَنْعَامٍ وَنُوقٍ سَارِحَاتٍ
 أَمَا تَخْشَى إِذَا قَالَ الْأَعَادِي حَذِيفَةَ قَلْبِهِ قَلْبَ الْبَنَاتِ
 فَخِذْ ثَأْرًا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِي وَبِالْبَيْضِ الْحَدَادِ الْمَرْهَفَاتِ
 وَإِلَّا خَلَنِي أَبْكَي نَهَارِي وَلِيْلِي بِالْدمُوعِ الْجَارِيَاتِ
 لَعَلَّ مَنِيَّتِي تَأْتِي سَرِيعًا وَتَرْقِنِي سَهَامَ الْحَادِثَاتِ
 أَحِبَّ إِلَيَّ مَنْ يَعْلَمُ جِيَانًا تَكُونُ حَيَاتِهِ أَرْدَا الْحَيَاةِ
 وَالْمَهْلَهْلِ بْنِ رَبِيعَةَ الَّذِي عَرَفَ بِمَرَاتِيهِ لَكَلِيبٍ يَقُولُ فِي أَحَدِي
 مَرَاتِيهِ (٩٧) :

كَلِيبٌ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا إِنْ أَنْتَ خَلَيْتَهَا فِي مَنْ يَخْلِيهَا
 كَلِيبٌ أَيْ فَتَى عَزٍّ وَمَكْرَمَةٍ تَحْتَ السَّفَاسِفِ إِذَا يَلُوكُ مَا فِيهَا
 نَعَى النِّعَاةِ كَلِيبًا لِي فَقَلَّتْ لَهُمْ مَادَتُنَا الْأَرْضُ أَمْ مَادَتُ رِوَاسِيهَا
 لَيْتَ السَّمَاءَ عَلَى مَنْ تَحْتَهَا وَقَعَتْ وَحَالَتِ الْأَرْضُ فَانْجَابَتْ بِمَنْ فِيهَا
 وَقَدْ كَانَ الرَّثَاءُ يَتَضَمَّنُ الْمَبَاهَاةَ بِالْمَيْتِ ، وَتَعْظِيمَ صِفَاتِهِ بِالْفَافِ
 يَتَقَاطَرُ مِنْهَا الْأَسَى وَالدَّمْعُ ، فَيَخْتَلِطُ الْأَعْجَابُ بِالْحَزَنِ ، وَالْفَخْرُ
 بِالْإِتْقَامِ .

فَهْمٌ يَصْفُونَ الْمَيْتَ بِجَمِيعِ الْفَضَائِلِ الَّتِي يَفَاخِرُونَ بِهَا ، بِأَسْلُوبٍ
 يَتَضَحَّ فِيهِ التَّفْجَعُ وَالتَّلَهْفُ ، وَيَنْعُونَ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَ يَتَصَفَّى بِهَا
 وَكَأَنَّهَا ذَهَبَتْ بِذَهَابِهِ ، وَانْدَثَرَتْ بِمَوْتِهِ .

فَهَذَا أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ يَرِثِي فَضَالَةَ بْنِ كَلْدَةَ فَيَقُولُ (٩٨) :

أَلَمْ تَكْسِفِ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ وَالْكَوَاكِبَ لِلْجِبَلِ الْوَاجِبِ (٩٩)
 لَفَقَدَ فَضَالَةً لَا تَسْتَوِي إِلَّا لِفَقُودِ وَلَا خَلَةَ الذَّاهِبِ (١٠٠)

(٩٧) لُوَيْسُ شَيْخُو : شِعْرَاءُ النُّصْرَانِيَّةِ ١٦٦/١ .

(٩٨) أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ : الدِّيْوَانُ ص ١٠ .

(٩٩) الْوَاجِبُ : السَّاقِطُ الذَّاهِبُ

(١٠٠) الْخَلَةُ : الْخَلَلُ الَّذِي قَدْ تَرَكَهُ وَكَانَ مَسْدُودًا بِهِ .. وَأَصْلُ

الْخَلَةُ : الثَّلَاثَةُ .

أهفا على حسن اخلاقه على الجابر العظم والحارب (١٠١)
على الاروع السقب لو انه يقوم على ذروة الصاقب
والخنساء ترثي صخرا ، وتنعى المجد والجد ، لانهما ماتا
بموته ، وذهبا بذهابه فتقول (١٠٢) :

وقائلين تعزي عن تذكّره فالصبر ليس لامر الله مردود
يا بدر قد كنت بدرا يستضاء به فقد مضى يومت المجد والجد
وللمهل قصائد كثيرة يبكي فيها الحزم والعزم ، لانهما درسا
بعد كليب ، ويندبه لانه قائد الخيل يوم المعركة ، وناحر الكوم ساعة
الكرم ، وواهب المئة الحمرا اذا دعا داعي العطاء .. لان هذه
الصفات كانت تتجلى فيه ، وتتمثل في افعاله (١٠٣) :

أصخت منازل بالسلان قد درست تيكي كليا ولم تفرع افاصيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته ما كل الآئه يا قوم احصيها
القائد الخيل تردي في اعنتها زهوا اذا الخيل بحت في تعاديا
الناحر الكوم ما ينفك يطعمها والواهب المئة الحمرا يراعيها

فالشاعر في هذا يجمع بين الندب والتأبين والعزاء ، وبكاؤه بكاء
لكل الصفات الخيرة التي يضيفها على الميت . وهذا دريد بن الصمة
ينفي أنواع التشكي كلها عن أخيه عبدالله ، فهو لا يتألم للنوائب
تنزل بساحته ، والمصائب تتجدد عليه في ذويه وعشيرته ، وانه يحفظ من
يومه ما يتعقب افعاله من احاديث الناس في غده ، وهو نقى الافعال من
العيوب ، طيب الاخبار في افواه الناس ، صبور على العزاء . ثم يصفه
بقلة الطعم مع اتساع الحال ، فترى بطنه منطويا والزاد معد ، لانه

(١٠١) الحارب : المحارب او الذي يسلب الناس أموالهم في الغزو .

(١٠٢) لويس شيخو : انيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء

ص ٥٥ .

(١٠٣) لويس شيخو : شعراء النصرانية ١/١٦٦

يؤثر به غيره على نفسه ، فهو يغدو في القميص الممزق اذ كان يتنذل
نفسه فيما كان يكسبه فخرا وعلوا • فيقول (١٠٤) :

قليل التشكي للمصيبات حافظ" من اليوم اعقاب الاحاديث في غد
تراه خميص البطن والزاد حاضر عتيد ويغدو في القميص المتكدد

واذا لم يجد الشاعر الجاهلي بدا من الميتة التي مات عليها الميت،
استسلم للقضاء ، وعندها يبدأ بتغزية نفسه بذكر مصائب الدهر ، وان
الحياة لا تدوم ، وان الموت لا مهرب منه لكل حي مهما تمكن من القوة
والصلابة ، وان الانسان عاجز امام الموت ، ضعيف حيال سطوته ••

فهذا ليبد يرثي أخاه اربد فيقول (١٠٥) :

بكيننا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع (١٠٦)
فلا جزع ان فرق الدهر بيننا وكل فتى يوما به الدهر فاجع

والنابغة الذبياني في رثائه للنعمان بن الحارث يكرر نفس المعنى
فيقول (١٠٧) :

فان تك قد ودعت غير مدمم اواسي ملك ثبنتها الاوائل
فلا تبعدن ان المنية موعد وكل امريء يوما به الحال زائل

وقد قامت المرأة بقسط كبير في البكاء ، فشاركت الشعراء فيه ،
حتى لا نكاد نفرق بينهما في جوهر الرسالة التي يؤديانها للقبيلة ،
بل وربما كان للنساء الحظ الاوفر منه • فكن يلطنن الوجوه ، ويقرعن
الصدور ويشققن الجيوب ، ويقمن المآثم •

وطبيعي ان تكون النساء اشجى الناس قلوبا عند المصيبة ،

(١٠٤) المرزوقي : حماسة ابي تمام ٨٢٠/٢

(١٠٥) شرح ديوان ليبد ص ١٦٨ •

(١٠٦) المصانع : القصور

(١٠٧) شعر النابغة في مجموعة الاعلم ١٩٧/١

واشدهم جزعا على الهالك (١٠٨) .

لقد كان الرثاء يعتمد على الانفعال بالتجربة الانسانية ، وتصوير الاحساس بالفجيعة ، لانه ينبع من احساس الشاعر بارتباط المرثي بالجماعة ارتباطا وثيقا ، ومن شعوره بالفراغ الذي يتركه وراءه ، لذا فقد ارتبطت عباراته ومعانيه ارتباطا نفسيا واجتماعيا باوضاع المجتمع الجاهلي .

والشاعر الجاهلي على الرغم من تسليمه بالموت حقيقة واقعة ، لكنه يحاول ان يعلله باسباب كما جاء في مرثية دريد بن الصمة لاخيه عبدالله ، فهو مقدم صائب الرأي ، حلیم فيما يأتيه ، لا يطيش زهوا ، ولا يؤثر على الصواب شيئا (١٠٩) :

فان يك عبدالله خلى مكانه فما كان وقافا ولا طائش اليد
او ان الشاعر يخفف من ألم المصيبة عنه بذكر طاعته للمرثي ، واحتشامه منه مدة حياته ، واعظامه اياه في القول عند مخاطبته ، والعقل وقت مجالسته ولدى معاملته ، وفي ذلك ما يهون وجد الشاعر ، ويقلل من شدة حزنه وولعه (١١٠) .

وطيب نفسي انني لم اقل له كذبت ولم ابخل بما ملكت يدي
ويبالغ الشاعر الجاهلي في تصويره للمرثي مبالغة كبيرة ، فالقتل لا يرضي الا المرثي لانه كريم ، والدهر يأبى في الاختيار ان يكون حظه غيره ، وان القتل وقبيلته لم يرضوا من احداث الزمان فيهم الا بالقتل ، اذ كان ذلك عندهم احسن الميتات واکرمها ، فكأنهم قدروا للقتل وقدر القتل لهم (١١١) .

(١٠٨) ابن رشيقي / العمدة ١٤٥/٢ .

(١٠٩) المرزوقي : حماسة ابي تمام ٨٢١/٢

(١١٠) نفس المصدر ٨٢١/٢

(١١١) المرزوقي : حماسة ابي تمام ٨٢٤/٢

أبو القتل إلا آل صمة إنهم أبوا غيره والقدر يجري إلى القدر
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد
وقد تدفع المبالغة الشاعر إلى دعائه على الناس كافة بأن لا يهنيهم
الله بما يرعونه من حمى ، وما يحوزونه من مال ولهى ، ويسوقون من
أهل وولد ، ويجمعونه من عتاد وذخيرة ، مجسداً بذلك شعوره العميق
بعدم جدوى الحياة بعد الميت ، قال النابغة يرثي أخاه (١١٢) :

لا يهنيء الناس ما يرعون من كلاً وما يسوقون من أهل ومن مال
بعد ابن عاتكة الثاوي على أبوي أمسى ببلدة لا عم ولا خال
وهذا مسافع العبي (١١٣) يستقبح السرور بعد أن فجع ببني عمرو ،
لأن السرور كان يتصل بحياتهم ، والغم كان يحذر مخافة أن يكون فيهم ،
حتى إذا مضوا لسبيلهم ، فلا شيء من أعراض الدنيا يستحق الفرح أو
الحزن ، ولكن الاعتصام بحبل الصبر هو الأولى والأحب ديناً
ودنياً .

أبعد بني عمرو أسر بمقبل من العيش أو آسى على أثر مدبر
وليس وراء الشيء شيء يردده عليك إذا أولى سوى الصبر فأصبر
والحديث عن الدهر في قصائد الرثاء كثير ، فهو يرمي سهام الموت
فلا تطيش ولا تخطيء ، وإذا ما رمى وأصاب فلا عودة لمن يصيبه (١١٤) .

أرى الدهر يرمي ما تطيش سهامه وليس لمن قد غاله الدهر مرجع

والبكاء والحزن لا يجديان نفعاً مهما طالاً ، ولو كان الفداء يرجع
الميت لاقتدى بالاهل والأموال ، ولكن للموت — كما ذكرنا — سهام
إذا أصابت المرء لا يعنيه طب طيب ، ولا رقية راق ، قالت اخت ربيعة

(١١٢) المرزوقي : حماسة أبي تمام ج ٢ ص ٩٠١

(١١٣) المرزوقي : حماسة أبي تمام ج ٢ ص ٩٨٩

(١١٤) أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ص ١٦٣

بن مكرم فارس كنانة (١١٥) :

ابكي على هالك اودى فأورثني بعد التفرق حزنا بعده بافي
لو كان يرجع ميتا وجد ذي رحم اديم لي سالما وجدي واشفاقي
او كان يفدى لكان الاهل كلهم وما أثمر من مال له واقبي
لكن سهام المنايا من نصبن له لم يُنجه طب ذي طب ولا راقبي

فعلام الجزع وعلام البكاء ، فالدواهي تفرع كل القلوب ،
والمصائب تنزل بكل الناس كما يقول لييد (١١٦) :

اتجزع مما احدث الدهر بالفتى وأي كريم لم تصبه القوارع

وقد تصل بعض قصائد الرثاء درجة من العاطفة الصادقة والمشاعر
المرهفة ، لصدورها عن قلب موجد ، وفؤاد ملتاح ، كما جاء في قصيدة
متمم بن نويرة ، الذي ادعى ان اسباب الحزن ومهيجاته تشابهه ، فكل
منها يقوم مقام الآخر ، فالحزن يهيج الحزن ، والشجا يبعث الشجا، وان
كل قبر ينتهي اليه يذكره قبر اخيه ، اذ ليس له في قبره الا مثل
ما له في القبور كلها (١١٧) :

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
يقول اتبكي كل قبر رأيتَه لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له ان الشجا يبعث الشجا فدعني فهذا كله قبر مالك

وكذلك قصيدة دريد بن الصمة التي اعرب فيها عن فداحة رزئه ،
ووليه لذلك المصاب العظيم (١١٨) .

ومن عادة القدماء ان يضربوا الامثال في المراثي بالملوك الاعزة ،

(١١٥) الاصفهاني : الاغاني ١٦/٦٢ دار الكتب

(١١٦) شرح ديوان لييد ص ١٧٢

(١١٧) المرزوقي : حماسة أبي تمام ٢/٧٩٧

(١١٨) الاصمعي : الاصمعيات ١٠٩ ، شعراء النصرانية ١/١٦٦

والامم السالفة ، والوعول الممتعة في قتل الجبال ، والاسود الخادرة (١١٩) في الغياض (١٢٠) ، وبحمر الوحش المنصرفة بين القفار ، والنسور والعقبان والحيات ، لبأسها وطول اعمارها (١٢١) .

وطبيعي أن يكون الرثاء بعيدا عن النسيب ، فليس من عادة الشعراء ان يقدموا قبل الرثاء نسيبا كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء ، وان المتعارف عند اهل اللغة انه ليس للعرب في الجاهلية مرثية اولها تشبيب الا قصيدة دريد التي رثى فيها اخاه عبد الله (١٢٢) والتي مطلعها : ارث جديد الجبل من ام معبد بعاقبة ام اخلفت كل موعد

فالرثاء يكاد يكون في كثير من الاحيان صورة من صور الحماسة ، او مظهر من مظاهرها ، لان الشاعر يحاول ان يضفي على المرثي كل صفات البطولة ، كما يحاول ان يحرض على الاخذ بثأره اذا كان الموت قتلا . ومن الجدير بالذكر ان نذكر ان اغلب قصائد الرثاء لم تكن رثاء قاصرا على البكاء وحده ، وانما يختلط بالتهديد ، والاخذ بالثأر والفخر ، الا قصائد قليلة تتمثل في شعر النساء الذي انطلق من افواههن فكان قصائد خالصة للرثاء . وقد حفل الادب العربي بكثير من هذه القصائد التي اطلق على بعضها اسم الموثبات ، لما تشيره في نفوس القوم من حماس ، وما تبعته فيهم من اثاره فكان الحماس عنصر من عناصره وداع من دواعيه .

(١١٩) اسد خادر ، أي داخل الخدر ، ويعني بالخدر الاجمة .
(١٢٠) الفيضة : الاجمة ، وهي مفيض ماء يجتمع ، فينبت فيه الشجر والجمع غياض .

(١٢١) ابن رشيقي ١٤٣/٢
(١٢٢) ابن رشيقي : العمدة ١٤٤/٢ . وقد لاحظنا ان هناك قصائد أخرى قيلت في الرثاء وافتتحت بالتشبيب كمرثية المرقش الاكبر في ابن عمه ثعلبة بن عوف (الفضليات ج ٤ ص ٣٧) .

أثر الحرب في شعر الفروسية

لم يكن منظر الحرب من المناظر الطبيعية التي ألفها الفرد، وتعود على رؤيتها، كما ان نظرتة اليها تختلف اختلافا عميقا عن نظرتة الي مظاهر الحياة العادية، لان الحرب بطبيعتها تبعث مشاعر الانسان الكامنة، وتثير فيه الاحاسيس، من رغبة ورهبة، وأمل ويأس، الي غير ذلك من الخواطر التي يبعثها تعاقب صور الحوادث في الحروب على مسرح فكره، فتجعل الشخص يحس احساسا غريبا بكل ما يدور حوله. فالمنتصر فيها تملوه النشوة وينتابه الشعور بالسيطرة، فتموج عاطفته بالمشاعر المعبرة عن قوته وبطولته، وينطلق لسانه يتغنى بلذة واعجاب، والمغلوب على أمره يحس بالخيبة والخذلان، ويعلل نفسه بالاسباب.

والحرب تستلزم الشعر، فهي أشبه شيء بالثورة السياسية التي تستدعي النهضة الادبية التي تسير جنبا الي جنب معها، وتتفاعل تفاعلا عضويا مع احداثها، تؤرث نارها، وتسجل آثارها، وتدعو اليها، فكانت هذه الفنون الشعرية المتصلة بها اتصالا وثيقا، والمتفقة مع دواعيها اتفاقا كليا، من حماسة وفخر وهجاء ورتاء.

فالتجارب الكثيرة التي خاضها الشعراء الفرسان، واطهروا فيها قابليات رائعة، الهمتهم الدفة في الوصف، والحس في التصوير، والاجادة في التركيب الشعري، لانها في الواقع كانت تمثل المحور الاساس الذي تدور عليه الحياة الجاهلية. فالتضحية عندهم سهلة، يقدمون عليها اذا كانت حصيلتها مكاسب تدخرها العشيرة ليوم التفاخر، ويبدلون في سبيلها كل ما يقع بين ايديهم، فاسترخصوا الحياة دفاعا عن الشرف، واستسهلوا الموت ذودا عن الكرامة، معتقدين اعتقادا اكيدا بأن الاقدام

في الحرب لا ينقص عمر المتقدمين ، وان الاحجام لا يزيد عمر المتأخرين ،
وبأن الذي يطلب الموت توهب له الحياة ، فلا مجال للجبن والخضوع ،
وان الميتة الحققة هي التي تكون في خضم المعركة لينال المقتول شرف
المعالي ، ويكسب فخرا تضيفه القبيلة الى مفاخرها ، وليظل ذكره
نشيدا تترنم به الاجيال من بعده .

ومن هنا زخر شعرهم بذكر الحروب ، وتباهى الشعراء بالحشود ،
وتفاخروا بالقتلى والضحايا والسبايا وشن الغارات ، وبكوا قتلهم
بكاء مرا ، وهجوا عدوهم ونشروا مخازيه ، وذكروا جنبه وفراره ،
وبذلك تتجاوب اطراف الجزيرة بهذا الشعر الحربي الذي كان وقودا
لهذه النار ، ليتمكن من مسامرة هذه السلسلة الطويلة من الحروب
والايام .

وكانوا يتخذون الشعراء واسطة للتعبير عن أهدافهم ، كما كانوا
يجعلونهم وسيلة لاثارة الحرب ، وبهذا يكون الشاعر لسان حال
القبيلة ، يعبر عن دخالها واغراضها ، وكان حقا على القبيلة رعاية
الشاعر ، والاعتزاز به ، والاهتمام بقصائده ، لانها سجل حافل
لتأريخها ، واثر خالد من مآثرها التي تبرزها وقت المفاخرة ، وسلاح
امض من سلاح السيف وافتك في اجساد الخصم يرد عنها طعون
الاعداء .

وكانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ،
وصفت الاطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون في
الاعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ، لانه حماية لاعراضهم ، وذبح
عن احسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة بذكرهم ، وكانوا لا يهتئون
الا بغلام يولد ، او شاعر ينبغ ، أو فرس تنتج (١٢٣) .

والشعر الجاهلي حافل بذكر الحرب ، زاخر بصورها ، وقد

اختص قسم من الشعراء الجاهليين بذكرها ، كعنترة لكثرة ما خاض من
المعارك ، حتى قال فيه الاصمعي : « ذهب امية بن أبي الصلت في شعره
بعامة ذكر الآخرة وعنترة بعامة ذكر الحرب » (١٢٤) .

وقد اتصف قسم من الشعراء بعدم الاندفاع وراء الخيـان في
المبالغة ، لما يصيب اعداءهم في المعركة ، وانما كانوا معتدلين منصفين ،
يذكرون ما وقع لخصومهم في المعركة وما وقع لقومهم فيها دون تحيز ،
ويعترفون لخصومهم بالبأس والنجدة والمروءة ، فلا يذمونهم ولا
يجردونهم من صفات الفروسية الحقبة التي يعترفون لهم بها . . . فهذا
عمرو بن كلثوم يعترف في معلته لاعدائه بالشجاعة ، فالسيوف في ايدي
قومه وايدي اعدائهم كأنها مخاريق بايدي لاعين ، وهم يقتلون منهم
كما يقتل من قومه ، وثيابهم جميعا ملطخة بالدماء (١٢٥) :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعيننا
كأن ثيابنا منا ومنهم خضبن بارجوان أو طليننا

وهذا النوع من القصائد سمي بالمنصفات ، وقد ذكر الخالديان في
الجزء الاول من الاشباه والنظائر (١٢٦) نقلا عن الرواة : ان منصفات
اشعار العرب ثلاثة ، اولها قصيدة عامر بن معشر بن اسحم بن عدي ،
والثانية لعبد الشارق بن عبدالعزيز الجهني (١٢٧) والثالثة للعباس بن
مرداس السلمي ، كما اطلق العرب على بعض القصائد اسم الموثبات
لان الغرض من القائها غالبا يكون اثاره الحرب والتهيؤ لها ، وايغار
الصدور ، كالايات التي اشدتها البسوس عندما تعرض كليب لناقة
الجرمي فقالت (١٢٨) :

(١٢٤) النويري : بلوغ الارب : ٢٥٣/٢ .

(١٢٥) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩٧

(١٢٦) الاشباه والنظائر : ص ١٤٩

(١٢٧) ويذكر في الحماسة : عبد الشارق بن عبد العزى وهو

صواب .

(١٢٨) جاد المولى وجماعته : ايام العرب في الجاهلية ص ١٤٥ .

أبا سعداً لا تغرر بنفسك وارتحل فاني في قوم عن الجار اموات
ودونك اذوادي اليك فاني لماضيهم سعد" وهو جار لا يياتي (١٢٩)
لعمرك لو أصبحت في دار منقذ لما ضييم سعد" وهو جار لا يياتي (١٢٩)
ولكنني اصبحت في دار معشر متى يعد منها الذئب يعد على شاتي

لقد امدت الحروب الجاهلية الشعراء بمعين ثر ، وهيأت لهم
المجالات الواسعة ، للانطلاق بمواهبهم الشعرية بشتى نواحيها ، ومختلف
اتجاهاتها ، فكانت حافزا قويا ، ومصدرا خصباً من مصادر الالهام ،
اثارت في نفوس الشعراء مختلف الاحاسيس والعواطف ، فانسابت على
ألسنتهم اغاني عذبة ، واناشيد رائعة ، وفي غمرة اصطلاحهم بنيران
الحروب ، وغشيانهم معمعان الوعى ، تتفجر نفوسهم شعرا حماسيا
بليغا ، فتجاوب مع أصدائه الحان الفخر ، وملاحم النصر . . . والى ذلك
يذهب ابن سلام في تعليقه لقلعة شعر قريش وغيرهم فيقول : « وانما
يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الاحياء ، نحو حرب الاوس
والخزرج او قوم يغيرون ويغار عليهم ، والذي قلل من شعر قريش انه
لم يكن بينهم نائفة (١٣٠) ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عمان واهل
الطائف » (١٣١) .

فالحرب عامل كبير من عوامل دفع الشعراء لقول الشعر ، لانها
وسعت آفاق النظم ، وخلقت لهم المجالات الرحبة للتعبير ، فانطلقوا
يشيدون بمفاخرهم ، ويتغنون بانتصاراتهم .

لقد كان شعر الحرب أقوى ما نظم الشعراء وانقاه ، لانه يتصل
بالامة فيضم مجد ماضيها الى عزة حاضرها ، وهو وحده - بعد هذا
سجل فخرها ، وعنوان بأسها ، ونشيد بطولتها ، لانه صور بأس الأبطال

(١٢٩) منقذ : ابو البسوس وهو من تميم .

(١٣٠) النائفة : الحقد والعداوة تقع بين القوم فتثير شعورهم .

(١٣١) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ص ٢١٧

في حومات الوغى ، وفروسية الفرسان في زحمت القتال ، فكثر
الفرسان من الشعراء المجيدين الذين يستثيرون الهمم في قلب المعارك
بما يمثّلونه من الشعر عند المبارزة ، وشن الغارة ومقابلة الخصم عند
اشتداد دائرة الحرب ، وما قصائد عنتره وعامر بن الطفيل ودريد بن
الصمة الا امثلة حية لتلك الاناشيد .

لقد شغلت الحرب معظم جوانب الحياة ، وملأت اوصافها اغلب
معاني اللغة ، فكان الفخار بالبطولة والفروسية وقديم الايام من مظاهر
شعرهم الحربي ، وكانت القصائد التي تتمدح بذكر الشجاعة في القتال،
والبطولة في المعارك ، من ابرز اغراض الشعر الجاهلي ، وكانت لابواب
الحماسة المكانة الاولى في منتخباتهم ، لان العرب بها احصى ، ولها
اروى ، ولان شجاعة العرب وماثرهم الحماسية المع سجايهم ، واعرق
ما فيهم من الصفات .

الباب الثالث

نماذج من الشعراء الفرسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ إِلَّا بِحَمْدِهِ

الفصل الأول

الحب عند عنتره

تقد احتفظت ذاكرة العرب على مدى الاجيال بشخصية من ابرز شخصياتها ، وفارس من اشجع فرسانها ، فكان المثل الاعلى في البسالة والبطولة الحربية ، وكانت أحاديثه نواة الملحمة الكبرى في تاريخ الأدب العربي . عنتره الذي تمثلت في فروسيته معاني الرجولة العربية الكاملة، تمثلت بأفعاله واعماله ، بعفته وكرمه ، برقته التي لا تنتهي به الى الضعف ، وصلابته التي لا تنتهي به الى العنف . فهو رجل حياء ونكرم، تمثلت بفخره الصورة الصادقة لنفسيته الرفيعة التي تأبى القيود . وتسمو الى العلاء ، ولا تقبل الذل والصغار . وهو بعد كل هذه الصفات ، فارس تتمثل فيه الفروسية الحربية في أقوى صورها ، واروع معانيها .

لقد تحدث الرواة عن بطولة هذا الفارس ، واكثروا من حديثهم عن شجاعته ، فقد وصفه البغدادي^(١) بأنه اشجع اهل زمانه ، واجودهم بما ملكت يده ، وكان شهد حرب داحس والغبراء ، وحملت مشاهدته فيها . وارجع صاحب الاغاني^(٢) سبب ادعاء ابيه اياه الى ان بعض

(١) البغدادي : خزانة الادب ٦٢/١ .
(٢) الاصفهاني : الاغاني ٢٣٩/٨ دار الكتب .

احياء العرب أغاروا على بني عبس فأصابوا • واستاقوا ابلا ، فتبعهم العبييون فلحقوهم ، فقاتلوهم عما معهم وعترة يومئذ منهم ، فقاتل قتالا حسنا ، فادعاه ابوه بعد ذلك والحق به نسبه ، وعندما سئل عنترة عن شجاعته ، انت اشجع العرب واشدها ؟ قال لا • قيل : فلماذا شاع لك هذا في الناس ؟ قال : كنت أقدم اذا رأيت الأقدام عزما ، واحجم اذا رأيت الأحجام حزما ، ولا ادخل الا موضعا أرى لي منه مخرجا ، وكنت اعتمد الضعيف الجبان فاضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأنتسي عليه فاقتله^(٣) •

وكان عمرو بن معد يكرب يقول : ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقني حراها وهجيناها • يعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وبالعبدين عنترة والسليك بن السلكة^(٤) •

وعندما انشد النبي (ص) قول عنترة :

ولقد آبيت على الطوى واطلته حتى انال به كريم المأك

قال (ص) ما وصف لي اعرابي قط فأحبت أن أراه الا عنترة^(٥) :

وقال عمر بن الخطاب (رضي) للحطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنا ألف فارس حازم • قال : وكيف يكون ذلك ؟ قال : كان قيس ابن زهير فينا وكان حازما ، فكنا لا نعصيه وكان فارسنا عنترة فكنا نحمل اذا حمل ونحجم اذا احجم^(٦) •

هذا ما حدثنا به الرواة عن بطولة هذا الفارس ، وهي احاديث فخر واعتزاز ، تدل على فروسية هذا الفارس الذي تمثلت فيه القيم

(٣) نفس المصدر ٢٤٤/٨

(٤) نفس المصدر ٢٤٦/٨

(٥) الاصفهاني : الاغاني ٢٤٣/٨

(٦) نفس المصدر ٢٤٤/٨

البطولية والفروسية الجاهلية •

أما حديث عنتره عن نفسه ، فانا نراه في قصائده التي سرد فيها تلك الوقائع التي أبلى فيها بلاء حسنا ، فاستحق بذلك تقدير الاجيال •
لقد كان عنتره من فرسان العرب المعدودين ، المشهورين بالنجدة والبأس ، وكان يقال له عنتره الفوارس ، لانه لم يعجز عن صيدالفرسان الدارين :

ان تغدني دوني القناع فاني طب بأخذ الفارس المستلثم^(٧)
وعنتره فارس نحلته الحروب ، ورققت جسمه المعارك ، لانه عاش حياته عرضة لاطراف الرماح :

أما تريني قد نحلت ومن يكن غرضا لاطراف الأسنة ينحل^(٨)
فلرب أبلج مثل بعلك بادن ضخم على ظهر الجواد مهبل^(٩)
غادرته متعفرا أوصالسه والقوم بين مجرح ومجدل^(١٠)
فيهم أخو ثقة يضارب نازلا بالمشرفي وفارس لم ينزل

لقد حفظ عنتره وصية عمه باقتحامه القتال ، ومناجزته الابطال في اشد احوال الحرب ، وعندما تتقلص الشفاه من شدة كلوح الابطال ، فرقا من هول المعركة • وعندما تبدأ غمغمة الابطال ترتفع ، فتختنق صيحاتهم في افواههم • عند ذلك فقط يجعله اصحابه حاجزا بينهم وبين الأسنة ، وهو لا يجبن عن ذلك ولا يتأخر عن تلبية النداء^(١١) :

(٧) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ج ١ ص ٣٧٤ . تغدني : ترخي .
طب : حاذق .

(٨) نفس المصدر ص ٣٩٠

(٩) ابلج : ابيض . بادن : ضخم . مهبل : قيل هو الثقيل .

(١٠) متعفرا : واقعا على العفر : التراب . والمجدل : الملقى على

الجدالة وهي الارض .

(١١) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٧٨

ولقد حفظت وصاة عمي بالضحاً اذ تقلص الشفتان عن وضح الفم (١٢)
 في حومة الموت التي لا تشتكى غمراتها الابطال غير تغمغم (١٣)
 اذ يتقون بي الاسنة لم اخم عنها ، ولو اني تضايق مقدمي (١٤)
 وهو بعد كل ذلك ، البطل الذي يدعى في الحرب ، وينادى باسمه
 عند المعركة ليحمي قومه ، وعند ذلك تشتفي نفسه ، وتبرد غلته (١٥) :
 لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتدامرون كرتت غير مذمم (١٦)
 يدعون عنتر والرماح كأنها اشطان بشر في لبان الادهم (١٧)
 واتقد شفى نفسي وابراً سقمها قيل الفوارس ويك عنتر اقدم
 لقد خاض عنتره أشد المعارك واعظمها هولاً ، وغزا مع قومه ،
 فكان في كل تلك المعارك رمزا للبطولة ، ومثالا للفروسية الكاملة ، فقد
 اشترك في حرب داحس والغبراء التي خاضتها عبس ضد ذبيان (١٨) ،
 وتجلت في تلك المعارك بطولاته ، وبرزت شخصيته ، ولعت فروسيته
 النادرة . فكان حقا بطلا من ابطال تلك الحروب ، ورمزا حيا من
 رموزها التي سجلت لعبس اروع ايامها واخذ ماثرها .

وكما تحدث عن حرب داحس والغبراء، تحدث عن يوم الفروق (١٩)

- (١٢) قوله تقلص : اذا فزع الرجل تقلصت شفتاه . عن وضح
 الفم : أي عن بياض الاسنان .
 (١٣) حومة كل شيء : معظمه . وغمراتها : شدائدها . التغمغم .
 صوت نسمعه ولا نفهمه .
 (١٤) لم أخم : معناه لم أنكل ولم أضعف . وتضايق مقدمي : ضاق
 المكان الذي اقدم فيه ، فصرت في مضيق الارض لا استطيع ان اقدم
 فرسي فيه .
 (١٥) الاعلام : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٧٩
 (١٦) يتدامرون : يحرض بعضهم بعضا ويزجر بعضهم بعضا .
 (١٧) كان الرماح حين اشرعت اليه في طولها حبال .
 (١٨) الاعلام : مختار الشعر الجاهلي : (لاييات ٨١-٨٢-٨٣-
 ٨٤-٨٥) .
 (١٩) الاعلام : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٨١ البيت الثالث .

ويوم عراعر (٢٠) ، ويوم الهباءة (٢١) ، وغيرها من الايام الطويلة التي خاض حروبها بكل جرأة ، وكتب فيها اروع آيات الانتصار والمجد .

ان الشجاعة التي تبرز عند عنتره ، نابعة من فلسفته التي آمن بها كل الايمان ، فلموت لا بد منه ، وما دام الانسان يموت فالاجدر به أن تكون ميتة في الحرب ، لانها اولى من غيرها لما فيها من الاثار وعلو الذكر (٢٢) :

تعالوا الى ما تعلمون فأنني ارى الدهر لاينجي من الموت ناجيا
ان هذه الفلسفة التي مثلها عنتره لم تكن غريبة عن بيئته ، أو بعيدة عن طبيعة الحياة التي يحيها ، فهي مستمدة من الجذور الاصلية التي تفرعت في نفسه ، فكانت تلك القوائد الخالدة التي تغنت بها الاجيال (٢٣) :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنية منهل لا بد أن اسقى بكأس المنهل
فاقتي حياءك لا ابالك واعلمي أنني امرؤ سأموت ان لم اقتل
ان المنية لو تمثل مثلت مثلي اذا نزلوا بضنك المنزل

لقد كان عنتره فارسا وشجاعا ، تمثلت شجاعته في اخباره ، وتحشدت بطولته في احاديث الرواة عنه ، فقد خاض الحروب وظهر فيها بطولات نادرة ، ودافع خلالها عن قبيلته ، وسجل لها اروع الصفحات في تاريخ القبائل العربية ، وخلد لها اروع الذكريات في صفحات المجد العربي .

وبعد كل هذا يخلص عنتره من كل معاركة بعبارة البطل المنتصر

(٢٠) نفس المصدر ص ٣٨٢ البيت الاول .

(٢١) نفس المصدر ص ٣٨٥ ، البيتان الرابع والخامس .

(٢٢) الإعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٢٨٢

(٢٣) الإعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٨٩

الذي لم تهدر ممارسة الحرب قوته ، او تفت في عضده ، ولسكن طول السنين ، ومرور الايام هي التي اضعفته ، واوهت قواه ، فظل يعيش امجاده البطولية ، ويتذكر ايامه الخالدة في التاريخ ، وهو واثق كل الوثوق بانه انجز مهمته في الحياة ، وقام بما تمليه عليه طبيعة الحياة التي عاشها ، ونظام العصر الذي وجد فيه . فكان حقا رمزا من رموز البطولة العربية النادرة ، وملحمة رائعة من ملاحم الشعر العربي .

أما مروءته ، فقد صورها لنا عنتره عندما فخر عليه رجل من بني عبس فقال : اني لاحتضر الوغى وأوقى المغنم ، واعفى عند المسألة ، واجود بما ملكت (٢٤) .

وعند هذه الصفات تتمثل مرؤة عنتره ، وتلتصق لنا مثله الخلقية الراقية ، فهو قبل كل شيء عفيف ، تسمو به عفته فوق ما عهدناه عند كثير من الشعراء والذين ساروا وراء اللهو ، واقتفوا آثار العبت ، فاذا اراد ان يزور جارته ، زارها عند حضور زوجها ، فان خرج غازيا لم يغشها ، محافظة عليها ، وصيانة لعرضه وعرضها ، ويغض طرفه اذا بدت جارته ، حتى يتركها تدخل منزلها فيواربها ، ولا يتبعها نظره ، وهو يمنع نفسه اذا هوت ما يكون فيه غضاضة عليه ، وهو لا يتبع نفسه ذلك الهوى ، حتى اذا لجت في ارادته (٢٥) :

اغشى فتاة الحبي عند حلينها واذا غزا في الحرب لا اغشاها
اني امرؤ سمح الخليقة ماجد حتى يوارب جارتى مأواها
واغضش طرفي ما بدت لي جارتى لا اتبع النفس اللجوج هواها

وعنتره سمح المعاشرة كما ذكر ، يعامل اصحابه بمثل ما يظهرونه له من الخلق الحسن ، ولكن هذه السماحة لا تذهب به الى حد الافراط

(٢٤) الاصفهاني : الاغانى ٢٢٣/٩
(٢٥) ديوان عنتره : مجموعة الاعلم ص ٤٠٩

والتنازل ، فهو يعاقب من يظلمه عقابا بالغا (٢٦) :

اثني عليّ بما علمت فإني سمح مخالفتي إذا لم أظلم (٢٧)
فاذا ظلمت فإن ظلمي باسـل مر مذاقته كطعم العلقم (٢٨)

وهو وجود بما ملكت يده ، ولكنه يعرف الوجوه التي يبذل فيها
الكرم ، وتنفق فيها الاموال (٢٩) :

فاذا شربت فإني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائي وتكرمي

وعنترة يعفو عند المسألة ، ويعف عند توزيع الغنائم ، لأنه لم
يخض الحرب من أجل الغنائم والاسلاب ، وعند هذه النقطة تتضح
مروءة هذا الفارس وتتجلى بطولته وفلسفته في الحياة (٣٠) :

يخبرك من شهد الوقعة انني اغشى الوغى واعف عند المغنم
فأرى مغانم لو اشاء حويتها ويصدني عنها الجيا وتكرمي

وهو يترفع عن المسألة ، ويأبى العيش الذليل حتى لو أدى به الى
المبيت على الطوى ، وهذا منتهى الترفع ، ومبلغ السمو النفسي (٣١) :

ولقد ابيت على الطوى واطله حتى انال به كريم المآكل

ولم تقف مروءة عنترة عند هذه الحدود ، وانما تجاوزتها الى
آفاق بعيدة من النبل والشهامة ، فعنترة لم يرزأ ولباً ذا محافظة على
حسبه ، الا وصله بضعف ما يصيبه منه (٣٢) :

(٢٦) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ٣٧٤

(٢٧) يروى : سمح مخالفتي : أي سره معاشرتي ومخالفتي : أي

معاملتي صاحبي بمثل ما يظهر لي من الاخلاق الحسنة .

(٢٨) باسل : كرية ، مر .

(٢٩) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٧٥

(٣٠) نفس المصدر ص ٣٧٦

(٣١) نفس المصدر ص ٣٨٨

(٣٢) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٤٠٩

ولما رزأت أختها حفاظ سلعة إلا له عندي بها مثلاً
وعنترة بعد كل ذلك يلبي دعوة من يناديه في الحرب ، ويجيب
صرخة من يستغيث . ولم تكن التلبية بالقول والصياح فقط ، وإنما
بالعمل ، فيعطف عليه بفرسه ليرد عنه سيوف الأعداء (٣٣) :

ومكروب كشفت الكرب عنه بضربة فيصل لما دعاني
دعاني دعوة والخيل تردي فما أدري أبا سمي أم كنياني
فلم امسك بسمعي اذ دعاني ولكن قد ابان له لساني
فكان اجابتي اياه أني عطفت عليه خوار العنان
باسمر من رماح الخط لدن وايض صارم ذكر يمان

بهذا الخلق النبيل وبهذه الفروسية العربية ، تتمثل لنا شهامة هذا
البطل ومروءته التي عاش من أجلها عفيفاً على الرغم من كل الانتصارات
التي حققها . لقد صان عنترة انتصاراته بمروءته ، وحافظ على فروسيته
بنبله وشهامته ، وبذلك استحق التقدير والاعظام ، وأصبح ذكره مثلاً
نادراً من أمثلة الفرسان الأماجد الذين تألفت أسماؤهم في عالم المروءة
العربية ، فكان حقاً رائداً من روادها ، وبطلاً من أبطالها .

أما حب عنترة ، فهو جانب كبير من جوانب الحياة عنده ، لأنه
يمثل الفروسية الشريفة التي هيأت مثلها الرفيعة لظهور الغزل العذري
عند العرب ، وأوجدت النواة المشرقة التي مهدت لظهور الشعراء
الغزليين ، فلونوا الأدب بأشراقاتهم ، وزينوا جوانبه بتفانيهم المطلق في
سبيل من أحبوا .

لقد كان الحب عند العرب نعمة تبعث الشعور الصادق ، والعاطفة
النبيلة ، وتوقظ صفات الرجولة والبسالة ، فكان لكل فارس حبيبته
التي توحى إليه أمثلة الشجاعة ، فكانت فروسية العرب فروسية نبيلة
تمتاز بالاخلاص والتفاني .

(٣٣) نفس المصدر ص ٤٠٤ .

وعنترة احد هؤلاء الفرسان الذين اوحى اليهم حبهم بالبطولة ،
فألهب فيهم العواطف الرقيقة ، ودفعهم الى اقتحام المعارك ، فحاض
اعنفها واشدها ضراوة ، وخرج منها مرفوع الرأس ، مسجلا لعبس
ايامها الخالدة •

أما حديث عبلة ابنة العم التي شغف بها عنترة ، واكثر من القول
فيها ، فكان يمثل حرمانه ولوعته وتظلمه ، لانه ابدى فيه آلامه التي
يحسها ، وتباريحه التي كان يعانيتها في سبيل الوصول اليها - وهو قبل
كل شيء - يمثل غزل الفرسان في ابلغ صورته ، واجلى معانيه ، واسمى
عواطفه ، لانه نموذج حي من حياتهم ، ونمط فريد من انماط معيشتهم
التي اختلطت فيها ألقاظ الحرب بألقاظ الحب •

وقد اعبت المرأة دورا كبيرا في الحياة الجاهلية بكل صورها ،
وبجميع اشكالها ، فهي ملهمة الابطال في ساحات الحرب ، وموحية
الركة والالطف في لحظات الهدوء والاستقرار ، منحتها الطبيعة الصافية
معاني الحياة الجميلة ، فأصبحت اغنية عذبة تتردد على أفواه الشعراء ،
تعن لهم ذكراها ، وهم في ذروة الحرب، ويتشلونها بين مطارح السيوف،
وتتألق صورتها في اذهانهم في كل زمان ، حتى حين تعبت بهم سيوف
الاعداء ورماحهم ، فتعلوهم النشوة ويمتلكهم الفخر ، ويدفعهم الشوق
الى طبع قبلة النصر على صفحات السيوف (٣٤) :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم
لقد احب عنترة عبلة ، وحارب في سبيل هواها • فكان حبه لها
حبا خالصا مجردا، تمثلت فيه روحه الصادقة ، وتجسدت أمانيه الروحية،
فعبّر عن حبه في نفسه ، وصدقه في عاطفته ، فكان نموذجا يختلف عن

(٣٤) ديوان عنترة : تحقيق عبدالمنعم شلبي ص ١٥٠ •

النماذج الاخرى في هذا المجال ، ومنهجا يخرج عن مناهج الغزل في عصره .

لقد عاشت عبلة حياته كلها ، تمثل له في مسالكة ، وتشخص امامه في دروبه ، ويتحمل من أجلها أقسى المظالم ، ويجرع بسببها أفطع أنواع العذاب . ولكنه برغم ذلك يظل مخلصا لحبها ، أمينا لذكرها ، لقد كانت عبلة سبيل عنتره الى معاني البطولة والفروسية (٣٥) :

ولئن سألت بذاك عبلة أخبرت أن لا اريد من النساء سواها

والحب انشودة الوجود منذ كان الوجود ، فهو اللحن الذي تعالي من اعماق الازلية ، ليظل متعاليا حتى نهاية الابدية ، تختلج به الاعماق ، وتضطرب به الجوانح ، وتسمو بصفائه الارواح ، ويطلقه المحبون على شفاههم في شبه صلوات وتراتيل .

والنفس مهما أقلقتها مطالب الايام، أو واتتها ظروف الحياة، لتنشده بارتياح وشغف وتعاطف ، وترتبط في خيوطه بأمال كبيرة ، لانه قيمة خيرة من قيم الانسانية النبيلة ، ومثال رفيع من امثلتها الحية .

وهكذا داعب الحب نفس عنتره ، فكان شاعرا رقيقا ، رفعه حبه لعبلة الى مراتب الشعراء المجيدين ، ورافقه في جميع مواقفه ، فكان حافزا له على الشجاعة والاقدام . لقد كان عنتره عاشقا محبا ، تقسد الحب الى اعماق ذلك القلب القوي فأرقه ، وعملت المرأة في تلك الروح الجبارة فأكسبتها لطفًا وجمالا ، وليس كالمراة في تغذية الروح بالجمال واللطف . فهي قد همته أرق المعاني ، وفجرت في نفسه مصادر الوحي وينابيع التسامي ، فعاش محلقا في سماء المثل العليا . يناجي حبيته بأرفع آيات الود ، وأعذب أناشيد الحياة . فكان حقا فارسا في حبه ، مترفعا في عاطفته .

(٣٥) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٤١ .

ان حب عبلة جعل منه رجلا فوق الرجال ، فمن أجل عبلة ومن
 أجل ارضائها خاض ما خاض من حروب ، وسبى ما سبى من ابطال ،
 ومن اجلها زاد عن قومه ، وحمى حماهم ، ومن اجلها طلب الحرية بكل
 الوسائل ، ليتساوى مع من احب • فبدا لنا شاعر المعامع والمعارك من
 ناحية ، وشاعر الحب الدبيح والغزل الحزين ، من ناحية اخرى (٣٦) :

يا عبل كم من غمرة باشرتها بالنفس ما كادت لعمرك تنجلي
 فيها لوامع لو رأيت زهاءها لسلوت بعد تخضب وتكحل
 اما تريني قد نحلت ومن يكن غرضا لاطراف الاسنة ينحل

لقد ارتفع عنترة حتى وصل الى أرقى درجات البطولة ، وازدان
 اسمه بأسمى فضائل الفروسية من شجاعة وعطف، فهو مثل اعلى للفارس
 الكامل الذي لا تقف بطولته عند حد ، ولا تعرف فضائله نهاية • لقد
 كان عنترة يتسامى لا في خلقه فحسب بل في حبه ايضا ، لانه كان يؤمن
 ايمانا مطلقا بهذا الحب ، ويؤمن بأن حبيبته قد نزلت من قلبه منزلة من
 يجب ويكرم (٣٧) :

ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم

لقد ظل عنترة يتغنى بعبلة طوال حياته غناء المحب المحروم ، الغناء
 الذي يستشف منه الاحساس بالحزن واليأس ، لقد كانت نفسه خصبة،
 فشدوا بالشعر ، ومضى يتغنى بحبه غناء رائعا ، فاقتربت الحماسة
 بالحب ، والالهم بالشعر • وقد حاول أن يبرهن لعبلة في كثير من أشعاره،
 على انه وان كان قد فاته جمال الصورة فلم تفته الشجاعة والمناب التي
 تستأثر بالقلوب • فقد اشعلت عبلة قلبه حبا ، ولم يصبه من هذا الحب
 سوى الحرمان والشقاء • الا انه لا ينساها لانها تملأ نفسه من جميع
 اقطارها • وهو كما يتجشم أهوال القتال ، يتجشم أهوال هذا الحب

(٣٦) الاعلام : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٩٠

(٣٧) نفس المصدر ص ٣٧٠ .

اليأس • ولهذا فقد ظل وفيًا لحبه ، يحمي المعاهد التي كان يزور فيها صاحبته بالرغم مما انتهت اليه مأساة حبه ، وبالرغم من تحول عبلة عنه الى معاهد جديدة (٣٨) :

حييت من طلل تقادم عهده أقوى واقفر بعد أم الهيثم (٣٩)
حلت بأرض الزائرين فاصبحت عسرا علي طلابك ابنة محرم (٤٠)

لقد شغل الحب قسما كبيرا من معلقته ، فترأت عبلة فيها عروسة من عرائس الشعر الخالدة ، يغني لها ارق غناء ، وينشدها أعذب ما تجيش به نفس ، وينبض به قلب ، فاصبح الغرض الاصلي من المعلقة الغزل • اما ذكر البطولة والعفة وغير ذلك من الاغراض فانما هي وسائل للتمكن من غزو قلبها ، ليعوض بهذه البطولة ما فقده من جمال اللون ، وضعة النسب من قبل أمه ولتكون تلك الاغراض منهخرته التي يفتخر بها ، ومجده الذي يعتد به (٤١) :

ان تغدني دوني القناع فاني طب بأخذ الفارس المستلم (٤٢)
أثني علي بما علمت فاني سمح مخالطتي اذا لم أظلم (٤٣)
فاذا ظلمت فان ظلمي باسل مر مذاقته كطعم العلقم (٤٤)

والغريب ان المؤرخين لم يخصصوا عبلة بجانب كبير من أخبارهم

-
- (٣٨) الأعلام : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٧ .
(٣٩) أقوى واقفر : خلا ممن كان يسكنه . وأم الهيثم : هي عبلة .
(٤٠) الزائرين : الإعداء . جعلهم يزأرون زئير الاسد ، شبهه وعيدهم بالزئير .
(٤١) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ٢٣٥ .
(٤٢) الاغداق : ارخاء القناع على الوجه والتستر . طب : حاذق .
المستلم : اللابس الأمة ، والأمة : الدرع .
(٤٣) أصل الظالم : وضع الشيء في غير موضعه . وتروى مخالفتي .
(٤٤) ان ظلمني ظالم فظلمي اياه باسل لديه ، كربه عنده .

خلال أحاديثهم عن عنتره ، بل تكاد تخلو رواياتهم من حبها ، على الرغم من تردد اسمها في شعره وفي معلقته خاصة^(٤٥) ، فهم يكثرون من الحديث عن جوانبه الأخرى ، ويهتمون بالتحدث عن وقائعه ، وسواد بشرته وعبوديته وبطولته في حرب داحس والغبراء وغيرها ، وإذا ما قبيض لهم المرور باسم عبلة ، كان مرورهم لماما ، وذكرهم عرضا ، وهكذا كان الحديث عن الجانب الحيوي من حياة هذا الشاعر منسيا .

فالتاريخ يحدثنا عن محاولة عمه مالك بن قراد العبسي ، منعه من زواج عبلة وكرامها على الزواج من رجل آخر ، ليعدها عن عنتره ، ولكن قلب عنتره يظل خافقا بومضات حبها ، مشدودا الى نظراتها الحاملة . وهو في كل هذا الفيض العاطفي ، لا يتناسى بطولته الحربية ، ولا ينسى سلاحه ، لانه وسيلته في البسالة ، وطريقه الى المجد . ولكن هذه المحاولة التي حاولها عمه لم تزده الا تعلقا بحب عبلة ، ولم تفجر في نفسه الا ينابيع الحب العذبة ، التي لونت قصائده ، فكانت قلائد تحلّي جيد الادب العربي .

على ان عبلة لم ترافق عنتره في شعره العربي وحده ، بل رافقته في شعره الحماسي أيضا ، وكثر ذكرها فيه ، ولا بدع في هذا اذا علمنا ان النضال العنيف الذي خاضه عنتره في حياته كان في سبيل حبه ، فهو يذكر عفته وجوده واباءه وشمائله ليستميل قلب عبلة ، وينسيها سواد لونه الذي اثار في اعماقه الآلام الممضة ، فكان صدى ذلك في نفسه حسرة وألما وشجوننا ، ودفعته الى صنع المعجزات^(٤٦) :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ان كنت جاهلة بما لم تعلّمي
اذ لا ازال على رحالة سابع نهد تعاوره الكماة مكلّم^(٤٧)

(٤٥) الاعلام : مختار الشعر الجاهلي ٣٦٩/٣٧٠ - ٣٧٦/٣٨٩

٣٩٠ واغيرها .

(٤٦) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٤٢

(٤٧) الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الشاء باصوافها ، يتخذ

طورا يجود للطعان وتارة يأوي الى حصد القسي عرمرم (٤٨)
يخبرك من شهد الواقعة أنني اغشى الوغى واعف عند المغنم
وعلى الرغم مما فعله عنتره ، وسجله لقومه من الحوادث ، وما
فعلت كفه في اعدائه ، الا ان ذلك لم يغير من حقيقة عنتره شيئا في نظر
قومه ، فكان له معهم شكاية ، وكان له منهم عتاب .

لقد عرفه قومه عبدا لا يشارك فيما يشارك فيه الاحرار ، فاحتلموه
على غير رغبة منهم ، فكانت اليه منهم لقتات تشعره بالانتفاض ، وتثير في
نفسه الالهم .

واخوته الذين يعيشون المأساة نفسها حاول ان يحتال من اجلهم ،
فأوحى الى خير اخوته في نفسه وكان يدعى حنبلا ان يروي مهره من
اللبن ، وان يمر عليه عشاء في نادي قومه ، فاذا قال له عنتره ما شأن
مهركم متخددا مهزولا ضامرا ، أهوى حنبل بالسيف الى بطن المهر
فيضربه فيظهر اللبن (٤٩) ، محاولا بذلك ان يدعيهم قومه ، ويعددهم
عن هذه المأساة التي يعيشون فيها .

لقد كانت عقدة اللون عند عنتره واضحة في بعض قصائده ، وكانت
هذه العقدة سببا من أسباب مأساته التي عاناها ، لقد كان المجتمع
الجاهلي قاسيا على اولاد الاماء ، فهم سبة يعير بها الآباء ، وهم اغربة
العرب كما نعتوهم . وما حيلة هؤلاء اذا رسمتهم الطبيعة بهذا اللون ،
وما جريمتهم حتى يلاقوا من مجتمعهم هذا الازدراء والهوان ، ويعيشوا
بعيدين عن الحياة ، منبوذين من الناس ، لا ينظر اليهم الا نظرات
السخرية والاحتقار . لقد ولد عنتره في هذا المجتمع ، ولد وهو على

للجري الشديد ، النهدي : الفليظ ، تعاوره الكماة أي يطعنه ذا مرة وذا
مرة . المكلّم : المجروح .

(٤٨) يأوي الى حصد القسي : أي جيش كثير القسي .

(٤٩) الاصفهاني : الاغانى ٣٤٣/٨ دار الكتب .

هذه الهيئة التي لم يكن قادرا على تغييرها ، ولم يكن له يد في اختيارها ، ولد أسود البشرة ، ترمز ملامحه الى آثار العبودية ، ولكن المجتمع كان لا ينظر الى هذه الاحداث نظرة الفاحص المتأمل ، فكان اللون مبعثا للاهمال ، وكانت العبودية سببا من اسباب الاحتقار والسخرية •

ان نفس عنتره العظيمة لم تقف امامها هذه العوائق ، ولم تحدد خطواتها هذه العراقل ، فاستطاعت ان تحقق المعجزات ، وتكسب الفخر ، وتخلد لعبس المناقب الحميدة ، كما أثبتت بتلك المفاخر ان اللون لم يكن حائلا دون نيل المجد ، ولم يكن مانعا من ادراك أسمى ما يتوق اليه البشر • لقد كانت عظمة نفسه تتجلى من خلال تلك القصائد التي جعلت منه علما من اعلام الشجاعة والعفة ، وعنوانا للحب الصادق ، فتغنى به العشاق والابطال والكرام ، واصبح قصة تروى على الاجيال ، وتسمع على مدى الدهور •

لقد اضفت هذه المأساة على شعر عنتره لونا حزينا ، واكسبته طابعا عاطفيا رائعا ، لانه سجل فيه نفسه التي آلمها السواد ، فوقف حائلا دون تحقيق ما كانت تصبو اليه في مجال الحب ، والوصول الى من بذل في سبيلها أقصى ما يمكن أن يقدمه انسان ، ويبدله شخص •

لقد ملأ حب عبلة قلبه ، فجاشت نفسه غراما ، وملك عليه جوانحه ، ومن خلال ذلك كانت ترسم لنا الصورة الفريدة لعنتره التي تميزه عن جميع الفرسان الجاهليين •

ولقد اعطانا عنتره صورة للعشق بمعناه الروحي الذي يجعل من البطل المغوار انسانا رقيقا ، تسعده البسمة أكثر من اللسمة ، ويغنيه الرضى النفسي عن اللقاء الجنسي ، وقد تجلت شاعرية عنتره في التعبير عن هذا المزج الشعوري عند الفارس العاشق • فهو محب صادق الحب ، وليس طالب لذة عابرة ، وهو مصر على هذا الحب مهما لاقى في سبيله من صعاب وعقبات ، ومهما تدخل القدر • لقد تجاوز عنتره في تصويره

لهذا الحب جميع النواحي الموضوعية والمادية ، وارتفع الى مستوى التجرد الروحي .

فاذا قرأنا شعره فكأننا نقف امام مثال ناطق لفارس فريد يشل جميع الصفات والخصال التي كان عليها الفارس الجاهلي ، مثال استطاع ان يترجم لنا فلسفة الفروسية كما فهمها المجتمع العربي ، وحدد الاصول التي قامت عليها الفضيلة الجاهلية .

لقد انفرد عنتره بهذه الصورة التي ميزته من الناحية العاطفية ، وجعلته نموذجا ناجحا في عالم البطولة .

واخيرا وبعد كل هذه المعاناة الطويلة التي عاناها الفارس العاشق ، والآلام الممضة التي عاشها بكل جوارحه لم يظفر بمن أحب ، ولم يحصل على من صنع من اجلها المعجزات ، لقد كانت جولته خاسرة ، وكانت نهايته غير موفقة ، لانه لم يظفر ببغيته ، ولم ينل مطلبه ، فقد أكرهت عبلة على الزواج من رجل آخر (٥٠) .

ولكن ادبه في عبلة ظل خالدا ، ووجه لها كان نموذجا للعشاق العذريين ، وطريقا سار عليه الشعراء العذريون في العصور التالية .

وبعد ، فان الحديث عن عنتره طويل ، واعذب ما فيه حبه الصادق ، وعاطفته الدفاقة ، وألمه الممض . هذه التيارات التي لونت شعره بأجمل الالوان ، ومزجته بأرق العواطف ، فكان بطلا حقا من أبطال الحرب ، وشاعرا من شعراء الغزل العذري الاصيل ، الذي أصبح نواة أصيلة لتيار متميز في الادب العربي ، سكب فيه الشعراء أرق عواطفهم ، فقدموا لنا أسس النماذج الانسانية في مجال التضحية من اجل القيم الرفيعة التي آمنوا بها . فكان مثالا يحتذى به ، واستادا يعلم الناس دروس الخلق الرفيع ، والادب السامي ، والتضحية الغالية (٥١) .

(٥٠) ديوان عنتره ص ٣٩٠ الابيات (٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦) .

(٥١) الاعلم : مختار الشعر الجاهلي ص ٣٩٠ الابيات (٣٢-٣٣-٣٤) .

(٣٦-٣٥-٣٤) .

الفصل الثاني

الكرم عند حاتم

ليس ذكر حاتم غريبا على الاذهان ، ولا أحاديث كرمه بعيدة عن المسامع ، فحديثه يتردد كلما ذكر الكرم ، وأخباره تتناقلها الألسن ، فهو كريم تضرب بكرمه الأمثال ، وهو فارس لأنه يمثل عناصر الفروسية الحققة في الاخلاق والشجاعة والمروءة ، وهو انسان لان عاطفته تمتد الى كل ضعيف ومعوز واسير^(١) :

واني لعف الفقير ، مشترك الغنى وودك شكل لا يوافقك شكلي
وشكلي شكل لا يقوم لمثله من الناس ، الاكل ذي نيقة مثلي^(٢)
ولي نيقة في المجد والبذل لم تكن تأتفها ، فيما مضى أحد قبلي
وهو انسان لا تستعبده المادة ، لأنه يرى أن الحياة بذل وسخاء ،
وان المال خلق لاكتساب الثناء والذكر الحميد ، فعلى الانسان أن
لا يكسبه بالعدر ، ولا يتمسك به تمسكا شديدا^(٣) :

أماويّ قد طال التجنب والهجرُ وقد عذرتني من طلابكم العذر
أماويّ ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الاحاديث والذكر

(١) ديوان حاتم ص ١٠٩

(٢) النيقة: أرفع مكان في الجسم ، يقصد بها علو المقام والرفعة.

(٣) الديوان ص ٧١ والمبرد في الكامل ٣٢٨/١

أماويّ أني لا أقول لسائل إذا جاء يوماً حل في مالنا النذر
أماويّ أما مانع فمبينّ وأما عطاء لا ينهه الزجر
أماويّ ما يعني الثراء عن الفتى إذا حشرت نفس وضاق به الصدر
أماويّ أن يصبح صداي بقفرة من الأرض لا ماء هناك ولا خمر
تري أن ما أتفتت لم يك ضربي وان يدي مما بخلت به صفر

فللمال في مذهبه سبيل ، وللبدل في نظره مبرر ، لان العيش قصير ،
والحياة فانية ، وخير ما يتركه الانسان على الارض ذكر طيب ، وثناء
يردده القاصي والداني •

وحاتم الطائي الذي ضربت بجوده الامثال ، له شعر كثير ، يشيد
بفضيلة الكرم • فكان ينفق كل ما عنده ويبيت على الطوى ، هاتفاً
سعيداً • ومن طريف ما يروى له قوله مخاطباً زوجته (٤) :

إذا ما صنعت الزاد فالتسي له أكيلاً فاني لست آكله وحدي
أخاطارقاً ، أو جار بيت فاني أخاف مذمات الاحاديث من بعدي
واني لعبد الضيف ما دام ثاوياً وما في الا تلك من شيمة العبد

فأحاسيس هذا الفارس الجواد تلتبس في كل حديث تحدث به ،
وفي كل قصيدة قالها ، تلمس في صدق تعبيره ، وطبيعة اخلاصه ، وثبات
مثله التي كان يسلكها في حياته ، فكانت مثلاً فريداً في عالم الانسان ،
وقيماً رفيعة في حياة الناس ، ومروءة تنتهي عندها كل المروءات (٥) :

وقد علم الاقوام لو أن حاتماً أراد ثراء المال كان له وفر
واني لا آلو بمال صنيعاً فأوله زاد وآخره ذخر
ولا أظلم ابن العم ان كان اخوتي شهوداً وقد أودى باخوته الدهر
وقد حاول البعض ان يفسر كرم حاتم بالحرص على الشهرة ،

(٤) الديوان ص ٦٢

(٥) الديوان ص ٧٣ وروى البيت الثاني في الكامل ٢٤/١ .

والدعاية ، ، ارضاء لكبرياء نفسه ، واغتباطا لانانيته ، واستقبالا لالفاظ
 الشكر . ولا اجد نفسي مضطرا للرد على هؤلاء ، لان قراءة أخباره ،
 والاستزادة منها ، والتفهم الحقيقي لهذه النفس التي كانت تنطلق
 بكرمها من اعماق خيرة ، وتستمد الجود من بيئة زاخرة بفضائل الكرم
 والعطاء ، هي الرد الوحيد عليهم ، فأمة عتبه بنت عفيف ، وبنته سفانة ،
 وابنه عدي ، وجده سعد بن الحشرج ، وأخبارهم جميعا تملأ الكتب ،
 وأحاديثهم امثلة تبرز في كل مجلس يدور فيه حديث الكرم والتضحية
 والايتار ، فليس غريبا بعد هذا ان يكون حاتم على هذا الشكل ، وانما
 الغريب أن لا يكون كذلك .

فهو عنوان للمجود في الجاهلية ، تخطت شهرته القرون والاحقاب ،
 وليست هذه الشهرة الا دليلا على أصالتها ، وبرهاننا على الفطرة التي
 فطر عليها هذا الانسان النبيل ، ولو كان الكرم في نفس حاتم تصنعا ،
 لاكتشف الناس هذه الخصلة في وقت من الاوقات ، وبان زيف دعواها .
 ولكن الايام لم تزدها الا رسوخا وثباتا ، ولا زال المؤرخون حتى هذه
 اللحظات يقفون أمام حاتم العملاق في كرمه باجلال واحترام ، ويصفون
 على اسمه نعوتا لم يصفوها على غيره من الناس ، ومما يروى عن علو
 نفسه ، واصالة كرمه ، ودفع تهمة من يحاول اضعاف صفة التصنع على
 ذلك الكرم ، ما حدثنا به ابن الاثير في يوم ظهر الدهناء (٦) . فقال :

كان أوس بن حارثة بن لأم الطائي سيدا مطاعا في قومه ، وجوادا
 مقداما ، فوفد هو وحاتم الطائي على عمرو بن هند ، فدعا عمرو أوسا ،
 فقال له : انت أفضل أم حاتم ؟ فقال : ابيت اللعن ، ان حاتما اوحدها
 وأنا أحدها ، ولو ملكني حاتم وولدي واحمتي (٧) لوهبنا في غداة

(٦) ابن الاثير - تاريخ الكامل ٢٦٢/١ - والدهناء : واد يشتمل
 على سبعة أجبل ويمر ببلاد بني اسد .
 (٧) لحمة بالضم : القرابة .

واحدة ، ثم دعا عمرو حاتما ، فقال له : أنت أفضل أم اوس ؟ فقال :
أبيت اللعن •• انما ذكرت أوسا ، ولاحد ولده افضل مني • فاستحسن
ذلك منهما ، وحياهما واکرمهما •

وما تحدثنا به الاخبار ، وتحدثنا به القصائد التي تناثرت في
ديوانه • فقد حفل الديوان بهذه الافكار الانسانية التي أصبحت بضعة
من نفسه ، والذي يبرز لنا في هذه القصائد ، هو ان حاتما لم يكتف
بطبيعة الكرم وحدها ، وانما كان يلوم من يطلب منه الكف عن بذل
المال ، ويصل به الى درجة التعنيف ، وهذا دليل على أصالة الكرم ،
وتمكن هذه العادة من نفسه تمكنا لا يمكن زعزعته أو تبديله ، لأنه
راسخ في كل عمل من اعماله ، فهو يخاطب من يلومه قائلا (٨) :

مهلا نوار ، أقلبي اللوم والعدلا ولا تقولي لشيء فات ، ما فعلا
ولا تقولي لمال ، كنت مهلكه مهلاوان كنت اعطي الجن والخبلا
يرى البخيل سبيل المال واحدة ان الجواد يرى ، في ماله سبلا
ان البخيل اذا ما مات ، يتبعه سوء الشاء، ويحوي الوارث الابلا
فاصدق حديثك ان المرء يتبعه ما كان بيني ، اذا ما نعشه حملا
ليت البخيل يراه الناس كلهم كما يراهم ، فلا يقرى ، اذا نزلا
لا تعذليني على مال وصلت به رحما وخير سبيل المال ما وصلا

فحاتم يرد على من يلومه على عطائه وكرمه ، ويخاطب عاذلته بأن
هذه هي طبيعته التي فطر عليها ، ثم يطلب منها الا تجعل لسانها مبردا
فتوغل في العتاب (٩) :

وعاذلة هبت بليل تلومني وقد غاب عيوق الثريا فعردا
تلوم على اعطائي المال ضلة اذا ضن بالمال البخيل وصردا

(٨) الديوان ص ١٠٦

(٩) ديوان حاتم ص ٥٦

تقول : ألا امسك عليك فاني ارى المال، عند المسكين ،معبدا
 ذريني وحالي ، ان مالك وافر وكل امريء جار على ما تعودا
 اريني جوادا مات هزلا لعلي ارى ما ترين أو بخيلا مخلدا
 والا فكفي بعض لومك واجعلي الى رأي من تلحين رأيك مسندا
 ألم تعلمي أنني اذا الضيف نابني وعز القري • أقري السديف المرهدا
 أسود سادات العشيرة ، عارفا ومن دون قومي ، في الشدائد مدودا
 يقولون لي أهلكت مالك فاقصد وما كنت لولا ما تقولون سيدا
 كلوا الآن من رزق الاله وايسروا فان على الرحمن رزقكم عدا

وهكذا كان حاتم ، وهكذا كان كرمه حكاية حال ، وتصوير نفس
 عربية خيرة ، انطلقت منها جميع فضائل الكرم ، لتصور للاجيال صور
 التضحية والجود • ولم تكن هذه القصائد وحدها التي لام فيها حاتم
 عاذلته ، فهناك قصائد كثيرة تتردد فيها هذه المعاني ، لانها منطلقة من
 أسلوبه في الحياة الذي يؤمن بأن البذل والسخاء لا يقربان المنية عن
 امدها ، وان لؤم النفس البخيلة لا يديم بقاءها في دنياها ، فاذا كان
 الجود والبخل لا يبقي ، وكان السخاء اقامة المروءة ، واكتساب الاكرومة ،
 وادخار الشكر ، واقتناء الاجر • فالعقل يوجب الاخذ به ، والحزم
 يقتضي الزهد في غيره (١٠) :

وعاذلة قامت عليّ تلومني كأنني اذا أعطيت مالي اضيها
 اعاذل ان الجود ليس بمهلكي ولا يخلد النفس الشحيحة لومها
 وتذكر أخلاق الفتى وعظامه مغية في اللحد بال رميها
 ومن يتدع ما ليس من خيم نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها (١١)

فإنكرم بعد كل ما تقدم ، وكما أسلفنا في الصفحات السابقة، عادة
 متأصلة فيه • وهو فطرة فطر عليها ، كما فطر عليها العدد الزاخر من

(١٠) حماسة ابي تمام ١٧١١/٤

(١١) الخيم : الخلق .

أجواد العرب الذين ترددت أسماءهم في صفحات التاريخ ، امثلة نلايثار
والجود والتضحية •

ان هذه الفلسفة التي يصورها لنا حاتم ، توضح لنا مسلكا
طبيعيا في الحياة العربية ، عاشه بكل عواطفه ، ومارسه في كل ادوار
حياته ، وهو سلوك لا يريده في الحياة فقط ، وانما ينظر الى نتائج
المرتبة عليه بعد مفارقتة الحياة ، فهو لا يريد بعد الموت الا الذكر
الحميد ، ولا يطلب الا المحمدة الخيرة ، تنطلق بها ألسن الناس • وهو
فوق كل هذا يريد من الناس أن يتحلوا بهذه الصفات ، ويبدلوا ما شاء
لهم البذل في سبيل تعميم هذه الصفات ، ليجعلها سنة في حياتهم ، فكان
يدافع عنها في كل قصائده ، ويذم البخل والبخلاء ، ولا يذكرهم بالخير
بعد الموت ، وهذا ما يخيف الانسان الجاهلي ، لانه يعيش من أجل
القيم الخيرة ، والاهداف الرفيعة ، فاذا احس بتجرده منها ، احس
بالموت والفناء (١٢) :

أما والذي لا يعلم الغيب غيرُه^{هـ} ويحيي العظام البيض وهي رميم
لقد كنت أطوي البطن والزاد يشتهي مخافة يوما ، أن يقال لئيم
وما كان بي ما كان، والليل منبس رواق له فوق الاكام بهيم
الفش بحلسي الزاد ، من دون صحبتي وقد آب نجم واستقل نجوم

فالكرم عند حاتم عادة تلازمه في حياته ، ولا يملك ان يتخلى
عنها (١٣) :

وقائلة أهلكت بالجود مالنا ونفسك، حتى ضرنفسك جودها
فقلت دعيني ، انما تلك عادتي لكل كريم عادة يستعيدها

وكان اذا جن الليل ، يوعز الى غلامه أن يوقد النار في بقاع
الارض ، لينظر اليها من أضله الطريق ، فيأوي الى منزله • وهو لا يكتفي

(١٢) الديوان ص ١٢٤

(١٣) الديوان ص ٦٣ •

بهذا فقط ، وانما يعد غلامه برد حرثته اليه اذا جلب ضيفا ، فيقول (١٤) :

أوقد فان الليل ليل قِـر
والريـح يا موقـد ، ريـح صرّ
عسى يرى نارك من يـمرّ
ان جلبت ضيفا ، فأنت حرّ

ومن الحق أن نقول ان عادة الناس اذا اشتهر أحدهم بأمر ، نسبوا اليه كل ما جرى من الاقاصيص المتعلقة بهذا الامر ، وفعلنا كان التاريخ يحفل بذكر كثير من هذه الحوادث ، ولكن ذلك لا يمنع من أن طبيعة الكرم كانت موجودة ، وانها كانت متميزة وواضحة المعانم ، وقد تبلغ حد الافراط عند جماعة من الناس ، كما وقع لاسرة حاتم الطائي ، لان العرب كانوا يفتبظون اذا ساقوا جميلهم الى من لا يتوقعون منه الاشادة به ، فالغاية الاولى عندهم البر بالمعوزين والذهاب بطيب الاحدوثة ، وحسن المقالة في الدنيا والآخرة . وهذا اول دليل على اصالة الكرم في نفوسهم .

فحاتم ورث الكرم من والدته التي كانت في الجود بمنزلة لا تدخر شيئا ، ولا يسألها احد شيئا فتمنعه ، وقد جمع الادب قصصا كثيرة عن كرم امه ، فمما روي انها كانت ذات يسار ، وكانت من اسخى الناس واقراها للضيف ، وكانت لا تمسك شيئا تملكه ، فلما رأى أخوتها اتلافها ، حجروا عليها ، ومنعوا مالها ، فمكثت دهرها لا يدفع اليها شيء منه ، حتى اذا ظنوا أنها قد وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من ابلها ، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها في كل سنة تسألها ، فقالت لها دونك هذه الصرمة ، خذها ، فوالله لقد عضني من الجوع ما لا امنع معه سائلا أبدا ، ثم انشدت تقول (١٥) :

لعمري لقدما عضني الجوع عضه فآليت ألا امنع الدهر جائعا
فقولاً لهذا اللائي اليوم اعفني فان انت لم تفعل فعض الاصابعا

(١٤) الديوان ص ٨٦

(١٥) الاصفهاني : الاغاني ٩٣/١٦ ساسي .

فماذا عساكم أن تقولوا لاختكم سوى عدلكم أو عدل من كان مانعا
وماذا ترون اليوم الا طبيعة فكيف بتركي يا ابن امي الطبايعا
وما تقوله بالنسبة لأمه ، تقوله بالنسبة لجده سعد بن الحشرج،
الذي نشأ حاتم في حجره ، والذي ذكرت قصص كرمه في كتب الأدب ،
وضربت به الامثال (١٦) .

أما أخباره على السنة الرواة ، فهي كثيرة ، تتجسد في تضاعيف
احاديثهم ، وتلمع في ثنايا كتبهم ، فمما رواه أبو الفرج (١٧) انه أقبل
ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان ، فلقوا حاتما ، فقالوا له:
اذا تركنا قومنا يشنون عليك خيرا ، وقد أرسلوا اليك رسولا برسالة ،
قال : وما هي ؟ فانشده الاسديون شعرا لعبيد ولبشر يمدحانه ، وأنشد
القيسيون شعرا للنابغة ، فلما انشدوه قالوا : انا نستحي أن نسألك
شيئا ، وان لنا حاجة قال : وما هي ؟ قالوا : صاحب لنا قد أرجل ، فقال
حاتم : خذوا فرسي هذه ، فاحملوا عليها صاحبكم ، فأخذوها وربطت
الجارية فلوها بثوبها فأفلت ، فاتبعته الجارية ، فقال حاتم : ما تبعكم
من شيء فهو لكم ، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .

وقال أبو الفرج (١٨) : كان حاتم يخرج طعامه ، فان وجد من
يأكله معه أكل وان لم يجد طرحه ، فلما رأى أبوه انه يهلك طعامه ،
قال له : الحق بالابل فخرج اليها ، ووهب له جارية وفرسا وفلوها ،
فلما أتى الابل ، طفق يبغي الناس ، فلا يجدهم ، ويأتي الطريق فلا يجد
عليه أحدا ، فبينما هو كذلك ، اذ بصر بركب على الطريق ، فاتاهم
فقالوا : يا فتى هل من قرى ؟ فقال : تسألوني عن القرى وقد ترون
الابل .

(١٦) نفس المصدر ٩٥/١٦

(١٧) الاصفهاني : الاغاني ١٠٤/١٦

(١٨) نفس المصدر ٩٤/١٦ ساسي

وذكر أبو الفرج^(١٩) رواية عن ماوية امرأة حاتم انها قالت : اصاب
اصابت الناس سنة ، فاذ هبت الخف والظلف ، فبتنا ذات ليلة وقد
اسهرنا الجوع ، فأخذ حاتم عديا واخذت سفانة ، وجعلنا نعللها حتى
نأما ، ثم أقبل عليّ يحدثني ويعللني بالحديث كي أنام ، فرققت له ، لما
به من الجهد ، فأمسكت عن كلامه لينام ، فقال لي : أنمت مرارا فلم
أجب ، فسكت ، فنظر في فتق الخباء ، فاذا شيء قد أقبل ، فرفع رأسه ،
فاذا امرأة ، فقال : ما هذا ، قالت : يا ابا سفانة : أتيتك من عند صبية
يتعاونون كالذئاب جوعا ، فقال : احضريني صبيانك ، فوالله لاشبعنهم ،
قالت : فقلت سريعا ، فقلت : بماذا يا حاتم ؟ فوالله ما نام صبيانك من
الجوع الا بالتعليل ، فقال : والله لاشبعن صبيانك مع صبيانها ، فلما
جاءت قام الى فرسه ، فذبحها ثم قدح نارا ، ثم أججها ، ثم دفع اليها
شفرة ، فقال اشتوى وكلي ثم قال : أيقظي صبيانك ، قالت : فأيقظتهم ،
ثم قال : والله ان هذا اللؤم ، تأكلون وأهل الصرم حالهم مثل حالكم •
فجعل يأتي الصرم بيتنا بيتنا ، فيقول : انهضوا عليكم بالنار • قال :
فاجتمعوا حول تلك الفرس ، وتقنع بكسائه ، فجلس ناحية ، فما
أصبحوا من الفرس على الارض قليل ولا كثير الا عظم وحافر ، وانه
لاشد جوعا منهم وما ذاقه •

وذكر التنوخي^(٢٠) ان رجلا سأل حاتما : يا حاتم ، هل غلبك أحد
في الكرم ؟ قال : نعم غلام يتيم من طيء نزلت بفنائنه ، وكان له عشرة
أرؤس من الغنم ، فعمد الى رأس منها فذبحه ، واصلح من لحمه ، وقدم
اليّ ، وكان فيما قدم اليّ الدماغ ، فتناولت منه ، فاستطبتّه ، فقلت :
طيب والله • فخرج من بين يدي ، وجعل يذبح رأسا رأسا ، ويقدم اليّ
الدماغ وانا لا اعلم • فلما خرجت لارحل نظرت حول بيته دما عظيما ،
واذا هو قد ذبح الغنم بأسره ، فقلت له : لم فعلت ذلك ؟ فقال :

(١٩) نفس المصدر ١٠٥/١٦

(٢٠) التنوخي : المستجد من فعلات الاجواد ٢٠٣

يا سبحان الله ، تستطيب شيئاً املكه فأبخل عليك به ، ان ذلك لسبب علي
العرب قبيحة ، قيل يا حاتم : فما الذي عوضته؟ قال : ثلاثمائة ناقة حمراء
وخمسمائة رأس من الغنم ، فقيل أنت اذن اكرم منه ، فقال : بل هو
أكرم ، لانه جاد بكل ما يملكه وانما جدت بقليل من كثير .

هذا ما حدثنا به المؤرخون ، أما في شعره ، فحاتم يوقد النيران
للضيفان ليلا ، ويبدل في سبيلهم كل نفيس ، وكلابه لا تهر في وجه
ضيوفه ، لان الكريم يستقبل ضيوفا كثيرين ، فيتعود كلبه رؤية الناس ،
وابله مربوطة أمام بيته لتكن جاهزة للعقر (٢١) :

اذا ما بخيل الناس هرت كلابه وشق على الضيف الضعيف عقورها
فاني جبان الكلب بيتي موطأ أجود اذا ما النفس شح ضميرها
وان كلابي قد أهرت وعودت قليل على من يعتريني هريرها
وما تشككي قدري اذا الناس أفلحت او ثقها طورا وطورا أميرها
وابلي رهن أن يكون كريها عقيرا امام البيت حين أثيرها
اشاور نفس الجود حتى تطيعني واترك نفس البخل لا استشيرها

وهو الى جانب كرمه وجوده بطل من الابطال ، لا تقل بطولته في
الحرب عن بطولته في العطاء ، وهو يقرن في شعره الكرم بالشجاعة ،
لانها صفتان متلازمتان في نفسه ، فيتحدث عن قرى الضيف في ثنايا
حديثه عن الطعن والقتال (٢٢) :

اذا مات منا سيد قام بعده نظيره له يعني غناه ويخلف
واني لا قري الضيف قبل سؤاله واطعن قدما والأسنة ترعف

ومن اول مظاهر فروسيته وبطولتها تركه لوارثه بعد موته قدرا
من المال لا يوصف بالكثرة ولا بالقلّة ، وفرسا ضامرا كالغنّان في ادماجه

(٢١) ديوان حاتم ص ٩٢

(٢٢) حماسة ابن الشجري ص ١٥ والبيت الاول في حماسة

أبي تمام ١٢١/١

وضمره ، وسيقا قاطعا اذا حرك في الضريبة لم يرض بالقطع ، ولكن يتجاوزه ويخرج الى ما وراءه ، ورمحا اسمر في لونه ، وذلك اصلب ، محمولا من الخط ، لم يكن طويلا ولا قصيرا حتى لا يكون مضطربا ولا قاصرا ، بل يجري مع الاعتدال . وتلك عدة الفارس الجاهلي ، وسبب وجوده ، فمتى ما حصل عليها ، ومتى ما ادخرها ، كان مطمئن البال مرتاح الضمير ، لانه ملك وسيلة الحياة (٢٣) :

متى ما يجيء يوم الى المال وارثي يجد جمع كف غير ملأى ولا صفر
يجد فرسا مثل العنان وصارما حساما اذا ما هز لم يرض بالهبر
واسمر خطيا كأن كعوبه نوى القسب قد اربى ذراعا على العشر
ويتردد هذا المعنى في قصائده ، ويعيده في غير هذه الابيات
فيقول (٢٤) :

سأدخر من مالي دلاصا وسابحا واسمر خطيا وعضبا مهندا
وذلك يكفيني من المال كله مصونا اذا ما كان عندي متلدا
اما مروءة حاتم فهي جانب واسع من جوانب حياته ، لانها جزء
يكمل فروسيته ، ويضفي عليها طابع الفروسية الخلقية التي لونت
الفروسية الحربية . فمما تحدثنا به الاخبار والقصائد التي تناثرت في
ديوانه نستدل على الوحدة القوية التي تلم جوانب المروءة ، وتجمع
القيم الخيرة التي ترفع حاتما الى المكان اللائق بهذه الصفات ، وتجعل
منه علما من اعلام المروءة العربية الاخاذة . فالمال عنده لا يستعبد
صاحبه ، وانما هو وسيلة لفك العاني ، يعطى لمن يستحقه ليستعمله في
المواضع التي تستأهل الصرف (٢٥) .

اذا كان بعض المال ربّا لاهله فاني بحمد الله مالي معبد
يفك به العاني ويؤكل طيبا ويعطى اذا منّ البخيل المطرد

(٢٣) أبو تمام : الحماسة . شرح المرزوقي ٤/١٧٨٦

(٢٤) الديوان ص ٥٨

(٢٥) الديوان ص ٤٨

والمال عنده وقاية للعرض ، لانه فان لا يدوم لاحد (٢٦) :
 ذريني يكن مالي لعرضي جنة يقي المال عرضي قبل ان يبددا
 وهو لا يكسب المال بالعدر ، لانه يكون شؤما على صاحبه (٢٧) :
 ولا اشترى مالا بغير علمته الا كل مال خالط العدر انكدا
 وحاتم محافظ على تقاليد الاخوة ، راع لحقوقها واصولها ، وهو
 غفيف لا يقصر عن غاية النجدة والكرم ، ولا يقعد به العجز أو الجبن
 عن تلبية نداء من يستعين به (٢٨) .
 الله يعلم أنني ذو محافظة ما لم يخني خليل يتغي عللا
 فان تبدل ألقاني اخا ثقة عف الخليفة لانكسا ولاوكلا (٢٩)
 ونصرة حاتم لآخيه لم تكن اعتبارا ، وانما هي نصرة قائمة على
 الحق ، فاذا ما احس الظلم يقع على آخيه ، قام بالسيف ليرفع عنه
 الظلم (٣٠) :

سأنصره ان كان للحق تابعا وان جار لم يكثر عليّ التعطف
 وان ظلموه قمت بالسيف دونه لانصره ان الضعيف يؤتف
 واني لمجزي بما أنا كاسب وكل امريء رهن بما هو متلف
 ويتسع مفهوم المروءة عنده ، حتى ليفرض على نفسه ان لا يقتل
 واحد امه ، ولا يأسره ، وفي هذه الاعمال تتجسد المروءة عنده وتبلغ
 ذروتها (٣١) :

أماوي ، اني رب واحد أمه اجرت فلا قتل عليه ولا أسر

-
- (٢٦) الديوان ص ٥٦
 (٢٧) البحري : الحماسة ٢٠٩
 (٢٨) البحري : الحماسة ٨٤
 (٢٩) الخليفة : الطبيعة . النكس : المقصر عن غاية النجدة والكرم .
 الوكل : البليد العاجز .
 (٣٠) ديوان حاتم ١٠٣
 (٣١) نفس المصدر ٧٢

ومما روي من اخبار حاتم^(٣٢) ان ابا جُبيل عبد قيس بن خفاف
البرجمي آتاه في دماء حملها عن قومه ، فاسلموه فيها ، وعجز عنها ،
فقال : والله لآتين من يحملها عني ، وكان شريفا شاعرا ، فلما قدم عليه
قال : انه وقعت بيني وبين قومي دماء فتواكلوها ، واني حملتها في مالي
واملي ، فقدمت مالي ، وكنت املئ ، فان تحملها فرب حق قد فضيته ،
وهم قد كفيته ، وان احال دون ذلك حائل لم اذمهم يومك ، ولم أياس
من غدك ، ثم انشأ يقول :

حملت دماء للبراجم جمّة فجتتك لما اسلمتني البراجم
وقالوا سفاهاً لم حملت دماءنا فقلت لهم يكفي الجمالة حاتم^(٣٣)

فقال له حاتم : ان كنت لأحِب ان يأتيني مثلك من قومك ، هو
ذا مرباعي من الغارة على بني تميم ، فيخذه وافرا ، فان وقي بالحمالة
والا اكملتها لك ، وهو مائتا بعير سوى بنيتها وفصالها ، مع اني لا احب
أن توبس قومك باموالهم ، فضحك ابو جيبيل وقال : لكم ما اخذتم
منا ، وانا ما اخذنا منكم ، واي بعير دفعته الي ليس ذنبه في يد
صاحبه ، فانت منه بريء ، فدفعها اليه وزاده مائة بعير ، فاخذها
وانصرف راجعا الى قومه فقال حاتم في ذلك •

اتاني البرجمي ابو جيبيل لهم في حمالته طويـل
فقلت له خذ المرباع رهوا فاني لست ارضى بالقليل

بهذه الخصال الحميدة وفق حاتم في فروسيته ، لانه أحاطها بجميع
الفضائل ، وأحكمها بسياج من النبل ، فكانت أحاديثه وأعماله غورا
تقلد جيد الاحاديث ، ومدعاة للترحم عليه • وما حديث ابنته سفانة
عندما حضرت مع سبايا طي مجلس رسول الله (ص) الا دليل على
شيوخ اخباره^(٣٤) ، لان حاتم جمع صفات المؤمن وكان يحب مكارم

(٣٢) ذيل الامالي والنوادر ص ٢١ •

(٣٣) القصيدة موجودة كاملة في المصدر نفسه •

(٣٤) الاصفهاني : الاغاني ٩٣/١٦ ساسي •

الاخلاق • وكان الله يحب هذه المكارم •

وكلمة اخيرة اقولها في شعر حاتم ، هذا الشعر الذي يجب ان يقرأ بتحفظ وحيطة ، لما رافق هذا الشعر من الاضطراب والنقلق • وطبيعي ان تنسب الى حاتم ابيات جهل قائلوها ، او قصائد لم يعرف أصحابها ، وخصوصا اذا كانت تعالج الغرض نفسه الذي اشتهر به حاتم ، كمدح الجود والكرم • وما يقال في الشعر يقال في الاخبار والروايات والاساطير التي نسجت حوله ، على أن هذه الاخبار والروايات والاساطير التي اضيفت عن قصد او عن غير قصد ، ليست سوى صدى لما استقر في نفوس الناس الذين رأوا فيه بطلا من أبطال الفروسية في التاريخ العربي ، ومثالا نادرا من امثلة الكرم ، يجري ذكره على كل لسان ويتردد اغنية عذبة على شفاه الشعراء •
فقد ذكره اوس بن حجر فقال (٣٥) :

فان تنكحي ماوية الخير حاتما فما مثله فينا ولا في الاعاجم
فتى لا يزال الدهر اكبر همه فكالكاسير او معونة غارم

وعندما سار ابن مفرع واتى الاهواز ، سأله القوم عن عبيد الله ابن ابي بكر ، وكيف هو واخلاقه وجوده قال (٣٦) :

يسائلني اهل العراق عن الندى فقلت عبيد الله حلف المكارم
فتى حاتمي في سجستان رحنه وحسبك جودا ان يكون كحاتم

وبعد فقد عاش حاتم على هذا المنوال ، فارسا من فرسان الكرم العربي ، وصفحة مشرقة من صفحات المروءة العربية ، وصانعا خيرا من صناع المجد العربي •

(٣٥) ديوان اوس بن حجر ص ١٢٥

(٣٦) التنوخي : المستجد من فعلات الاجواد ٩٥

الفصل الثالث

عروة والاشتراكية

لعلي لا آكون مغاليا اذا قلت ان عروة بن الورد كان من أكثر الشعراء الجاهليين اهتماما لدى المؤرخين ، كما كان احبهم الى قلوبهم ، واقربهم الى نفوسهم ، لطبيعته الانسانية الرفيعة ، وسلوكه الخلقي النبيل الذي رفعه الى مستوى انساني عال ، فكان مثالا حيا من امثلة التضحية والايتار ، ونموذجا من نماذج الكرم العربي .. ولعلي لا اكون مغاليا اذا قلت : ان عروة بن الورد قد استأثر دون غيره من الشعراء - بصفة لم تنتهيا لغيره منهم ، لازمته ملازمة قوية ، واصبح لا يُعرف الا بها ، تلك الصفة التي أطلق عليها المؤرخون الاشتراكية تجوزا .

ولا اريد مناقشة هذه الصفة الملازمة التي عرف بها عروة من الناحية النظرية والعلمية ، لان ذلك يستدعي دراسة مستفيضة لمفهوم الاشتراكية وتطورها ، وظروف نشأتها وانواعها ، ومدى دلالتها لدى كل فئة تنادي بها ، والتطبيق العلمي لدى هذه الفئات ، لان البحث في هذا المجال يؤدي الى جوانب عرضية بعيدة عن جوهر البحث .

ولكنني ساكتفي بعرض بسيط لما تعارف عليه الناس حول المفهوم الاشتراكي حديثا ، ومدى علاقته بالنسبة للمفهوم الاشتراكي الذي

اطلقه المؤرخون على هذا الشاعر ، مستندين الى ما رسمه لنا عروة في سلوكه وبطولته وشعره ، وبذلك نكون قد وضعنا عروة بن الورد الموضوع الملائم له ، والمناسب لظروفه التاريخية التي عاشها .

وقد علل هؤلاء المؤرخون دعوة عروة، ونشوء حركة الصعاليك، بانها احتجاج على التمييز الطبقي ، وسرء توزيع الثروة ، كما انها كانت تستهدف مساعدة الفقراء والمعدمين ، وتتوعد اصحاب الثروات الطائلة الذين جمعوا هذه الثروة بطرق غير مشروعة ، لذلك فهي قريبة الى الاشتراكية ، او مظهر من مظاهرها الواضحة . هذه هي الاسس التي استند عليها المؤرخون ، وهذه هي المفاهيم التي عللوا بها دعوة هذا الشاعر ، ودعوة هذه الفئة من الناس .

والواقع ان جميع الذين كتبوا عن اشتراكية عروة ، او عروة الاشتراكي ، كانوا متأثرين الى حد كبير بالنظريات الاشتراكية الحديثة التي سادت العالم في الفترة الاخيرة ، فنظروا الى اعمال عروة التي لم يشترك بها وحده ، بمنظار النظريات الحديثة ، ووجدوا في أعماله تبريرا لهذه التسمية التي تحمل نوعا من وضع المصطلحات في غير موضعها .

فلاشتراكية بكل مظاهرها الحديثة ، ونظرياتها المختلفة ، تخطيط علمي دقيق ، ومنهج لتحقيق العدالة الاجتماعية ، واثارة الابداع والارتفاع بكرامة الانسان الى المستوى اللائق ، واعادة الاوضاع الى سويتها ، كما انها تسعى الى خلق جو من المساواة بين ابناء الامة الواحدة ، في امكاناتهم وظروفهم ، وتحاول القضاء على استغلال الانسان لاخيه الانسان ، والوصول به الى مجتمع متحرر ، تخضع فيه جميع وسائل الانتاج لمصلحة الانسان نفسه ، وتسخر في سبيل المجموع .

والاشتراكية حسبما يتضح من مفهومها ، نظام يحل محل نظام قائم بعد ازالته ، نتيجة ثورة جذرية ، او تغيير في اسلوب الحكم ، او

انتقال من مرحلة الى مرحلة اخرى ، والعصر الجاهلي لم يتمخض عن نظام سابق ، وانما كان استمرارا لنظام قبلي ساد الجزيرة قرونا عدة . والمجتمع الجاهلي لم يكن مجتمعا رأسماليا ، او صناعيا ، حتى يمكن ان يظهر فيه نوع من الاشتراكية . وانما كان مجتمعا بسيطا ، لم تتعد مشاكله التعقيد الذي يساعد على ظهور هذه النظرية او غيرها من النظريات . وبعد فالاشتراكية نظرية يقوم عليها تنظيم مجتمع معين ، وتهدف الى اغراض تتعلق بوسائل الانتاج واستملاكها وادارتها ، وفي كل هذا نجد ان العصر الذي عاشه عروة ، لم يملك من مقومات الحياة التي ظهرت فيها هذه النظرية شيئا . فالتاريخ العربي كان يسجل صراعا مع ظروف الحياة لا صراعا بين الطبقات . ومن هنا لم تكن مشاركة عروة للفقراء مرحلة من مراحل النمو الاقتصادي ، ولا نظاما للانتاج والتوزيع ، وانما هي ادراك عميق للظروف الانسانية الملحة التي كانت تعانيها فئة من الناس ، وهي بالتالي وسيلة من الوسائل التي سلكتها هذه الفئة ، لحض الجهود الفردية للعمل ، والدعوة الى التخفيف عما تعانيه هذه الفئة ، وهذا تقييم للمعاني الانسانية الابداعية التي تجلت واضحة في الذهن العربي ، وامتزجت بحضارته ، فكانت دليلا على الشرائع العربية ، ونباهة الانسان العربي ، الذي احس بمسؤولية الدور الذي فرضته عليه طبيعة الحياة آنذاك ، ثم هي رمز لاثار هذا الانسان الابداعية التي عكست لنا المستوى الخلقى الرفيع الذي عاشته الاجيال العربية .

فسلوك عروة في هذا المجال كان سلوكا طبيعيا ، مستندا على الشرائع الخيرة التي عاشها الانسان العربي .

ومشاركة عروة للفقراء كانت تقوم على المفاهيم البسيطة التي تعارف عليها الناس في عصره ، نتيجة عوامل غير العوامل التي انبعثت منها الاشتراكية الحديثة . كما ان القضايا التي تعالجها الاشتراكية في العصر الحديث قد تعقدت ، واصبحت قائمة بذاتها ، لها حلولها

المستوحاة من مستحدثات العصر ، ومن متطلباته وظروفه ، اما مشاركة عروة وفلسفته بالذات ، فهي مستحدثة من طبيعة ذلك العصر وظروفه ، وهي ميزة لا يكاد ينفرد بها عروة وحده ، وانما هي الطبيعة العربية التي يشاركه فيها عامة العرب ، وكما كان عروة كان حاتم الطائي ، وكان دريد بن الصمة ، وكان الطفيل الغنوي ، وكان غيرهم من الفرسان المشهورين في كرمهم وعفتهم ، ومشاركتهم الناس في مشاكلهم ، ولكن الذي ميز عروة عن غيره هو محاولته تطبيق ذلك السلوك بدقة ، والمحافظة عليه ، والسعي به للوصول الى منزلة متميزة عن الغير لتوضيح معالمة .

وانما اذ نتحدث عن عروة ، فانما نتحدث عن معاناة مخلصه ، عاشها الشاعر الجاهلي ، وهو يتألم للمجموعة البشرية التي كانت تضيق باوضاع اقتصادية غير عادلة ، ونظم اجتماعية تلوح في جوانبها انقوضي ويسودها الاضطراب .

فمشاركة عروة كانت تقوم على توزيع الطعام للمحتاجين ، واشراكهم فيه ، حتى اذا امتلأ كأسه ، وطرقه انسان ، وجد ذلك مهينا له ، يشاركه فيه ، قل او كثر . ومشاركته قائمة على صلة الارحام ، واعطاء السائل ، وذوي القربى ومن تجب ضيافته .

وهو بعد هذا لا يكتفي بذكر مناقبه هو ، وانما يحاول جاهدا ان يضع يده على العلل التي كانت تتمثل في طائفة من ابناء قومه لاستئثارهم بانفسهم وحدهم ، فيشبعون ويجوع حولهم العشرات . بهذا المفهوم كانت تتمثل مشاركة عروة ، وعلى هذه الخطوط رسم أهدافه وسلوكه في الحياة .

ولا نريد بقولنا هذا ان نقلل من شأن هذا السلوك الخير الذي سلكه عروة ، ولكن طبيعة البحث تدفعنا الى وضع المقاييس الملائمة لكل عصر بما يتناسب مع ذلك العصر ، حتى لا نظلم عصرا بمقاييس عصر بعيد كل البعد عنه .

لقد تمثلت حياة المشاركة بصورة جلية في حياة الفقراء من الناس، الذين أُطلق عليهم لقب الصعاليك، لشعورهم بالبؤس، ونقمتهم على البخلاء، ورغبتهم في توزيع المال بين الناس بالقوة اذا اقتضى الحال، وتتجلى قوة نفوس هذه الطائفة من الناس في استهانتهم بالحياة في سبيل الوصول الى الغاية التي يسعون اليها^(١) :

دعيني اطوف في البلاد لعلمي افيد غنى، فيه لذي الحق محمل^(٢) .
أليس عظيما أن تلم ملامة^٣ وليس علينا، في الحقوق معول
فان نحن لم نملك دفاعا بحادث تلم به الايام، فالموت اجمل

فهم يحاولون أن يحققوا لهم مكانة في هذا المجتمع الذي يحتقرهم، ويستهن بهم عن طريق فرض انفسهم بالقوة عليه، وبما لهم من مآثر وامجاد . فهم فقراء، ولكن الفقر لم يقعد بهم عن ادراك المجد، وهم شجعان لهم انفة وقوة وفتوة، وهم بعد كل ما تقدم يملكون الرغبة الملحة في تحدي الاقوياء، والعطف على الضعفاء .

وعروة بن الورد كان زعيم هذه الطائفة، وهو انسان كلف بهؤلاء الضعفاء والمساكين، يجب لهم ما يجب لنفسه، وقد استبدت به هذه النزعة، حتى انه كان يؤثر الموت، على الحياة البائسة المعدومة، لاعتقاده بان الفقر ينزع الحب من قلوب الناس .

وقد جسد عروة الفقر في نفوس اهله تجسيدا رائعا، وصور حالة هذه الطائفة من الناس، وهوان منزلتها في ذلك المجتمع تصويرا حيا^(٣) :

دعيني للغنى اسعى فاني رأيت الناس شرهم الفقير
وابعدهم واهونهم عليهم وان امنى له حسب^٤ وخير^(٤)

(١) ديوان عروة ص ٣٩ .

(٢) الحق : الحزم . المحمل : الجهد .

(٣) ديوان عروة ص ١٦ .

(٤) الخير : الشرف .

ويقصيه الندي ، وتزديريه ، حليلته وينهره الصغير
ويلفي ذو الغنى ، وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه ، والذنب جم ولكن للمغنى رب غفور

كما رسم لنا مشاعر الناس تجاه هذه الظاهرة فقال (٥) :

المال فيه مهابة وتجلة والفقر فيه مذلة وفضح

ولهذا فقد كان عروة يطوف البلاد ليكسب المال الذي يستطيع
بذاه لمن هو بحاجة اليه ، فاذا لم يستطع تحقيق ذلك الهدف ، كان
الموت عذره (٦) :

اذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه شكوا الفقراء او لام الصديق ، فاكثرا
وما طاب الحاجات من كل وجهة من الناس الا من اجد وشبرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش اذا يساره ، او تموت فتعدرا

ومن اجل هذا سلك هذا المسلك ، حتى لا تنقطع صلاته بالحياة
المليئة بالتعاطف والتكاتف ، وحتى لا يعيش وحده في رزق ضيق
محدود ، فهو لا يعرف الحياة الا بمشاركته لغيره فيما يعاينه ، وهو
لا يلتذ بمظاهرها الا اذا عمت هذه المظاهر أكبر مجموعة من المحتاجين .

وقد اتخذ عروة بن الورد منهجا خاصا له ، حاول ان يطبقه في كل
تصرفاته ، ويتلخص هذا المنهج بتمرده على البخلاء ، وعطفه على
المظلومين ، ومقاسمته لآلامهم التي يعانونها ، وبؤسهم الذي يقاسونه ،
ولم يكن تمرده تمردا اعتباطيا ينزع الى الفوضى والاعتداء ، وانما كان
وسيلة لغاية انسانية ، وكانت ثورته على الاوضاع القائمة تستند على
طريق عادل ، سعى اليه بكل ما يستطيع ، وحاول تطبيقه بكل ما يملك ،
وقد تجلت هذه الغاية برفع الظلم عن هذه الفئة من المظلومين ، وحماية
الضعفاء من تسلط الاقوياء ، فهو يحاول ان يتعرف على الاغنياء ، فمن

(٥) الديوان ص ٣٢

(٦) الديوان ص ٤٣

وجده منهم بخيلا غزاه ، ومن وجده كريما تركه ، وكان يتسقط اخبار
البخلاء ، ويبعث عليهم العيون ليشد اليهم الرحال •

فقد زعموا ان عروة مكث بعد قوله « أليس ورائي أن ادب على
العصا » ما شاء الله ، ثم بلغه من رجل من بني كنانة بن خزيمه انه ابخل
الناس ، واكثرهم مالا ، فبعث عليه عيوونا ، فأتوه بخبره ، فشد على ابله
فاستاقها ، ثم قسمها في قومه فقال عند ذلك (٧) :

ما بالثراء يسود كل مسود مشر ولكن ، بالفعال يسود
بل لا اكاثر صاحبي في يسهه واصد اذ في عيشه تصريد
فاذا غنيت ، فان جاري نيله من نائلي ، وميسري معهود
واذا افتقرت ، فلن ارى منحشعا لآخي غنى ، معروفه مكدود

وهكذا انطلقت دعوة عروة في اوساط المجتمع الجاهلي ، فاستجاب
لها الكثيرون ممن يشعرون بنفس هذا الشعور ، ويدركون المساويء
الاجتماعية السائدة في ذلك المجتمع ، وظلت اصداء هذه الدعوة القوية
تتجاوب في جوانب الجزيرة العربية •

فمشاركة عروة في هذا المجال كانت مشاركة عملية ، لانه كان
يشعر بالناس اكثر مما يشعر بنفسه ، ولانه حمل عبء الفقراء في قبيلته ،
والى على نفسه ألا يستريح حتى يجدوا كفايتهم ، فألف منهم فرقة
تعمل معه ، وتسعى سعيه ، واطلق عليها اسم العيال ، لانه يعولهم
ويقوم على اطعامهم ، ويبنى لهم الحظائر التي يقيمون فيها ، ويغزو
باشدائهم اعداءه واعدائهم ، ويوزع عليهم ما يكسبه من غزو هؤلاء •
ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح (٨)

ومن هنا جاءت شهرة عروة ، وبرزت شخصيته ، لما اشتملت عليه

(٧) الديوان ص ٣١

(٨) الديوان ص ٢٠

هذه الشخصية من آداب انسانية ، و اخلاق كريمة ، و روح مشاركة لم تعرف التكلف ، ولم تتصنع الكرم . وقد تجلت هذه الصفات في كل ما كان يصنعه من احسان ، و يبذله من عطف ، و تمثلت افضل تمثيل في طريقة حياته ، و معاملته لهذه الجماعة التي عاشت معه .

وعروة بعد هذا رجل العطاء و انجود ، يفخر بهما في غير تبجح ، وهو رجل المشاركة الساذجة ، المرتكزة على محبة الغير ، و الحذب على البائسين . فهو من ارفع الصعاليك نفسا ، لانه كان يعيش لغيره اكثر مما يعيش لنفسه ، و ما فخره الا اعتراف بما يعمل ، و بما يرى ، و بما يفرضه عليه هذا النمط من الحياة ، وهو تعبير طبيعي عن النفس الجاهلية في اقرب حالاتها الى العظمة .

وعروة في كل هذه الصفات ، كان يعبر عن نفس كبيرة ، و مثل سامية ، كانت تنحو منحى النبل الخلقى الذي كان يرتقي الى درجات رفيعة من درجات الفروسية العربية ، و قد بلغ به الايثار و الشفقة انه كان يعطي لمن يقعد عن الغزو بسبب المرض او الضعف مثل ما يأخذه هو لنفسه ، و بهذا نستطيع أن نقول ان سلوكه كان قائما على مجموعة من التقاليد الاجتماعية ، النابعة من مبادئ طبيعته ، و ظروفه التي تأثر بها ، لذا فقد كان عروة بن الورد من الدعاة الحقيقيين لهذا السلوك ، سواء اكان في شعره ، او تصرفاته مع الآخرين .

على ان هذا السلوك الاجتماعي الخير الذي لمع في حياة هذا الانسان العربي لم يكن مقتصرا على جانب واحد من الفروسية ، و انما شمل الجانب الآخر منها ، و المتمثل في البطولة و الشجاعة ، فكان عروة يجب المغامرة ، و لا يخشى الموت ، فقد روي ان الناس اصابتهم سنة فاجدبوا ، و اهلكت اموالهم ، و اصابهم جوع شديد ، و وبؤس ، فأتوا عروة ، فجلسوا امام بيته ، فلما بصروا به ، صرخوا و قالوا : يا أبا الصعاليك ، اغشنا . فرق لهم ، و خرج ليغزو بهم ، و يصيب معاشا ، فنهته امرأته عن ذلك لما تخوفت عليه من الهلاك فعصاها ، و خرج

غازيا وفي ذلك يقول (٩) :

ارى أم حسان الغداة ، تلومني تخوفني الاعداء والنفس أخوف
لعل الذي خوفتنا من اماننا يصادفه ، في اهله ، المتخلف
فاني لمستاف البلاد بسربة فمبلغ نفسي عذرها ، او مطوف

كما تحدث عن السلاح ، ورسم لاصحابه الصور الرائعة لهم ، وهم
يخوضون معترك الحياة القاسية ، وهو لا يجد في حياته شيئا يتركه
لوارثه غير الدرع والمغفر ، والسيف والرمح والفرس ، مدلا بذلك على
فروسيته ، ومؤكدا على ان هذه الوسائل هي السبيل الوحيد الى ادراك
المجد في حياة الانسان الجاهلي ومماته :

وذي أمل يرجو ثرائي وان ما يصير له منه غدا لقليل
ومالي مال غير درع ومغفر وايض من ماء الحديد صقيل
واسمر خطي القناة مثقف واجرد عريان السراة طويل

وتلوح مقدرته قائدا حريبا في رسم الخطط الدقيقة التي تضمن
له ولجماعته الفوز باقل تضحية واكثر غنيمة ، ليشق طريقه نحو الحياة
بالقوة ، وليستطيع ان يفرض نفسه فيها ، وليتمكن من ائزاع لقمة
العيش من ايدي هؤلاء الذين حرموهم من وسيلة الحياة ، بسلوكة
الطرق المخوفة ، وقطعه المسالك الكثيرة (١٠) :

وغبراء بخشي رداها ، مخوفة اخرها ، باسباب المنايا مفرر
قطعت بها شك الخلاج ولم اقل لخيابة ، هيابة ، كيف تأمر

فقد أصبح حب المغامرة عنده وعند هذه الفئة وسيلة ، غايتها
تحقيق النزعة الانسانية التي اتصف بها ، وهو مع ذلك يعلم ان الموت
يكمن له في كل ثغر ، وعند كل ثنية ، ولكن ذلك لا يمنعه من السير في

(٩) الديوان ص ٢٢

(١٠) الديوان ص ٤٧

الطريق الذي رسمه لنفسه (١١)

ألم تعلمي يا أم حسان انني خليطاً زيال ليس عن ذلك مقصر
وان المنايا ثغر كل ثنية فهل ذلك عما يتبغي القوم محصر؟
وغاراته لم تكن معينة ، وحقل غزواته لم يكن محدوداً ، فهو
يغير يوماً على نجد ، ويوماً على اهل الجبل (١٢)

فيوماً على نجد وغارات اهلها ويوماً بارض ذات شت وعرع
وعروة بعد تضحياته هذه لم يكن يقابل من اصحابه بمثل ما كان
يقابلهم به ، فهو يسعى بنفسه ، ويجود بها في سبيل تحقيق الطعام لهم
ولعوزيهم ، ولكنهم مع هذا يتنكرون له ، ويحاسبونه محاسبة دقيقة
عند توزيعه الغنائم ، ومما يذكر في ذلك ما رواه صاحب الاغانى (١٣) .

ان الناس اصابتهم سنة شديدة تركوا في دارهم الكبير والمريض
والضعيف ، وكان عروة بن الورد يجمع اشباه هؤلاء من دون الناس من
عشيرته في الشدة ، ويحفر لهم الاسراب ويكنف عليهم الكنف (١٤)
ويكسبهم (١٥) ، ومن قوي منهم - اما مريض ييراً من مرضه ، او
ضعيف تثوب قوته - خرج به معه فاغار ، وجعل لاصحابه الباقين في
ذلك نصيباً ، وذات يوم قيض له وهو في ماوان (١٦) رجل صاحب مائة
من الابل قد فر بها من حقوق قومه - وذلك اول ما البن الناس -
فقتله واخذ ابله وأمرأته ، وكانت من احسن النساء ، فأتى بالابل
اصحاب الكنيف فحلبها لهم وحملهم عليها ، حتى اذا دنوا من عشيرتهم

(١١) الديوان ص ٥٦

(١٢) الديوان ص ٣٠

(١٣) الاصفهاني : الاغانى ٧٨/٣ دار الكتب

(١٤) يكنف عليهم الكنف : يتخذ لهم حظائر يؤويهم اليها ،

واحدھا « كنيف » .

(١٥) يقال كسب لاهله : طالب المعيشة .

(١٦) ماوان : واد فيه ماء فيما بين النقرة والربذة .

أقبل يقسمها بينهم ، واخذ مثل نصيب احدهم ، فقالوا : لا واللات
والعزى لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيبا فمن شاء اخذها ، فجعل يهم
بأن يحمل عليهم فيقتلهم ، وينتزع الابل منهم ، ثم يذكر انهم صنيعته
وانه ان فعل ذلك افسد ما كان يصنع ، فافكر طويلا ثم اجابهم الى أن
يرد عليهم الابل الا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله ، فأبوا
ذلك عليه ، حتى اتدب رجل منهم فجعل له راحة من نصيبه (١٧) .

والحكاية توضح لنا الطريق الذي اتجهه هذا الرجل ، وعلى
ايمانه به ، فهو يؤمن بان هؤلاء صنيعته ، وانه لا يريد ان يعمل عملا
سيئ اليهم فيفسد كل صنيعه الذي قدمه لهؤلاء ، وارتضى لنفسه كل
ما فرضوه عليه واوجبه . وهو بهذا يرسم لنا اروع صورة من صور
التضحية النادرة . الصورة التي يقف امامها الانسان بكل اجلال ،
ليدرك قيمة هذا الانسان الذي احس بكل جوارحه بالام البشر الذين
وقعوا تحت غائلة الجوع فعركهم وآذاهم .

وبعد ، فقد بقيت احاديث عروة تذكر بكل اجلال وتعظيم ، وظلت
مناقبه حديث كل مجلس ، حتى ان عبد الملك بن مروان قال : من زعم ان
حاتما اسمح الناس ، فقد ظلم عروة بن الورد (١٨) . نعم من زعم ذلك
فقد ظلم عروة ، لانه كريم ، ولانه سمح ، فقد كان يجهد نفسه ويتعبها
لاجل مشاركة الناس له في زاده وانائه ، في وقت تشتد فيه المجاعة ،
وينتشر الناس في أطراف الصحراء يبحثون عن الطعام . نعم من قال
ذلك فقد ظلم عروة ، لانه رجل آمن بهذا السلوك فكان انسانا سمحا
وهوبا . وكما تحدث عنه عبد الملك ، فقد تحدث عنه معاوية بحديث
يلمس منه الاعجاب ، وقبل أن انهي الحديث عن هذا الشاعر لا بد أن
أشير الى ظاهرة تلفت النظر في شعر عروة . وهذه الظاهرة تبدو في

(١٧) لم تنته القصة عند هذا الحد ، ومن اراد تكملتها فليرجع

اليها في الاغاني ٨٠/٣

(١٨) الاصفهاني : الاغاني ٤٧/٣ دار الكتب

الآيات التي تكثر فيها المعاني التي تعارف الناس على أنها معانٍ اختص بها عروة ، فكانت تضطرب نسبتها إليه ، فالآيات التي أولها (١٩) :

إذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح عليه ، ولم تعطف عليه أقاربه (٢٠)

تسب في حماسة أبي تمام (٢١) والأغاني (٢٢) إلى أبي النشاش ، وهو أموي ومن لصوص تميم ، كما أن الآيات (٢٣) :

فراشي فراش الضيف ، والبيت بينه ولم يلهمني عنه غزال مقنع (٢٤) أحدثه ، أن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

تسب إلى عتبة بن بَجير في حماسة أبي تمام (٢٥) مع تغيير في الشطر الأول (٢٦) وقيل لمسكين الدارمي (٢٧) .

ومع هذا فإن الشعر الذي وصل إلينا لعروة ، يكفي لتوضيح معالم حياته ، وإبراز شخصيته ، ورسم طريقته في الحياة التي بنى عليها جميع تصرفاته ، كما أن الذي يظهر لنا من دراسة هذه القصائد ، هو أن الشاعر كان يدعو إلى الاجتهاد في نيل الغنى ، والوصول إلى الحد المعين ، حتى لو أدى هذا الطريق إلى الموت ، فإن الموت يصبح مريحاً يهيء العذر لمثل هذه الميتة . والمجتهد في طلب الشيء ، إذا حال أجله دون أمله ، فقد أعذر لأنه فعل ما كان واجبا عليه ، وأما إذا أدرك مناه ، فهذا

(١٩) ديوان عروة ص ١٧

(٢٠) السوام : الماشية والأبل الراعية . يرح عليه : أي ترد أبله إلى مراجعها .

(٢١) ج ١ ص ٣١٧

(٢٢) ج ١١ ص ٤٢-٤٣

(٢٣) ديوان عروة ص ٤٠

(٢٤) لـغزال المقنع . المرأة الحسناء

(٢٥) ج ٤ ص ١٧١٩

(٢٦) لحافي لحاف الضيف الخ . . .

(٢٧) أبو تمام : الحماسة ٤/١٧١٩ شرح المرزوقي .

ما كان يسعى اليه ، وهو في الحالين ناجح في مهمته مصيب في مبتغاه (٢٨)
وقلت لقوم ، في الكنيف ، تروحووا عشية بتنا عند ماوان ، رزح (٢٩)
تنالوا الغنى ، أو تبلغوا بنفوسكم الى مستراح من حمام مبرح
ليبلغ عدرا ، او يصيب رغبة ومبلغ نفس ، عذرها مثل منجح
وهذا المعنى يتردد في شعر عروة كثيرا ، ففي حديثه عن الصعلوك
الشجاع يصف اشراق وجهه بالضوء المشع ، وهو يبذل جهده في طلب
مناه ، ويقصر سعيه على ما يبلغ به عذره ، فيشرق على اعدائه غازيا مغيرا
وهم يزجرونه ، فيكر عليهم وقتا بعد وقت ، ولا يقعد عن طلب الأعداء
والاغارة عليهم ، والنيل منهم ، وهم يعدون به ما يعدون من وسائل
الموت ، حتى اذا ادرك الموت ، لقيه محمودا لانه فعل ما يجب عليه ان
يفعله (٣٠) :

ولكن صعلوكا ، صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتثور
مطلا على اعدائه يزجرونه بساحتهم ، زجر المنيح المشهور (٣١)
اذا بعدوا لا يأمنون اقترابه تشوق اهل الغائب ، المنتظر
فذلك ان يلق المنيحة يلقها حميدا ، وان يستغن يوما ، فأجدر

بهذه المعاني يشرق شعر عروة ، وبهذه الانسانية ترسم شخصيته ،
ومن هنا ندرك ان هذا الشاعر لم يكن انسانا عاديا وسط ذلك المجتمع ،
وانما هو شخصية لها قيمتها الاجتماعية ، باعتباره الموجه الحقيقي لهذه
الطائفة من الناس والتي اطلق عليها المؤرخون الصعاليك ، وبانه الروح
المسيرة لهذا التيار في الحياة الجاهلية .

(٢٨) ديوان عروة ص ٢٠

(٢٩) تروحووا : ساروا بالروح ، العشي . ماوان واد فيه ماء

فيما بين النقرة والربرة . رزح : قد سقط من الاعياء

(٣٠) ديوان عروة ص ٢٨

(٣١) المنيح : قدح مستعار سريع الخروج والفوز يستعار فيضرب

ثم يرد الى صاحبه .

ومن حقنا بعد هذا ان نرى عروة من خلال قصائده الانسانية ،
فهو انسان اكثر من فرد واحد واكثر من قبيلة واحدة ، لانه وعى مأساة
الحياة ، وادرك باحساسه العميق قيمتها الزائلة ، واثرها في النفوس ،
فعاش من أجل الذكر الحميد ، والمأثرة الخالدة ، وانطلق في سلوكه هذا
يعمل بكل ما يستطيع ، ويجاهد دونه بكل ما يقع تحت يده ، فخذ
لنفسه ذكرا طيبا ♦

أما بالنسبة للتاريخ الجاهلي ، فاذا لم يكن قد ذكر لنا امثالا
لعروة الا في انقليل النادر ، فليس معنى ذلك ان عروة وامثاله نادرون
في التاريخ الجاهلي ، وليس معنى هذا ان عروة كان يشل طرازا حيويا
شاذا ، بل الاصح ان نقول ان عروة وامثاله كانوا يمثلون تيارا انسانيا
يشق سبيله بقوة وعزم في خضم الحياة الجاهلية، تيارا يستمد كل حياته
من طبيعة الظروف التي يعيشها ، والقيم التي تحيط به ، والتقاليد
الخيرة التي يتصف بها اصحاب هذا السلوك ♦

الخاتمة



وبعد ، فقد انتهى الموضوع على الشكل الذي اردته له ، وعلى أساس الخطة التي وضعت لكتابته ، واصبح يشكل وحدة عامة تجمع اشتاته ، وتلم اطرافه المتباعدة ، وتصنع منه تيارا شعريا ساد الفترة الجاهلية ، وعاش ايامها ، وعاصر حوادثها •

ولا بد لي وأنا انهي البحث ان اشير الى الجوانب التي عالجتها في الموضوع ، لآخرج بنتيجة واضحة المعالم ، بينة الوجوه •

لقد وجدت ان كلمة فروسية في اللغة تدور حول ثلاثة معان : دق العنق والقتل ، والخيال التي يشتق منها اسم الفاعل الذي هو الفارس ، ثم الحدق بامرها وركوبها ، والثبات عليها ، والتعرف على احوالها ، والفراسة وهي التفرس والتثبت في النظر ، والتأمل في الاشياء لادراك بواطنها ، وقد لاحظت ان هذه المعاني الثلاثة متلازمة ومتشابكة ، تنفق في امر واحد ، وتنتهي عند نتيجة واحدة ، هي القتل ودق العنق ، أما استعمالها الادبي فقد وجدت من استعراضي للنصوص التي وردت فيها هذه الكلمة ، انها تمثل جانبين من جوانب الحياة الجاهلية ، جانب الحرب وجانب المثل العليا ، وهي في كلتا الحالتين بناء واحد ، وروح واحدة ، لان شخصية الفارس البطل تلمي عليه ان يكون انسانا ساميا في مثله الى جانب بطولته ، وان الحياة الجاهلية بطولة وحماسة ، يكمل

الجزء منها بقية الاجزاء ، وعندها يجتمع الاسس ليقوم عليه البناء الشامخ الذي احتضن مفاهيم الفروسية بكل معانيها .

ثم وقفت اتأمل البواعث الحقيقية التي ساعدت على ازدهار هذه القيم ، فكانت الطبيعة الصحراوية اول تلك البواعث ، باعتبارها القوة المؤثرة في تكوين الانسان وقوته ، كما انها تعتبر من العوامل التي لها المساس الملحوظ باخلاق الشعوب وعاداتهم ، ولون تفكيرهم وطبائعهم النفسية ، والمناخ بدوره اهم عنصر من عناصر البيئة بحكم اهميته البالغة في التأثير في حياة البشر ، وان طريقة الحياة التي تحياها الشعوب المختلفة انما هي تفاعل بين العوامل الطبيعية وفعاليات الانسان نفسه .

وكانت المرأة باعثة آخر من بواعث الفروسية ، لما اثارته في نفس الرجل من مشاعر ، ولانها كانت ملهمة الشعراء في روائعهم ، وباعثة عواطفهم التي خلدوا فيها ادبا يحمل كل معاني السمو والاباء ، لقد وجد الفارس الجاهلي في محبوبته المثل الاعلى الذي يصوره فكان اسمها يتردد في ساحات القتال ، وعند التحام المعارك . ان معاني الحب السامية التي غرستها المرأة في قلب العربي كانت تتمثل في التضحية الصادقة ، والاستبسال من اجل الحب .

ومن هنا كانت المرأة باعثة قويا من بواعث الفروسية ، ومنطلقا واسعا من منطلقاتها الرحبة ، ومجالا فسيحا يظهر فيه الفرسان بطولاتهم النادرة .

والحرب ، باعث ثالث كان له الاثر في تدريب الفرسان وتقوية سواعدهم ، لان نفس العربي وما فطرت عليه من شجاعة واباء وشمم ، كانت تجعل الحرب قريبة منه ، مألوفة لديه ، بل محبوبة عنده في كثير من الاحيان ، ولانه يعدها مجالا لبطولته ، وامتنانا لمواهبه .

وقد كان لا يام العرب دور كبير في حركة الشعر الحربي ، بما اثارته في نفوس الشعراء ، وما رسمته حوادثها في اذهانهم من فخر

وانتصار ، فكان هذا الديوان الضخم من شعر الحماسة ، وكانت هذه القصائد الرائعة في عالم الحرب والبطولة • والثأر عادة تأصلت في طباع العربي واصبحت جزءا من كيانه ، وكان الاخذ به دليلا على الشجاعة والقوة ، والسكوت عنه دليلا على الخضوع والذلة والاستكانة ، فكان لا بد ان تلعب هذه العادة دورها في الصراع العنيف الذي عاشه العصر الجاهلي ، وطبيعي ان نتحدث عن اساليب الحرب في سياق حديثنا عن الحرب نفسها ، ونتحدث عن الطرق التي كانوا يسلكونها عند اتقاءهم بالعدو ، وعند التحامهم في المعركة، وما يرافق ذلك من استعداد وتهيؤ ، ووضع خطط ، وتأمين محافظة النساء والذرياري والشيوخ والاطفال ، وارسال طلائع للاستكشاف ، وغير ذلك مما تقتضيه طبيعة المعركة ، وتوجيه الظروف المحيطة بها • وكان لزاما علينا ان نختم حديثنا عن الحرب بالدعوات التي كانت تتعالى من افواه العقلاء والمجربين لاستبشاع مناظرها ، واستهجان فظائعها ، موضحين بما وضعوه من قصائد بشاعتها واهوالها وما أسبها •

وكما لعبت الحرب دورها كباعث من بواعث الفروسية ، كان لتمجيد البطولة اثر فيها ، لان البطل في البيئة الجاهلية يمثل الانسان الذي تتجسد فيه آمال الناس ورغباتهم ، وتتمثل في اعماله بطولاتهم ، فيدرك بما اوتي من قابليات واحاسيس مطامح مجتمعه ، فيحاول تحقيقها ، ويسعى الى انجازها ، لتتمكن صورته في نفوسهم ، وطبيعي ان يكون احتفاء الامة بابطالها من ابرز دلائل حيويتها ، وان من حيوية الامم حفول تاريخها باسمائهم •

ثم تحدثت عن عناصر الفروسية المتمثلة في الخيل والسلاح :

أما الخيل ، فهي من اولى معدات الحرب ، واشدها حاجة وقت الشدة ، وعلى مدى قوتها وخبرتها بالحرب تكون درجة القتال ، وعلى ثباتها في المعركة تتوقف النتائج الحاسمة ، وقد أمن الفارس الجاهلي

صداقة فرسه ، واطمأن الى وفائه ، فهو انيسه في المغامرة ، وصاحبه في السرى ، ورفيقه في الحل والترحال ، وقد لمس العربي تلك الصداقة في اشد المحن ، وتدوقها في اخرج الساعات ، فكان الصديق الذي ييثه شكواه ويقاسمه احزانه . وقد ارتسمت كل هذه الصور في دواوين الشعراء ، وبرزت في قصائدهم . فالخيل تخوض الحرب كما يخوضها الفارس ، وتخرج محجلة الايدي دما . ولقد كان اهتمام العرب بتثسنة ابنائهم على الخيل ، وتعويدهم على ضروبها ضرورة تحتنها الظروف القاسية . وكانت للعرب معرفة حسنة بشؤونها واحوالها ، لم يسبقهم اليها سواهم ، وقد تخصص فريق من الشعراء في اوصافها واشتهروا بذكر اعضائها ومميزاتها فاطلق عليهم المؤرخون لقب نعات الخيل . وقد حفلت كتب الادب والتاريخ باسماء الخيل والقابها وانسابها وما اشتهر منها ، كما حفلت بخلقها ودوائرها ، وما يستحب منها ، وما يكره فيها ، وألوانها واحوالها وأشكالها وأوصافها ، وفي هذا ما يدل على أن امة العرب كانت امة حرب وضرب .

أما السلاح ، فكان من الطبيعي ان يتحدث الشعراء الفرسان عنه ، لانه يمثل القوة التي يستندون اليها في حياتهم ، والعنصر الاساس الذي تعتمد عليه بطولاتهم . ولم يكن الحديث الذي يتحدث به الشعراء عنها حديثا عابرا ، وانما هو حديث المناجاة والاعجاب ، حديث الاهتمام بكل جزء من اجزائها ، وبكل ميزة من ميزاتها ، الحديث الذي يصف مضاهها وقوتها وعنصرها وجوهرها ، ويتحدث عن حبه لها وقيمتها بالنسبة لحياته . هذا الحديث الذي كان يخرج من قلبه خالصا دقيقا ، فيصبح اغنية عذبة يمثّلها في مواضع الشدة ، ويتغنى بها في سوح القتال . وكان لزاما أن تنطرق الى أنواع الاسلحة التي استعملها الفارس الجاهلي ، ونستعرض اقواله فيها ، سواء أكانت اسلحة هجوم ، كالسيف والرمح والقوس والسهم ، ام اسلحة دفاع ، كالدرع والترس والمغفر والبيضة . ونخرج من كل هذا الى الاسباب التي دفعت العربي الى الاهتمام

بالسلاح ، لمواجهة الحياة ، ومواجهة الظروف الصعبة التي كانت
تلم به •

ثم تحدثت عن تقاليد الفروسية واصولها وشاراتها وملابسها ،
وطبيعي ان نستعرض بعض تلك التقاليد التي رافقت حياتهم ، سواء
أكان ذلك في السلم أو الحرب • فالفارس كريم جواد وهوب وقت
الازمة ، يمنع جاره ويصون حماه ، ويدافع عن قبيلته ، والفارس يسعى
لكسب الحرب ، ولا يقبل الحياة التي مزجها الهوان ، مهما تكن
المغريات • فهي في حلقه غصص وشجى ، وربما يعلم عن نفسه بعلامة ،
متحديا بذلك خصومه ، وكان الفرسان يتخذون لهم شعارا يتنادون به
في الحرب ، ويعرف بعضهم البعض من هذا الشعار ، كما كان البعض
يتخلى عن السلاح ، لان ذلك يعتبر منتهى الشجاعة وقمة الفروسية ،
الى جانب هذه التقاليد كانت هناك تقاليد اخرى ، واصول غير هذه ،
تمكنا من جمع بعضها من خلال استقصائنا للشعر • أما الملابس ، فقد
كان المقاتلون يلبسون الدروع حماية لهم من الضرب ، وكان بعض
المياسير من كبار القواد يضاعف بين درعين ويلبس احدهما فوق الاخرى ،
وكان لذكر العمائم مواضع في قصائدهم واشعارهم ، لانها كانت تمثل
التيجان التي يرسم فيها العز •

- ٢ -

ثم انتقلت بعد ذلك الى الباب الثاني الذي تحدثت فيه عن اولية
الشعر ، وقد وجدت ان الشعر الجاهلي لم يكن بدائيا - كما تصور
البعض - وانما هو ثمرة ناضجة لمراحل سابقة من تطور الفن الشعري ،
لان الالتماعاات الابداعية الرائعة التي نلمسها في هذا الشعر لا تدل على
الحدائثة ، وانما تدل على مستواه الفني الرفيع •

كما ان النمو الطبيعي للقصيد العربية باوزانها ومضامينها
يستدعي ان تكون هذه القصيدة قد مرت باطوار كثيرة ، تعثرت خلالها
تعثرات صعبة، ووقفت امام عوائق صلبة ، حتى كتب لها هذا الأكتمال .

وطبيعي - وانا اتحدث عن شعر الفروسية - ان اتحدث عن
نظرية الشك والاتحاح التي اثيرت في العصر الحاضر ، والتي بولغ
فيها مبالغة اثار الدهشة والاستغراب ، ولم احاول اثار المناقشات
الطويلة التي دارت حول هذا الموضوع ، ولكنني اكتفيت ببعض
الاشارات ، وعلى قدر ما يتعلق الامر بهذه الدراسة التي تعتمد الشعر
الجاهلي اساسا لبحثها، ومحورا لنتائجها، وقد حاولت في هذه الاشارات
ان اثبت خطأ ما ذهب اليه البعض حول هذه النظرية ، محاولا اثبات
ذلك بما اقتنعت بصحته من الحجج والبراهين ، وقد خلصت من ذلك
الى نتيجة واحدة . هي أن الشعر الجاهلي فيه موضوع وفيه منحول،
ولكن ذلك لا يؤدي بنا الى رفضه ، ولان المؤرخين القدامى قد ادر كوا
هذه الحقيقة فاحاطوه بسياج محكم من التحري والتثبت ، وميزوا بين
ما هو منحول وما هو غير منحول ، وما هو ثابت في صحته وما هو
مشكوك في روايته . ثم تحدثت بايجاز عن مصادر شعر الفروسية ،
واشرت الى بعض تلك المصادر التي حملت اليها الشعر الصحيح ، فكانت
المعلقات والمفضليات والاصمعيات وكتب الحماسة وجمهرة اشعار
العرب والدواوين التي رواها الثقات اولى المصادر التي اعتمدها للبحث ،
لانهما تمثل لنا مجموعة الشعر الصحيح الذي ساد العصر الجاهلي ، فصور
القيم التي عاشت وسط ذلك المجتمع ، كما ان هذا الشعر يمثل مختلف
نواحي الحياة الجاهلية .

ثم بحثت في موضوعات شعر الفروسية ، فكان الفخر والحماسة
اول تلك الموضوعات ، لانه يمثل الوسيلة التي تنشر بها مفاخر القوم ،
وذكريات ايامهم ، وهو باب واسع من ابواب الشعر العربي ، لتعبيره عن
ميلهم الطبيعي الى الانفة والعزة ، وقد وجدت ان حركة الفخر قد

امتزجت بالحماسة في كثير من الاحيان فاصبحت حركة شعرية واحدة ، استنفدت القصائد الكثيرة ومدت الشعراء بوقود جزل من التعني بالبطولات ، فكانت ديوان العرب الكبير ، وغرضهم الواسع الذي جمع مآثرهم ومحامدهم ، ثم تحدثت عن الهجاء لاتصاله بحياة الفرسان ، ولانهم صوروا فيه الخصوم بصور غير مستحسنة ، فجردوهم من صفات البطولة ، وعتوهم بشتى النعوت التي لا تليق بالفرسان ، على أن ذلك لم يمنع البعض من انصاف الخصوم ، و اظهار شجاعتهم ووصف بطولاتهم ، وهذا ما حدا ببعض المؤرخين الى تخصيص قسم من القصائد واطلاق اسم المنصقات عليها • واما ثالث الموضوعات فهو الرثاء ، لان الشعراء تعرضوا في هذا الموضوع الى صفات البطل المرثي ، وعرضوا في مراثيهم ما يتميز به من نخوة وبطولة وكل ما يضفي عليه لقب الفارس •

وتحدثت بعد ذلك عن أثر الحرب في شعر الفروسية ، وما صنعتها التجارب الكثيرة التي خاضها الشعراء الفرسان فيهم من قابليات رائعة ، وبينت أثر ذلك في الهامهم الدقة في الوصف ، والحسن في التصوير ، والصدق في العاطفة ، والاجادة في التركيب الشعري • لان الحرب في انواع كانت تمثل المحور الاساس الذي دارت عليه الحياة الجاهلية •

- ٣ -

وانتقلت الى الباب الثالث وهو شعراء الفروسية ، وكان حديثي عن الجوانب البارزة في حياة ثلاثة من هؤلاء الشعراء هم : عنتره وحاتم وعروة • وعقدت الفصل الاول للحديث عن جانب الحب عند عنتره ، فتحدثت فيه عن عنتره الفارس الذي تمثلت فيه القيم البطولية ، والفروسية الجاهلية ، وانتهيت الى ان عنتره كان يمثل رمزا من رموز

البطولة العربية النادرة ، وملحمة رائعة من ملاحم الشعر العربي ، ثم تحدثت عن عنتره الانسان الذي تمثلت فيه المروءة الجاهلية بكل ما تنطوي عليه من انسانية ، وخلصت الى انه كان عقيفا تسمو به عفته فوق ما عهدناه عند كثير من الشعراء ، فهو سمح المعاشرة ، يوجد بما ملكت يده ، ويعف عند المسألة ، عند توزيع الغنائم ، ويلبي دعوة من يناديه ، ثم انتقلت الى عنتره العاشق الذي يمثل بداية الحب العذري ، والذي تمتزج عنده الفروسية بالحب ، ووجدت ان الحب كان جانبا من جوانب حياته ، بما كان يصوره من مظاهر الفروسية الشريفة . وان المثل الرفيعة التي اتسمت بها حياة هذا الفارس ، قد هيأت الظهور للغزل العذري عند العرب ، واوجدت النواة المشرقة التي مهدت لظهور الشعراء الغزليين .

وقد لاحظت ان المؤرخين لم يخصصوا علة بجانب كبير من اخبارهم ، بل تكاد تكون رواياتهم خلوا منها ، على الرغم من تردد اسمها في شعره بصورة عامة ، وفي معلقته بصورة خاصة ، كما وجدت ان عقدة اللون او مشكلة اللون عنده كانت واضحة ، وكانت هذه العقدة سببا من اسباب مأساته التي عاناها ، فاضفت على شعره لونا حزينا ، واكسبته طابعا عاطفيا رائعا ، لانه سجل فيه آلام نفسه ، ووقف حائلا دون تحقيق ما كانت تصبو اليه هذه النفس .

وعقدت الفصل الثاني للكرم عند حاتم الطائي ، وتحدثت عن حاتم باعتباره عنوانا للكرم ، ثم تحدثت عنه باعتباره فارسا تتمثل فيه عناصر الفروسية الحققة، فللمال في عرف حاتم سبيل ، وللبذل في نظره مبرر ، والعيش قصير ، والحياة فانية ، والبذل والسخاء لن يقدما المنية عن أمدها ، واؤم النفس البخيلة ، لا يديم بقاءها في دنياها ، فاذا كان الجود يفني ، والبخل لا يبقي ، وكان السخاء اقامة المروءة ، واكتساب الاكرومة ، وادخار الشكر ، واقتناء الاجر ، فالعقل يوجب الاخذ به ، والحزم يقتضي الزهد في غيره . ومن هذه الفكرة انطلق حاتم في كرمه ،

فخلد لنفسه الذكر الحميد الذي ظل يتردد حتى عصرنا الحاضر ، وقد حاولت أن أرد على بعض الذين حاولوا تفسير كرم حاتم بالحرص على الشهرة والدعاية ، ارضاء لكبرياء نفسه ، واستقبالا لالفاظ الشكر ، بما وجدته من ادلة كرم هذا الانسان ، وانتهيت الى ان الكرم عنده طبيعة وفطرة ، وجدت في بيئته كل عوامل النمو والازدهار ، فابتعت هذا المثل النادر ، واثمرت هذه الارومة الخيرة .

واما الفصل الثالث ، فقد خصصته للحديث عن عروة والاشتراكية ، وقد بينت في هذا الفصل استئثار عروة دون غيره بصفة لم تنتهياً لاحد ، وقد اطلق المؤرخون عليها تجوزا الاشتراكية .

ولم احاول مناقشة هذه الصفة من الناحية النظرية والعلمية ، لان ذلك يستدعي دراسة مستفيضة لمفهوم الاشتراكية وتطورها وظروف نشأتها ، وقد اكتفيت بعرض بسيط لما تعارف عليه الناس حول هذا المفهوم ، ومدى علاقته بما رسمه عروة لنفسه في سلوكه وشعره ، لاستطيع ان اضع عروة بن الورد الموضوع الملائم له ، والمناسب لظروفه التاريخية . وقد بينت ان الذين كتبوا عن اشتراكية عروة كانوا متأثرين الى حد ما بالنظريات الاشتراكية الحديثة ، ومن خلال تأثرهم هذا نظروا الى اعمال عروة التي لم ينفرد بها وحده ، فوجدوا من ذلك مبررا لهذه التسمية التي تحمل نوعا من وضع المصطلحات في غير مواضعها .

وانتهيت من كل ذلك الى أن التاريخ الجاهلي اذا لم يذكر لنا امثالا لعروة الا في القليل النادر فليس معنى ذلك ان عروة وامثاله نادرون في التاريخ الجاهلي ، وليس معنى هذا ان عروة كان يمثل طرازا حيويا شادا ، بل الاصح ان نقول ان عروة وامثاله كانوا يمثلون تيارا انسانيا يشق سبيله بقوة وعزم في خضم الحياة الجاهلية ، تيارا يستمد كل حياته من طبيعة الظروف التي يعيشها ، والقيم التي تحيط به ،

والتقاليد الخيرة التي يتصف بها اصحاب هذا السلوك •

وبعد فهذا ما تمكنت من تحقيقه في دراستي ، وكما رأيته متمثلا
في جوانب الحياة التي عالجتها • وهي دراسة ارجو ان تكون واضحة
المعالم ، وأدعو الله أن يوفقني لاستكمالها في المستقبل القريب • والله
الموفق لكل عمل خير •

نوري حمودي القيسي

مصادر البحث ومراجعته

- (١) احمد امين :
الصعلكة والفتوة في الاسلام - القاهرة دار المعارف
بمصر - ١٩٥٢ .
- (٢) احمد محمد الحوفي :
(أ) المرأة في الشعر الجاهلي - القاهرة - ١٩٥٤
(ب) الغزل في الشعر الجاهلي - القاهرة - ١٩٥٣
(ج) الحياة الادبية في الشعر الجاهلي - القاهرة - ١٩٤٩
- (٣) الاصفهاني : ابو الفرج . علي بن الحسين بن محمد الاموي
الاجاني - ط . دار الكتب والساسي بحسب ما يذكر في الهامش
- (٤) الاصفهاني : ابو سعيد ، عبدالمالك بن قريب
الاصمعيات - ط . دار المعارف . تحقيق الاستاذين عبدالسلام
هارون واحمد محمد شاكر ١٣٧٥ - ١٩٥٥
- (٥) الاعشى : ميهون بن قيس
ديوانه . شرح محمد محمد حسين - القاهرة المطبعة النموذجية
١٩٥٠ .
- (٦) امرؤ القيس بن حجر الكندي
ديوانه - ط دار الكتب تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ١٩٥٨
ديوانه - ضمن مجموعة الاعلم الشنتمري تحقيق مصطفى
السقا - القاهرة ١٣٤٨ - ١٩٢٩
- (٧) البخترى : الوليد بن عبيد الله بن يحيى .
الحماسة - ضبط وتعليق كمال مصطفى - القاهرة المطبعة
الرحمانية - ١٩٢٩

- (٨) **البخشي : محمد بن محمد البخشي**
رشحات المداد فيما يتعلق بالصفات الجياد .
- (٩) **بشر بن أبي خازم**
ديوانه - تحقيق الدكتور عزت حسن - دمشق ١٣٧٩-١٩٦٠
- (١٠) **بشير يهوت**
شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام . بيروت ١٣٥٤-١٩٣٤
- (١١) **بطرس البستاني**
الشعراء الفرسان . بيروت - دار الكشف ١٩٤٤
- (١٢) **البغدادي : عبدالقادر بن عمر**
خزائن الادب ولب لباب لسان العرب - القاهرة ، المطبعة
السلفية ١٣٤٧ وط بولاق
- (١٣) **بلاشير : الدكتور ريجيس بلاشير**
تاريخ الادب العربي - ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني -
دمشق ، مطبعة الجامعة السورية - ١٩٥٦
- (١٤) **التبريزي : ابو زكريا ، يحيى بن علي**
شرح القوائد العشر - القاهرة ، المطبعة المنيرية ١٣٦٧ هـ
- (١٥) **التنوشي : المحسن بن علي بن محمد بن داود التنوشي**
المستجاد من فعلات الاجواد . تحقيق محمد كرد علي -
دمشق ١٣٦٥ - ١٩٤٦
- (١٦) **الثعالبي : عبدالملك بن محمد بن اسماعيل**
فقه اللغة - باعثناء لويس شيخو - بيروت - ١٩٣٨ م
- (١٧) **الجاحظ : ابو عثمان ، عمرو بن بحر**
(أ) البيان والتبيين - تحقيق حسن السندوبي - القاهرة
مطبعة الاستقامة ١٣٦٦ - ١٩٤٧
(ب) الحيوان - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٣٨
- (١٨) **جرجي زيدان**
(أ) انساب العرب القدماء - القاهرة مطبعة الهلال ١٩٠٦
(ب) تاريخ آداب اللغة العربية - باعثناء الدكتور شوقي
ضيف - القاهرة مطبعة دار الهلال ١٩٥٧

(ج) تاريخ التمدن الاسلامي مراجعة الدكتور حسين مؤنس
مطبعة دار الهلال ١٩٥٧

- (١٩) **الجزائري : محمد الجزائري**
نخبة عقد الاجياد في الصافنات الجياد - بيروت - المطبعة
الاهلية ١٣٢٦
- (٢٠) **جواد علي**
تاريخ العرب قبل الاسلام - مطبوعات المجمع العلمي العراقي
١٩٥٤ - ١٩٦٠
- (٢١) **الجوهري : اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي - الصحاح**
تحقيق احمد عبدالغفور عطار - دار الكتاب العربي ١٩٥٦
- (٢٢) **حاتم الطائي**
ديوانه - لندن ١٨٧٢
ديوانه - بيروت - طبع صادر ١٩٥٣
- (٢٣) **ابن حبيب : أبو جعفر ، محمد بن حبيب**
(أ) المجبر - طبع الهند ١٩٤٢
(ب) من نسب الى امه من الشعراء - تحقيق عبدالسلام
هارون ضمن مجموعة من الرسائل (نوادير المخطوطات)
طبع لجنة التأليف والترجمة ١٣٧٠-١٩٥١
- (٢٤) **حسان بن ثابت**
ديوانه - طبع صادر - ١٣٨١ - ١٩٦١
- (٢٥) **الخالديان : ابو بكر محمد وابو عثمان سعيد**
كتاب الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلية
والمخضرمين - طبع لجنة التأليف والترجمة - ١٩٥٨ تحقيق
الدكتور محمد يوسف
- (٢٦) **ابن رشيق : ابو علي ، الحسن بن رشيق القيرواني**
العمدة في محاسن الشعر وآدابه - تحقيق محمد محي الدين
عبدالحميد - مطبعة حجازي ١٣٥٣-١٩٣٤

- (٢٧) الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي
تاج العروس - طبع المطبعة الخيرية ١٣٠٦
- (٢٨) انزمخشري: محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي انزمخشري
اعجب العجب في شرح لامية العرب - طبع الوراق - ١٣٢٨
- (٢٩) زهير بن ابي سلمى
ديوانه - ضمن مجموعة الاعلم الشنتمري - تحقيق مصطفى
السقا ١٣٤٨-١٩٢٩
- (٣٠) ابو زيد القرشي
محمد بن ابي الخطاب - جمهرة اشعار العرب - بولاق ١٣٠٨
- (٣١) ابن سلام: محمد بن سلام الجمحي
طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود محمد شاكر
طبع دار المعارف - ١٩٥٢
- (٣٢) سلامة بن جندل
ديوانه - تحقيق الاب لويس شيخو - بيروت ١٩١٠
- (٣٣) ابن سيدة: ابو الحسن ، علي بن اسماعيل
المخصص - المطبعة الاميرية - بولاق ١٣١٦
- (٣٤) السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر
المزهر في علوم اللغة وانواعها - بولاق ١٢٨٢
- (٣٥) ابن الشجري: ابو السعادات ، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة
الحماسة - طبع حيدر آباد - الدكن ١٣٤٥
- (٣٦) الشيخ بن ضرار الفظفاني
ديوانه - مطبعة السعادة - ١٣٢٧ القاهرة
- (٣٧) الشنتمري: يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالاعلم الشنتمري
مختار الشعر الجاهلي - تحقيق مصطفى السقا - طبع مصطفى
البابي الحلبي ١٣٤٨-١٩٢٩
- (٣٨) الشنتمري
ديوانه - مطبوع في مجموعة الطرائف الادبية - ١٩٤٧
تحقيق: عبدالعزيز الميني

- (٣٩) شوقي ضيف
تاريخ الادب العربي - العصر الجاهلي
طبع - دار المعارف بمصر - ١٩٦٠
- (٤٠) شيخو : الاب لويس شيخو ايسوعي
(أ) شعراء النصرانية - بيروت ١٩٠٠
(ب) رياض الادب في مراثي شواعر العرب - طبع بيروت
١٨٩٧
- (٤١) صالح احمد العلي
محاضرات في تاريخ العرب - طبع بغداد ١٩٥٩
- (٤٢) طرفة بن العبد
ديوانه - تحقيق وتحليل الدكتور علي الجندي
ديوانه - ضمن مجموعة الاعلم - تحقيق مصطفى السقا
١٣٤٨ - ١٩٢٩
- (٤٣) طه حسين
في الادب الجاهلي - طبع القاهرة - ١٣٥٢ - ١٩٣٣
- (٤٤) ابن عبد ربه : احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي
العقد الفريد - طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة
١٣٦١ - ١٩٤٢
- (٤٥) عبيد بن الابرص
ديوانه - تحقيق وشرح الدكتور حسين نصار ١٣٧٧ - ١٩٥٧
ديوانه - طبع بيروت ١٣٧٧ - ١٩٥٨
- (٤٦) ابو عبيد : عبدالله بن عبدالعزیز البكري
(أ) معجم ما استعجم - تحقيق مصطفى السقا - طبع
لجنة التأليف والترجمة ١٣٦٨ - ١٩٤٩
(ب) سمط اللآلي في شرح آمالي القالي - تحقيق عبدالعزيز
الميمني ١٣٥٤ - ١٩٣٦

- (٤٧) أبو عبيدة : معمر بن المثنى
 (أ) النقااض بين جرير والفرزدق - تصحيح محمد
 اسماعيل الصاوي . طبع مطبعة الصاوي ١٣٥٣-١٩٣٥
 (ب) كتاب الخيل - الهند ١٣٥٨
- (٤٨) عروة بن الورد
 ديوانه - تصحيح الشيخ ابن ابي شنب - طبع الجزائر ١٩٢٦
 ديوانه - طبع بيروت ١٩٥٣
- (٤٩) علي الجندي
 شعر الحرب في العصر الجاهلي - طبع مطبعة الرسالة - ١٩٥٨
- (٥٠) عنتر بن شداد
 ديوانه - تحقيق وشرح عبدالمنعم عبدالرؤف شلبي - طبع القاهرة
 ديوانه - ضمن مجموعة الاعلم الشنتمري - تحقيق مصطفى
 السقا ١٣٤٨ - ١٩٢٩
- (٥١) ابن فارس : ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا
 معجم مقاييس اللغة - تحقيق عبدالسلام هارون - طبع
 مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٦٩
- (٥٢) الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم
 قاموس المحيط - طبع المكتبة التجارية
- (٥٣) الفالقي : ابو علي اسماعيل بن القاسم
 الآمالي - دار الكتب - ١٣٤٤ - ١٩٢٦
- (٥٤) ابن قتيبة : ابو محمد عبدالله بن مسلم
 (أ) الشعر والشعراء المطبعة التجارية ١٣٢٢
 (ب) عيون الاخبار - دار الكتب المصرية ١٩٢٥
 (ج) أدب الكاتب - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد -
 المطبعة الرحمانية ١٣٥٥
- (٥٥) قيس بن الخطيم
 ديوانه - لبيزج ١٩١٤
 ديوانه - تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور احمد

- مطلوب بغداد ١٣٨١ - ١٩٦٢
- (٥٦) ابن الكلبي هشام بن محمد بن السائب
انساب الخيل - تحقيق احمد زكي - طبع دار الكتب المصرية
١٩٤٦
- (٥٧) المبرد: ابو العباس محمد بن يزيد
الكامل في اللغة والادب - تحقيق الدكتور زكي مبارك
١٣٥٥ - ١٩٣٦
- (٥٨) المحاسني: زكي المحاسني
شعر الحرب في ادب العرب - دار المعارف ١٩٦١
- (٥٩) محمد احمد الفمراوي
النقد التحليلي لكتاب في الادب الجاهلي - السلفية ١٩٢٩
- (٦٠) محمد محمد حسين
الهجاء والهجاؤون في العصر الجاهلي ١٩٤٨
- (٦١) محمد الخضر حسين
نقض كتاب في الشعر الجاهلي - السلفية ١٣٤٥
- (٦٢) محمد الخضري
محاضرات في بيان الاخطاء العلمية والتاريخية التي اشتمل
عليها كتاب في الشعر الجاهلي - مجلة القضاء المصرية
- (٦٣) محمد بن زياد الاعرابي
اسماء خيل العرب وفرسانها - تحقيق جرجيس لوي دلاويدا
- (٦٤) محمد عبد الماعيد خان
الاساطير العربية قبل الاسلام - مطبعة لجنة التأليف والنشر
١٩٣٧
- (٦٥) محمد لطفي جمعة
الشهاب الراصد - القاهرة - مطبعة المقتطف والمقطم ١٣٤٤ -
١٩٢٦
- (٦٦) محمد مهدي البصير
بعث الشعر الجاهلي - بغداد - مطبعة التفيض - ١٩٣٩

- (٦٧) محي الدين العطار
بلوغ الارب في مآثر العرب - مطبعة الصفا - لبنان - ١٣١٩
- (٦٨) معهود شكرى الالوسى
بلوغ الارب في أحوال العرب - بغداد ١٣١٤
- (٦٩) المرتضى : الشريف المرتضى - علي بن الحسين
آمالى المرتضى - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار
الكتب العربية ١٣٧٣ - ١٩٥٤
- (٧٠) المرزباني : ابو عبد الله محمد بن عمران
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء - السلفية ١٣٤٣
- (٧١) المرزوقى : ابو علي احمد بن محمد بن الحسن
شرح ديوان الحماسة - نشر احمد امين وعبدالسلام هارون
١٩٥١
- (٧٢) المرزوقى بن ضرار الفطفاني
ديوانه - تحقيق خليل ابراهيم العطية - طبع بغداد ١٩٦٢
- (٧٣) مصطفى صادق الرافعى
تاريخ آداب العرب - ١٣٢٩
- (٧٤) المفضل بن محمد الضبي
المفضليات - تحقيق ليال - اوكسفورد ١٩٢٠
المفضليات - تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون
طبع - مطبعة المعارف ١٣٦١
- (٧٥) ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي بن احمد
لسان العرب - طبع بولاق ١٣٠١
- (٧٦) النابغة الذبياني
ديوانه - دار صادر بيروت ١٣٧٩ - ١٩٦٠
ديوانه - ضمن مجموعة الاعلم الشتيمى
- (٧٧) ناصر الدين الاسد
مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية - طبع دار المعارف
١٩٥٦

- (٧٨) ابن النديم : ابو الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب
كتاب الفهرست - المكتبة التجارية - مصر ١٣٤٨
- (٧٩) النويري : احمد بن عبدالوهاب بن احمد
نهاية الارب - دار الكتب ١٣٤٢ - ١٩٢٤
- (٨٠) ابن هذيل الاندلسي : علي بن عبدالرحمن بن هذيل الاندلسي
حلية الفرسان وشعار الشجعان - تحقيق محمد عبدالغني حسن
طبع - دار المعارف ١٩٥١
- (٨١) هذيل
ديوان الهذليين طبع دار الكتب ١٣٦٧ - ١٩٤٨
- (٨٢) ابن هشام : ابو محمد عبدالملك بن هشام
السيرة النبوية - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - طبع
القاهرة - ١٣٥٦ - ١٩٣٧
- (٨٣) الهمداني : ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب
صفة جزيرة العرب - بريل - ١٨٨٤
- (٨٤) الواقدي
كتاب المغازي
- (٨٥) ولكن
الامومة عند العرب - ترجمة بندلي جوزي - كازان ١٩٠٤
- (٨٦) ياقوت : ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي
معجم الادباء - تصحيح مرجليوث (سلسلة اوقاف جب)
القاهرة ١٩٢٣ - ١٩٢٦
- معجم البلدان - بيروت ، دار صادر ١٣٧٤ - ١٩٥٥
- (٨٧) يوسف بطرس غالي
تقاليد القروسية عند العرب - طبع دار المعارف ١٩٦٠
- (٨٨) يوسف خليف
الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي - طبع دار المعارف ١٩٥٩

1000
1001
1002
1003
1004
1005
1006
1007
1008
1009
1010
1011
1012
1013
1014
1015
1016
1017
1018
1019
1020
1021
1022
1023
1024
1025
1026
1027
1028
1029
1030
1031
1032
1033
1034
1035
1036
1037
1038
1039
1040
1041
1042
1043
1044
1045
1046
1047
1048
1049
1050
1051
1052
1053
1054
1055
1056
1057
1058
1059
1060
1061
1062
1063
1064
1065
1066
1067
1068
1069
1070
1071
1072
1073
1074
1075
1076
1077
1078
1079
1080
1081
1082
1083
1084
1085
1086
1087
1088
1089
1090
1091
1092
1093
1094
1095
1096
1097
1098
1099
1100

فهارس الكتاب

- ١ - فهرس الاعلام
- ٢ - فهرس القبائل
- ٣ - فهرس الاماكن
- ٤ - فهرس الايام
- ٥ - فهرس الخيل
- ٦ - فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين

الاعلام

- (أ)
- ابراهيم بن عبدالله بن حسن : ٢٢٨
 ابجر بن جابر العجلي : ٩٦
 ايزى : ١٧٤
 ابن ابي الفرج البصري (صدرالدين
 علي) : ٢٣٣
 ابن الاثير : ٢٣ ، ٩٨ ، ٢٩٣
 ابن اسحاق : ٨٨
 ابن الاعرابي : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ١٤٧ ، ٢٢٧
 ابن جنى : ٢١ ، ٢٣
 ابن خلدون : ٢٢٥
 ابن خلكان : ٢٢٠
 ابن دارة : ١٢٨
 ابن رشيق : ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٥٠
 ابن السكيت : ١٩ ، ٢١ ، ٢٣
 ابن سلام : ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٧١ ، ٢١٩ ، ٢١٨
 ابن سيار : ١٠٢
 ابن سيده : ٢١
 ابن عبد ربه : ٢٢٥
 ابن فارس : ٢٥
 ابن قتيبة : ٨٦ ، ٢٣٠
 ابن القطاع : ٢٣ ، ٢٤
 ابن الكلبي : ١٢٧ ، ٢٢٥
 ابن كلثوم : ٨٣
 ابن مجدع : ١٦٩
- ابن مفرع : ٣٠٤
 ابن النحاس (احمد بن محمد
 النحوي المصري) : ٢٢٦ ، ٢٢٧
 ابن النديم : ٢٢٠ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠
 ابن هرمة : ٢١٣
 ابنة مالك : ٥٣ ، ٥٤
 ابو براء (عامر بن مالك ، ملاعب
 الاسنة) : ٧٩ ، ١٦٨ ، ٢٢٥
 ابو بكر بن السراج : ٢٠
 ابو تمام : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥٠
 ابو جليل : ٣٠٣ ، ٣١٦
 ابو جعفر المنصور : ٢٢٨
 ابو خراش : ٩٣
 ابو الخنساء (راشد بن شهاب
 اليشكري) : ١٧٢
 ابو الخيبري : ١٢٧ ، ١٢٨
 ابو دؤاد الايادي : ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥١
 ابو زكريا التبريزي : ٢٢٦ ، ٢٢٨
 ابو زيد : ٢٢٢
 ابو زيد القريشي : ٢٣٣
 ابو سفيان : ٧٢ ، ٨٦ ، ٢١٨
 ابو شاس : ٩٠
 ابو طلحة : ١٥١
 ابو الطمحان : ٦١
 ابو عامر (الطفيل بن مالك) : ١٣٩
 ابو علي (احمد بن محمد المرزوقي) :
 ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

ابو عبدة : ٢٠ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١١٩ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٨٦
 ابو عزيز بن عمير : ٨٨
 ابو عمرو بن العلاء : ١٣٣ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥
 ابو عمرو الشيباني : ٢١٩
 ابو الفرج : ٢٢١ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩
 ابو الفضل (احمد بن محمد الميداني) : ٢٢٨
 ابو قيس بن الاسلت : ١١٨ ، ١٩٠ ، ١٩١
 ابو كلبة التيمي : ١٠٢
 ابو الفوار : ٤٥
 ابو مليل : ٨٨
 ابو المهوش : ٢٥٧
 ابو النشاش : ٣١٦
 ابو نواس : ٥٧
 ابو وهب : ٩٢
 ابو هلال العسكري : ٢٥٠
 احمد امين : ٣٠
 احمد محمد شاكر : ٢٢٩ ، ٢٣٠
 احمد مطلوب : ١٥
 احمد ناجي القيسي : ١٥
 الاحمر بن هوازن : ٧٩
 الاحنف بن قيس : ١٩٨
 احيحة بن الجلاح : ١٠٧
 اخت ربيعة بن مكدم : ٢٦٦
 الاخفش (سعيد بن مسعدة) : ٢٢٩
 الاخنس الثقلي : ٤٩ ، ٢٠٠
 اربد العامري : ٣٥
 ازهر بن هلال : ٦١

الاسعر الجعفي : ١٤٩ ، ١٦٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣
 اسماء بن رباح : ١١٥
 الاسود العنسي : ١٣٤
 الاسود (اخو الحوفزان) : ١٠٠
 الاصمعي : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ١٣٦ ، ١٨٦ ، ١٦٣ ، ١٤٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٧٠
 الاعشى (اعشى قيس) : ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٥٢
 الاعلام الهذلي : ٩١ ، ٩٢
 الافوه لودي : ٢٦ ، ١٥٦
 اكثم بن صيفي : ٧٩ ، ٢٠١
 ام الثوير : ٩٠
 ام جندب : ٦٢
 ام حسان (زوج عروة بن الورد) : ٦١ ، ٦٢ ، ١٢٠ ، ٣١٣ ، ٣١٤
 ام حكيم (بنت الحرث بن هشام) : ٧٢
 ام سعد (بنت سعد بن الربيع) : ٦٥
 ام السليك بن السليكة : ٥٨
 ام سهل : ١٤٦
 ام عمارة : ٦٥
 ام مالك : ٦٦
 ام محارب (زوج النابغة الجعدي) : ٥٨

- ام ندبة (زوج حذيفة بن اليمان) :
 ٢٦.
 ام هيثم : ١٢٦ ، ٥٨
 امرؤ القيس : ٦٢ ، ٤٣ ، ٣٢ ، ٦ ، ١٤٠ ، ١١٩ ، ١١٤
 بشامة بن عمرو : ١٨٧
 بشامة بن الغدير : ١٧٢
 بشامة النهشلي : ٢٠٠
 بشر بن ابي خازم : ١٤٣ ، ١٣٨ ، ١٩٥ ، ١٤٤
 بشر بن قيس : ٨٨
 بشير بن عمرو بن مرثد : ٨٣
 بشير يموت : ٥٧
 البغدادى (عبدالقادر) : ٢٧٥
 بكر بن وائل : ٩٧ ، ٧٨ ، ٦٤ ، ٣٣ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨
 بلاشير : ٢٢٥ ، ٢١٦
 بنت مندر : ٦٢
 بهية بنت اوس : ٥٧
- (ت)
 تأبط شرا : ١٣٠ ، ٩٣
 التنوخي : ٢٩٩
- (ث)
 ثعلبة بن عمرو العبدى : ١٧٨
- (ج)
 جابر بن حني التغلبي : ٢٥٤
 الجاحظ : ٢٥٦ ، ٢٢٥
 جرير : ٩٥
 جساس : ١١٧ ، ٧٨ ، ٧٢
 جعفر بن ابي كلاب : ١٤٥
 جلييلة بنت المهمل : ٦٠
 الجميح : ١٨٧
- امرؤ القيس بن عابس : ٢٣٦
 امرؤ القيس بن مالك : ٢٣٦
 اميرا : ٥٨
 امية بن ابي الصلت : ٢٧٠
 الانباري : ٢٢٨
 انس بن فاطمة : ٥٦
 انيف بن جبلة : ١٣٨
 انيف بن حكم النبهاني : ٨٥
 اودين : ١٢٤
 اوزيريس : ١٢٤
 اوس بن حارثة : ٢٩٤ ، ٢٩٣
 اوس بن حجر : ١٨٠ ، ١٧٥ ، ١٦٩ ، ١٩٩ ، ١٩٨ ، ١٨١
 ٢٦١ ، ٢٥٤ ، ٢٤٨
 ٣٠٤ ، ٢٣٦
 الاهثم بن سمي : ٦٤
 اياس بن قبيصة الطائي : ٩٨ ، ٩٩
- (ب)
 باجيهوت : ٥٨
 بجير بن الحارث : ١٨ ، ١٠٦
 بجير بن عبدالله : ٢٤٤
 البحترى : ٢٣٢
 بدر بن مسعر الكنانى : ١٨
 بدر بن معشر : ١٠٣

حرب بن امية : ٧٨
 الحرقة : ٦٦
 الحسن بن رجاء : ٢٣٢
 حسان بن ثابت : ٨٧ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ،
 ٢٥٧
 حسين الخادم : ٢١٩
 حصن بن حذيفة : ٦٧ ، ٢٥٦
 الحصين بن الحمام : ٢٨ ، ٨٨ ،
 ١٣١ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ،
 ١٧٣ ، ١٧٥ ، ٢٤٢
 الحصين بن يزيد الحارثي : ٩٦
 حطمة بن محارب : ١٨٧
 الحطيئة : ١٣٠ ، ٢٧٦
 صفية الشيبانية : ٦٦
 الحكم بن مروان : ٢٥٤
 حماد الراوية : ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢٥
 حمزة بن عبدالمطلب : ١٩٩
 حمل بن بدر الفزاري : ٥٦
 حنبل (اخو عنترة) : ٢٨٨
 حنظلة بن ثعلبة : ٧١ ، ٩٨ ، ١٠١
 الحوفزان (الحارث بن شريك
 الشيباني) : ٩٦

(خ)

خالد بن جعفر : ١٣٨
 خالد بن يزيد البهراني : ٩٨
 الخالديان : ٩٤ ، ٢٣٣ ، ٢٧٠
 خدش بن عمرو : ١١٣
 خديجة بنت خويلد : ٦١
 خراشة بن عمرو العبسي : ١٧٢
 خفاف بن ندية : ١٤٧
 خلف الاحمر : ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٥

(ح)

حاتم الطائي : ١٣ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
 ١٣١ ، ١٧٤ ، ٢٣٦ ،
 ٢٤٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
 ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ،
 ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ،
 ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
 ٣٠٨ ، ٣١٥ ، ٣٢٥ ،
 ٣٢٦ ، ٣٢٧
 حاجب بن زرارة : ١٣٨ ، ٢٥٦
 الحادرة : ٢٤٧
 الحارث بن جبلة : ١٩٥ ، ١٩٧
 الحارث بن حنبرة : ٢٢٦ ، ٢٣٤ ،
 ٢٤٧
 الحارث بن عباد : ٣٣ ، ٧٨ ، ١٠٦ ،
 ١١٦ ، ١٤١ ، ١٥٩ ،
 ٢٠٢ ، ٢١٣
 الحارث بن عوف : ١٠٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،
 ١١١
 الحارث بن وعلة : ١٥٣
 الحارث بن دوس الايادي : ٤٤
 الحارث بن النعمان : ١٤٢
 الحارث بن ورقاء : ٢٥٣
 الحارث بن هشام : ٧٢
 حاطب بن قيس : ٨١ ، ١٠٦
 حبيش بن دلف : ٧٩
 حبية بنت رياح : ٥٦
 حجل بن ملك كنده : ١٦٦
 حجل بن فضلة : ١٧١
 حذيفة بن بدر : ١٣٧ ، ٢٥٦
 حريم بن طارق : ١٥٦
 حزيمة : ١٥٧

ربيعة بن مكرم ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ١٣٣ ،
١٣٨ ، ١٣٤
ردينة : ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
رضوى (امرأة) : ١٧٨
الرسول محمد (ص) : ٦٠ ، ٦٤ ،
٩٧ ، ٩٦ ، ٨٨ ، ٦٥
٩٨ ، ١٠٤ ، ١٥١ ،
١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
٢١٣ ، ٢٢٥ ، ٢٧٦ ،
٣٠٢

ريحانة بنت معد يكراب : ٧٢ ، ٩٠ ،
ريطة بنت جندل الطعان : ٧١

(ز)

الزبرقان بن بدر : ١٣٨
الزبير بن العوام : ١٩٩
الزجاج : ٢٤
زرارة بن عدس : ٢٥٦
الزخشري : ٢٠
زهير بن أبي سلمى : ٣٨ ، ١٠٨ ،
١٠٩ ، ١١١ ، ٢٢٦ ،
٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٣ ،
٢٥٨
زه بن جناب : ٢٣٦ ، ٢٤٩ ،
زيد بن حسان الكوفي : ٩٩
زيد بن عدي بن زيد : ٩٧
زيد الخيل : ٦١ ، ٨١ ، ١٣٩ ،
١٤١ ، ١٥٥ ، ١٦١ ،
٢٤٩

(س)

ساعدة بن مرة : ١١٨
سامي مكي العاني : ١٥

الخليل بن احمد : ٢١٥ ، ٢٢٥ ،
خناير : ٩٨
الخنساء : ٦٠ ، ١٩٥ ، ٢٥٥ ،
٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،
(د)
دارغون : ٥٨
درم بن عقال : ٢٢١
داود : ١٨٨
دختنوس : ٦٥

دريد بن الصمة : ٤٠ ، ٦٠ ، ٦٨ ،
٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ،
١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ،
١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٥٥ ،
١٩٦ ، ٢٤٤ ، ٢٦٢ ،
٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
٢٧٢ ، ٣٠٨

(ذ)

ذؤاب بن اسماء العبسي : ٧٢ ، ٧٣ ،
١١٦ ، ١١٨
ذو الاصبغ العدواني : ١١٩ ، ١٨٥ ،
ذو البردين (عامر بن احيمر) : ١٢٩ ،
ذو الفضة : ٩٦
ذي يزن : ١٧٤

(ر)

راشد بن شهاب الشكري : ١٧١ ،
١٨٠ ، ١٨٧ ،
الربيع بن فاطمة : ٥٦
ربيعة بن جشم : ٢١٣
ربيعة بن مقروم : ٧٧ ، ٨٢ ، ١٥٤ ،
١٩٣ ، ٢٠٠

(ص)

صاحب الصمصامة (عمرو بن معد
يكرّب) : ١٦٩
صخر بن عمرو (اخو الخنساء) :
٢٦٠ ، ٢٥٥
صفية بنت ثعلبة : ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥
الصولي : ٢٣٢

(ض)

الضبي : ٢٣٤ ، ٢٢٥
ضرار : ٧٩
ضمرة بن ضمرة النهشلي : ١٣٨

(ط)

طارق : ٦٦
طه حسين : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩
٢٢٢
الطبري : ٢٢٠
طرفه بن العبد : ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠
١٦٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥
٢٣٩
الطرماح : ١٤٤
طريف العنبري : ١٨٨
طريف بن تميم : ١٩٩
الطفيل بن مالك : ١٣٩
الطفيل الغنوي : ٧٦ ، ١١٧ ، ١٣٧ ،
١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ،
١٥١ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،
٢٣٦ ، ٣٠٨

(ع)

عائشة : ٢١٣
عاتك : ٦١
عاصم بن عمرو : ١٠٧
عامر بن صعصعة : ٩٦

ستارك : ٥٨

سريج : ١٧٢

سعد بن الحشرج : ٢٩٣ ، ٢٩٨

سعيد بن زيد الانصاري : ٦٥

سفانة بنت حاتم : ٢٩٣ ، ٢٩٩ ،

٣٠٣

سفيان بن ربيعة : ١٣٩

سلامة : ١٧٤

سلامة بن جندل : ٨٠ ، ١٧٠ ،

١٩٠ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤٤

سلمة بن هند : ١٣٨

السليك بن السلكة : ٥٦ ، ٥٧ ،

١٣٤ ، ١٣٨ ، ٢٧٦

سليمي : ٦١

سمث : ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠

سمهر : ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٧

السموأل : ١٣١ ، ٢٢١

سُمير : ٧٨

سنان بن حارثة : ١٢٦

سيبويه : ٢١

السيوطي : ٢٣٤

(ش)

شاس : ٩٠

شداد بن معاوية العبسي : ١٣٨

الشماس : ١٦٩ ، ١٨٢

الشنفرى : ١٣٠ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ،

١٨٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ،

٢٣٦

شوقي ضيف : ١٥ ، ٢٢٢

شيبوب : ٥٣

- عامة بن الحارث (فارس تميم) :
 ١٣٤
 عتبة بنت عفيف : ٢٩٣
 عتبة بن الحارث : ٢٧٦
 عدي بن حاتم : ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٩٣ ،
 ٢٩٩
 عدي بن زيد : ٩٧ ، ٢١٤
 عروة بن الزبير : ٢١٢ ، ٢١٣
 عروة بن الورد : ١٤ ، ١٢٠ ، ١٣٠ ،
 ١٣١ ، ١٦٦ ، ٢٤٨
 ٢٣٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦
 ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩
 ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢
 ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦
 ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٥
 ٣٢٧
 عقبة بن ربيعة : ٨٦
 عقيل بن عاقبة : ٢٥٧
 علقمة بن عبده : ٦٢ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ،
 ٢٣٥ ، ٢٣٦
 علقمة بن علاثة : ١٣٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٦
 عمارة بن فاطمة بنت الخرشب : ٥٦
 عمارة بن عيسى : ٨٣
 عمر بن الخطاب (رضي) : ١٣ ، ٦٠ ،
 ٨٦ ، ١٣٢ ، ٢٧٦
 عمر بن عبدالعزيز : ٢١٢ ، ٢١٣
 عمرو بن الاهتم : ٥٨ ، ١٢٦
 عمرو بن ثعلبة الشيباني : ٦٦ ، ٧٥
 عمرو بن كلثوم : ٣٧ ، ٤٠ ، ٦٢ ، ٦٤
 ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٦
 ٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤١
 ٢٤٢ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩
 عمرو بن مالك : ٨٨
 عمرو بن معد يكرب : ٧٢ ، ٩٠ ،
- عامر بن الطفيل : ٢٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
 ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٦ ،
 ١٠٤ ، ١٢٤ ، ١٣٢ ،
 ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ،
 ١٤١ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ،
 ١٦٥ ، ١٨٦ ، ٢٤٧ ،
 ٢٣٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ،
 عامر بن معشر بن اسحم : ٢٧٠
 العباس بن مرداس : ٢٧٠
 عبدالسلام هارون : ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
 عبدالشارق بن عبد العزي : ١٩٤ ،
 ٢٧٠
 عبد قيس بن خفاف : ١٦٦ ، ١٨٨ ،
 ٢٥٧
 عبدالله بن جدعان : ٢٥٦
 عبدالله بن الزبير : ٢١٣
 عبدالله بن الصمة : ٧٢ ، ١١٣ ، ١١٦ ،
 ١١٨ ، ١٥٥ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٤ ، ٢٦٧
 عبدالله بن عتبة بن مسعود : ٢١٢
 عبدالعديخان : ١٢٠
 عبدالملك بن مروان : ١٣١ ، ٣١٥ ،
 عبيد فوث بن وقاص : ٢٠١ ، ٢٤٥ ،
 ٢٥٧
 عبيد بن الابرص : ٣٨ ، ١٧٦ ، ١٩٨ ،
 ٢١٤ ، ٢٢٦
 عبيد الله بن ابي بكر : ٣٠٤
 عبلة : ٥٢ ، ٥٣ ، ٢٨٣ ،
 ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
 ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
 ٣٢٦
 عتبة بن بجير : ٣١٦

(ف)

فاطمة بنت الخرشب : ٥٦
فاطمة بنت الوليد بن المغيرة : ٧٢
الفتح بن خاقان : ٢٣٢
الفرار السلمي : ٩١
فراس بن عبدالله بن سلمة : ٢٤٤
الفرزدق : ٩٥
فضالة بن كلدة : ١٣٨ ، ٢٦١
فضالة بن هند : ١٣٨
فطيمة : ٢٩
فكيهة : ٥٦ ، ٥٧
الفند الزماني : ١٠٥
فيلبي : ٤١

(ق)

قيصة النصراني : ٩١
قدامة بن جعفر : ٢٥٠
قدامة بن موسى : ٢١٨
قراد بن حنش : ١٧٨
قراد بن غوية : ١٢٠
قرفة بن حذيفة : ٦٧
قعضب : ١٦٩
قيس بن الخطيم : ٢٧ ، ٨١ ، ١٠٦
١١٢ ، ١١٥ ، ١٨٧
١٩٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨
٢٥٧
قيس بن زهير : ٦٧ ، ١٣٠ ، ١٣٧
٢٧٦
قيس بن عاصم : ١٢٩ ، ١٣١
قيس عيلان : ١٣٨
قيس بن مسعود : ٩٨ ، ١٧١
قيصر : ٣٢

١٠٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣
١٣٩ ، ١٦٩ ، ١٧٤
١٨٠ ، ١٩٠ ، ٢٧٦
عمرو بن المنذر (ابو هند) : ٢٤٠
عمرو بن هند : ٢٩٣ ، ٢٩٤
عميرة بن جعل : ١٧٥ ، ٢٥٢
عنتر بن شداد : ١٣ ، ٢٧ ، ٤٠
٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥
٨٦ ، ٨٩ ، ١٠٤
١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٤
١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٥
١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٧٥
١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٧
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦
٢١٣ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤
٢٣٥ ، ٢٤٧ ، ٢٧٠
٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦
٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩
٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢
٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥
٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩
٢٩٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦

عنتر بن اسد : ٨٦

عوف بن الاحوص : ١٧٢

عوف بن عطية : ٤٧ ، ٨٤ ، ١٩٢
٢٤٧

عينة بن حصن : ٢٥٦

(غ)

غالب : ٢٨

غني بن اعصر : ١٣٧

غنية بنت الحشرج : ٥٨

غيظ بن مرة : ١١٠

مالك بن زهير العبسي : ١٠٥
 مالك بن قراد : ٢٨٧
 مالك بن نويرة : ١٣٨ ، ١١٣ ، ٩٠ ،
 ٢٦٦ ، ١٤٤
 ماوي : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٩ ،
 ٣٠٤ ، ٣٠٢
 ماوية بنت عبد مناة : ٥٦
 المبرد : ٢٣٢
 متمم بن نويرة : ١٣٨
 المتلمس : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٤٧ ،
 ٢٦٦
 المتوكل : ٢٣٢
 المثقب العبدي : ٢٣٦
 محمد بن اسحاق : ٢١٤
 محمد بن حبيب : ٥٨ ، ٩٥
 محمد بن القاسم الانباري : ٢٢٧
 مخارق : ٢٧١ ، ٢٥٦
 المخبل السعدي : ١٢٦
 مرجليوث : ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٢
 المرقش : ٢٣٠
 المرقش الاكبر : ٥٤ ، ٥٥
 مرة بن زهل : ١١٧
 مرة بن عوف : ٢٧ ، ١١٨
 المزد بن ضرار : ٨٢ ، ١٤٢ ، ١٧٠ ،
 ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٣٦ ،
 ٢٤٣
 مسافع العبسي : ٢٦٥
 المساور بن هند : ١٧٦
 مسكين الدارمي : ٣١٦
 مسهر بن يزيد : ٩٦
 مصعب بن عمير : ٦٥ ، ٨٨
 مصطفى السقا : ٢٣٥
 معاوية بن ابي سفيان : ٣١٥

(ك)

كأس بنت الكلجية : ١٤٣ ، ١٥٦
 كبشة (أخت عمرو بن معد يكرب)
 ١٩٣ ، ١١٣ ، ٧٢
 كرز بن عامر : ٦٧
 كرنكو (المستشرق) : ٢٣٣
 كسرى : ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٧ ،
 ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،
 ١٠٢
 كعب بن مامه : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ ،
 ١٣٧ :
 الكلبية
 كلجة (هيرة بن عبد مناف) : ١٣٨
 الكلجة اليربوعي : ١٤٣ ، ١٥٦
 كليب : ٧٢ ، ٧٨ ، ٨٦ ،
 ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
 ٢٠٢ ، ٢٥٦ ، ٢٦١ ،
 ٢٦٢ ، ٢٧٠

(ل)

ليد بن ربيعة العامري : ٣٣ ، ٣٥ ،
 ٣٧ ، ٢٢٦ ، ٢٦٣ ،
 ٢٦٦
 لقيط : ٦٥ ، ٢٥٦
 ليس : ٦٤
 لويس شيخو (الاب) : ٥٧
 ليال : ٢١٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨

(م)

ماسخ : ١٧٧
 ماسخة : ١٧٧
 ماسيه : ٢١٦
 مالك بن حريم الهمذاني : ١١٢ ،
 ٢٤٥

(و)

الوارد : ٢٢٩ ، ٢٣٥
ودالكبن ثميل : ١٥٥
ويلكن : ٥٨ ، ٥٩

(هـ)

لهامرز النسوي : ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١
هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود :
٧١ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
٩٩
هبة الله العلوي (ابن الشجري) :
٢٣٣
الهديل بن هبيرة الاكبر التغلبي (ابو
حسان) : ٩٧
هرم بن سنان : ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١
هند بنت حذيفة : ٦٧
هند بنت عتبة : ٦٤ ، ٧٢
هند بنت عقبة : ٦٠
هند بنت النعمان : ٦٦
هوذة بن علي الحنفي : ٣٤ ، ٣٧

(ي)

يزيد بن حاتم : ١٩٧
يزيد بن حرثة يشكري : ٩٨
يزيد بن خذاق : ١٣٩ ، ١٥٩ ، ١٨٨
يسار (راعي زهير) : ٢٥٣
يوسف بن سليمان (الاعلام الشنتمري) :
٢٣٥
يوسف بن سليمان (الاعلام الشنتمري) :
١٥
يوسف خليف (الدكتور) : ٨ ، ٥

معاوية بن عمرو (اخو الخنساء) :

٢٥٥
معد بن عدنان : ١١٠
الفضل الضبي : ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ،
٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢
الفضل النكري : ٨١
المنخل يشكري : ١٩٠
المنذر بن ماء السماء : ٤٤
منشم : ١١٠
منصور : ٢٠١
منقذ : ٧٢ ، ٢٧١

المهدي (الخليفة العباسي) : ٢١٩ ،
٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
المهلل (اخو كليب) : ١٨ ، ٨٨ ،
١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨ ،
١٢٤ ، ١٣٩ ، ٢٠٧ ،
٢٦١ ، ٢٦٢
موير : ٢١٦

(ن)

النايفة الجعدي : ٥٨ ، ١٤٧
النايفة الديباني : ٢٦ ، ١٦١ ، ٢٢٦ ،
٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥
ناصر الدين الاسد (الدكتور) : ٢٣٠
نافع بن حجر : ١٦٦
النعمان بن الحارث : ٢٦٣
النعمان بن زرعة التغلبي : ٩٨
النعمان بن المنذر : ٧٩ ، ٩٧ ، ٩٨ ،
١٣٩ ، ١٥٩
نوار (زوج حاتم الطائي) : ٢٩٤
نولدكه (المستشرق) : ٢١٦ ، ٢٢٦
النويري : ٩٥

القبائل

بنو ذهل بن شيبان : ١٠١ ، ٧٤	(أ)
بنو رواحة : ٩٧	آل بدر : ١٩٥
بنو رياح بن يربوع : ١٣٧	آل سعد : ٦٤
بنو سعد : ٩٦	آل فراس : ٧٠
سايم : ١٣٨ ، ١٣٧ ، ٧٠	آل وائل : ٦٤
٢٦٠	اشجع : ١٩٦
بنو الشريد : ١١٦	الاوس : ٢٧١ ، ٢٠٠ ، ١٨
بنو شيبان : ٧٤ ، ٧٩ ، ٩٧ ، ٩٩	أياد : ٩٩ ، ٩٨
١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٥	
١١٧	(ب)
بنو صفية : ٧٧	ابراهيم : ٣٠٣
بنو عامر بن صعصعة : ٦٣ ، ٧٧	بكر : ١١٤ ، ١٠٦ ، ٦٤
٧٨ ، ٧٩ ، ٩٦ ، ١٣٤	١٧٢
١٤ ، ٢٤٩ ، ٢٦٠	بلعنبر : ١٠٥
بنو عبد الدار : ٦٥ ، ٨٦	بنو اسد : ٢٥٣ ، ١١٤
بنو عبدالله بن غطفان : ٢٥٣	بنو امية : ٨٦
بنو عبس : ٧٧ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٧	بنو آكل المرار : ١٨٩
١١٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨	بنو بكر : ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٤ ، ١٩٦
بنو عجيل : ٧٤	بنو تميم : ٩٦ ، ١٣٨ ، ١٤٣
بنو عمرو بن جندب : ١١٤ ، ١٩٩	٣٠٣ ، ١٤٤
٢٦٥	بنو ثعلبة : ١١٨ ، ١٣٤
عواد : ٥٦	بنو جشم : ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ١٧٨
عوار : ٥٧	بنو جعدة : ١٣٧ ، ١٣٨
بنو غنم : ١٠٨	بنو الحارث : ٧٧
فراس : ٧١	بنو الحارث بن كعب : ٧٧
قيس بن ثعلبة : ٨٨	بنو حنيفة : ٧٤

(خ)
 ١٠٤٠٩٦٠٩٠ : خثعم
 ٢٧١٠٢٠٠٠٧٨ : الخزرج
 (د)
 ١١٤ : دودان
 (ذ)
 ١٠٩٠٨٦٠٨٢٠٥٧ : ذبيان
 ٢٥٥٠٢٤٣٠١١٠
 ٢٧٨٠٢٦٠
 ٢٤٣
 ١٠٢ : ذهل بن شيبان
 (ر)
 ٧٧ : الرباب
 ٩٧٠٨٦٠٦٤ : ريبة
 ١٠٨ : رهم
 (ز)
 ٩٠٠٧٢ : زبيد
 (س)
 ١١٢ : سعد
 (ش)
 ١٠٤ : شنوءة
 (ض)
 ٧٩ : الضباب
 (ط)
 ٢٤٩٠١٢٧٠٩٧٠٨٥ : طيء
 ٣٠٣٠٢٩٩

١٠٣٠٧٨٠٧٢٠٦٨ : كنانة
 ١١٦
 ٧٤ : اجيم
 ٧٩ : مازن
 ٧٠ : مالك بن كنانة
 ١١٨٠١٠٩ : مرة
 ١٥٣ : مقاعس
 ٦٤ : منقر
 ١٠٣ : نصر بن معاوية
 ٢١٣ : النمر بن قاسط
 ١٨٠ : وابش
 ١٣٧ : هلال
 ٩٧٠٩٦ : يربوع
 (ت)
 ١٠٦٠٩٨٠٧٨ : تغلب
 ٢٤٩٠١٩٦٠١١٤
 ٣٣٢٠٢٥٤٠٢٥٢
 ٣١٦٠٦٤ : تميم
 ٢٠٠ : تنوخ
 (ث)
 ١٧١ : ثقيف
 (ج)
 ١١٠ : جرهم
 ١١٠٠٩٠٠٧٩٠٣٥ : جعفر
 ٢٤٩
 (ح)
 ٨٥ : حائل (بطن)
 ٢١٨ : حمير
 ١٠٤ : حي اسماء (بنو فزارة)
 ١٣٢٠١١٨
 ١٠٤ : حي مرة

(م)		(ع)	
١١٤ :	مالك	٨٦٦٠٥٧٠٥٣٠٤٠ :	عبس
٦٣٠٧٩٠٨٧٠٠٩٠٠ :	مذحج	١١٠٠١٠٩٠٧٣ :	
٩٦ :		٢٨٩٠١٩٨٠١٩٦ :	
٩٠ :	مراد	١٠٢٠٩٩ :	عجل
٢٥٤ :	مرثد	(غ)	
٧٤ :	مضر	١٩٦٠١٣٧٠١١٨ :	غطفان
١٧٠٠٩٩٠٣٣ :	معدبن عدنان	(ف)	
٢٤١٠٢٤٠٠٢٠٠ :		٢٤٤٠١٩٦ :	فزارة
٧١ :	معشر بكر	(ق)	
٢٧ :	منولة	١٠٣٠٨٦٠٧٢ :	قريش
(ن)		٢١٧٠٢١٦٠١١٠ :	
٨٥ :	نزار	٢٧١٠٢١٨ :	
٢٤٩ :	نفيل	٢٤٠ :	قضاة
١٢٩٠٩٨٠٨٦ :	النمر بن قاسط	(ك)	
١٠٤٠٥٥ :	نهد	١١٤ :	كاهل
(و)		(ل)	
١٤١٠١٠٦٠٥٤ :	وائل	اللهازم (بنو تيم الله بن ثعلبة) : ١٠٢ :	
(هـ)			
٩١ :	هذيل		
١١٢ :	همدان		
٢٦٠٠٩٠٠٤٠ :	هوازن		
٢٩٧ :			

الاماكن

حنو قراقر : ١٠١	(أ)	
حيدر آباد : ٢٣٣		أثينا : ١٢٥
الحيرة : ٢٠٠ ، ٩٨	٢٠٠ ، ٨٦ ، ٧٢ ، ٦٤	احد
(خ)	٢٠١	
الخط : ٣٠١ ، ١٧٤	٧٠ ، ٦٨	الاخرم
الخندق : ٨٦	١٧٣	ارمينية
خيبر : ٢٠١	٢٤٢ ، ١٥٥	اظلم
(د)	٤١	افريقيا
الدبا (سوق) : ٢٤٤	٢٣٥	الاندلس
دلفى : ١٢٥	١٠	اوربا
دمون : ١١٤	٣٠٤	الاهواز
(ذ)	(ب)	
ذات السليم : ٨٣	١٧٤	البحرين
ذو قار : ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨	١٩٩ ، ١٦٥ ، ٨٨	بدر
١٢٥ ، ١٠٢	٢٦٥	ابوى
ذى مجاز : ١٩٩	(ت)	
(ر)	١٢٧	تبعة
الربع الخالي : ٤١	٧٢ ، ٤٢ ، ١٢	تهامة
الردم : ٢٧	(ج)	
رهوة (جبل) : ٣٧	٩٩	الجبابات
(ز)	٢٠٦	الجزيرة العربية
زرود : ١٤٣ ، ١٠٦	٢٥٣	جو (وادي)
زمزم : ٤٤	(ح)	
(س)	٩٢ ، ٩١ ، ٤٢	الحجاز
ساباط : ٩٧	١٩٨	الحديقة (قرية)
الستار : ٢٤٢ ، ١٥٥	٢٥٥ ، ٢٧	حسي

- (م)
- ٢٤٤ : مأرب
- ٣١٧ ، ٣١٤ : ماوان (وادي)
- ١٩١ : مخفق
- ٢١٣ ، ١٧٨ : المدينة (يثرب)
- ٢١٨
- ٢١٣ : متردم
- ١٧٣ : مرج القلعة
- ١٧١ : المشرف
- ٢٤٤ : ملزق
- (ن)
- ٣١٤ ، ٢٤٠ ، ٤٥ ، ٤٢ : نجد
- ١٠٥ : نجران
- ٤٥ : النفود
- (و)
- ٩٧ : واسط
- ١٢٥ : اولمبيا
- (هـ)
- ١٧٥ : هجر
- ١٣٢ : هرشي
- ١٧٠ : الهند
- (ي)
- ١٧٤ : اليمامة
- ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٣ : اليمن
- ٢١٨

- ٣٠٤ : سجستان
- ٤٢ : السراة (جبال)
- ١٥٥ ، ٩٨ : سفوان
- ٢٦٢ : السئلان
- (ش)
- ١٧١ : الشام
- ١٧٤ : شرعب
- (ط)
- ٢٧١ : الطائف
- ٨٢ : طريف
- (ع)
- ٢١٩ : عبادان
- ٢٥٤ ، ١٠٩ ، ٥ : العراق
- ٣٠٤
- ١٩٩ ، ١٠٣ ، ٧٨ : عكاظ
- ٢٧١ : عمان
- (ف)
- ١٧٤ : فائش (وادي)
- ٢٤٤ : الفروق
- (ق)
- ١٥٠٨ : القاهرة
- ١٩١ : القذاف
- (ك)
- ٢٢٧ ، ٢٢٠ ، ٩٧ : الكوفة

الايام

(ص)	يوم الصفقة : ٢٠١	(أ)	يوم ارباب : ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٤
	الصلعاء : ١٩٦		اعشاش : ٩٤
(ظ)	يوم ظهر الدهناء : ٢٩٣	(ب)	يوم البسوس : ٩٤
(ع)	يوم عراعر : ٢٧٩		يوم البعاش : ٩٥
(ف)	يوم الفجار (حرب الفجار) : ٩٤	(ت)	يوم تطلاق اللمم : ١٩٦ ، ٩٤
	١٠٣ ، ١٠٢ ، ٩٥	(ج)	يوم جبلة : ٩٧
	الفروق : ٢٧٨ ، ٨٦		يوم جدود : ٩٧
	فيف الريح : ٦٣ ، ٨٩ ، ٩٠	(ح)	يوم حرس : ٢٤٩
	١٠٤ ، ٩٦		حليمة : ١٩٧ ، ٩٤
(ق)	يوم قضة : ٣٣		الحنو : ١٠٠
(ك)	يوم كلاب : ٩٧ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ٩٧	(د)	داحس والغبراء : ١٠٥ ، ٩٤ ، ٧٨ ، ٢٧٨
	٢٠١		١٠٨ ، ١٠٩ ، ٢٧٥
(م)	يوم مذحج : ٧٧		٢٧٨
	المشقر : ٥٤	(ذ)	يوم ذي قار : ٨٧ ، ٧٥ ، ٧١ ، ٦٦ ، ٩٤ ، ٩٧
(و)	يوم الوادي : ٧٠		
	وقعة حجر : ٦٧	(س)	يوم سفوان : ٧٩
(هـ)	يوم الهباءة : ٢٧٩ ، ٨٦	(ش)	يوم شعب جبلة : ٩٤
	هراميت : ٧٩		

الغيل

(د)	الرقيب	(أ)	الإبجر
١٣٨ :		١٣٩ :	اثال
(س)	سبحة	١٣٨ :	الإدهم
١٥٩ :	سبيل	١٣٩ :	اسبيل
١٣٧ :	السلس	١٣٨ :	اعوج
١٣٩ :		١٣٧ :	
(ش)	الشموس	(ج)	جروة
١٥٩ ، ١٣٩ ، ١٣٨ :	الشيّط	١٤٥ ، ١٣٨ :	جلوى
١٣٨ :		١٣٧ :	الجون
		١٣٨ :	
(ع)	العباب	(ح)	حذفة
١٣٨ :	العراة	١٤٥ ، ١٣٨ :	الحمالة
١٥٦ ، ١٣٩ ، ١٣٨ :		١٣٨ :	الحنفاء
١٥٧ :	الفراب	١٣٧ :	
١٣٧ :	العطاف	(خ)	خصاف
١٣٩ :		١٣٩ :	
(غ)	الفبراء	(د)	داحس
١٠٥ ، ٩٥ ، ٧٨ :		١٠٥ ، ٩٥ ، ٧٨ :	
١٣٧ ، ١٠٩ ، ١٠٨ :		١٣٧ ، ١٠٩ ، ١٠٨ :	
(ف)	فياض	١٣٩ ، ١٣٨ :	دوول
١٣٨ :		١٤١ :	
(ق)	قرزل	(ذ)	ذو العقال
١٣٩ :		١٣٧ :	

١٣٨ : النحام
١٤٥ ، ١٤١ ، ١١٦ : النعام
٢١٣ ، ١٥٩

(و)

١٣٧ : الوجيه
١٣٨ ، ١٢٩ ، ٩١ : الورد
٢١٦ ، ١٤٦ ، ١٤١

(هـ)

١٤١ ، ١٣٩ : الهطال

(ي)

١٣٩ : اليعموم

(ك)

١٤١ : كامل

١٤١ : الكميت

(ل)

١٤١ ، ١٣٧ : لاحق

١٣٨ : اللطيم

(م)

١٣٧ : المذهب

١٣٨ : المزنوق

١٣٨ : معروف

١٣٧ : نكتوم

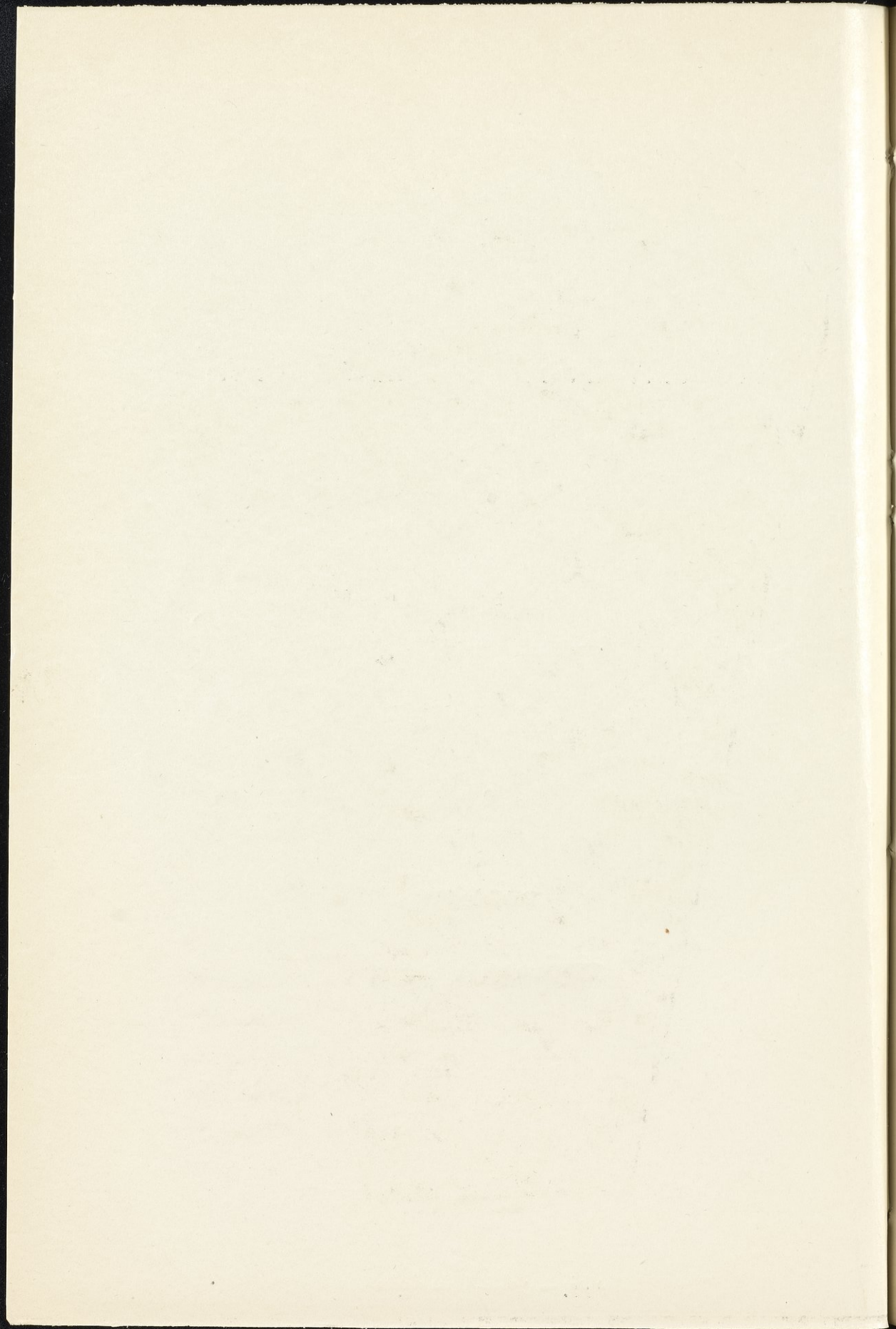
(ن)

١٣٨ : ناصح

فهرس الموضوعات

- تقديم للاستاذ الجليل الدكتور يوسف خليف ٥ - ٨
المقدمة ٩ - ١٥
- الباب الاول : الفروسية** ١٧ - ٢٠٢
- الفصل الاول : التعريف بالفروسية في المعاجم
وكتب اللغة ١٩ - ٤٠
- الفصل الثاني : بواعث الفروسية ٤١ - ١٣٥
- الفصل الثالث : عناصر الفروسية ١٣٦ - ١٩١
- الفصل الرابع : تقاليد الفروسية ١٩٢ - ٢٠٢
- الباب الثاني : شعر الفروسية** ٢٠٣ - ٢٧٢
- الفصل الاول : اولية الشعر الجاهلي وقضية
الاتحال ٢٠٥ - ٢٢٣
- الفصل الثاني : مصادر شعر الفروسية ٢٢٤ - ٢٣٧
- الفصل الثالث : موضوعات شعر الفروسية ٢٣٨ - ٢٧٢
- الباب الثالث : نماذج من الشعراء الفرسان** ٢٧٣ - ٣١٨
- الفصل الاول : الحب عند عنتره ٢٧٥ - ٢٩٠
- الفصل الثاني : الكرم عند حاتم ٢٩١ - ٣٠٤
- الفصل الثالث : عروة والاشتراكية ٣٠٥ - ٣١٨
- الخاتمة ٣١٩ - ٣٢٨
- مصادر البحث ومراجعته ٣٢٩ - ٣٣٦
- فهارس الكتاب ٣٣٩ - ٣٦٠





CHIVALRY IN PRE-ISLAMIC POETRY

by

Nouri Hammoudi AL-Qaisi

Published

by

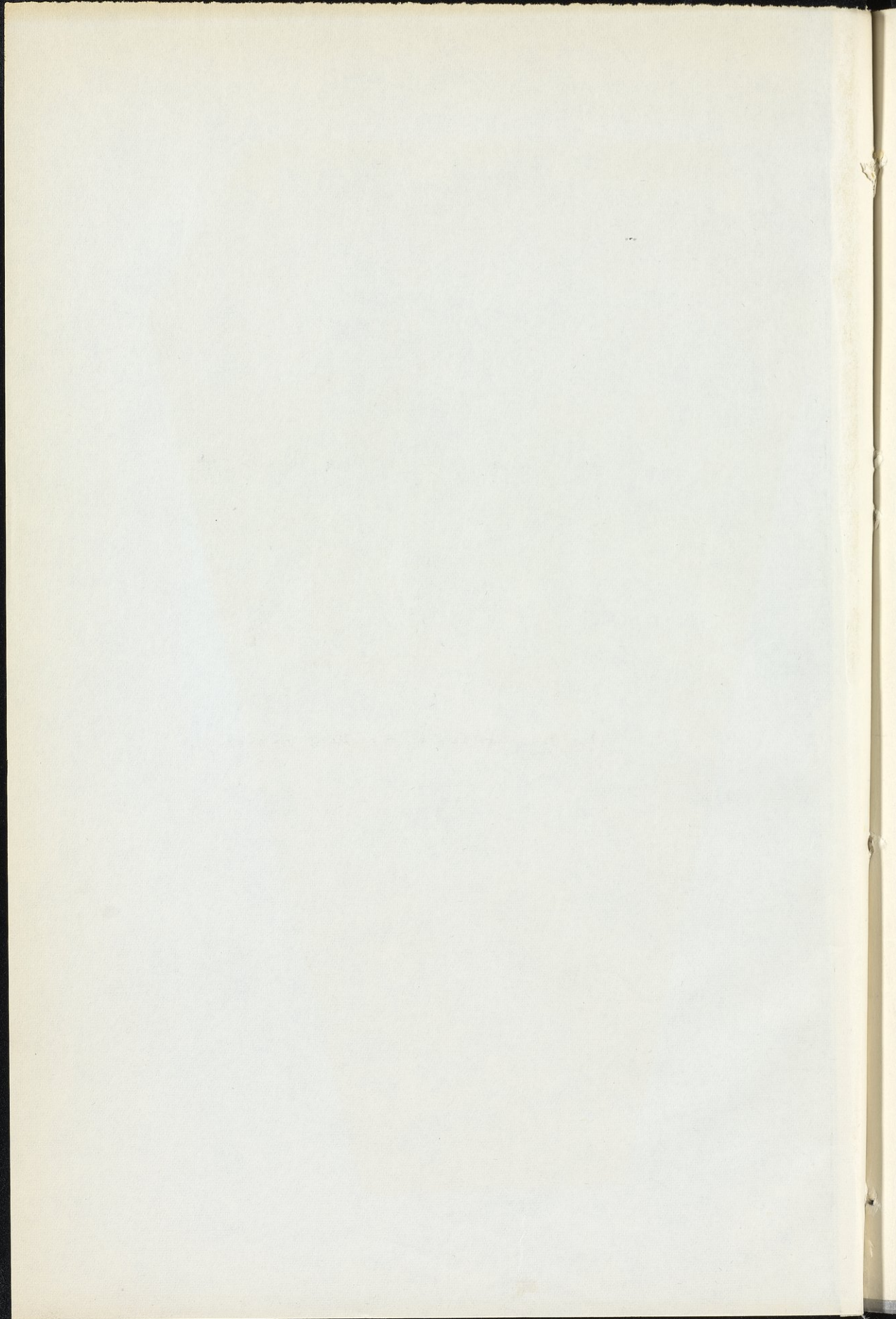
AL - Nahdah Bookshop

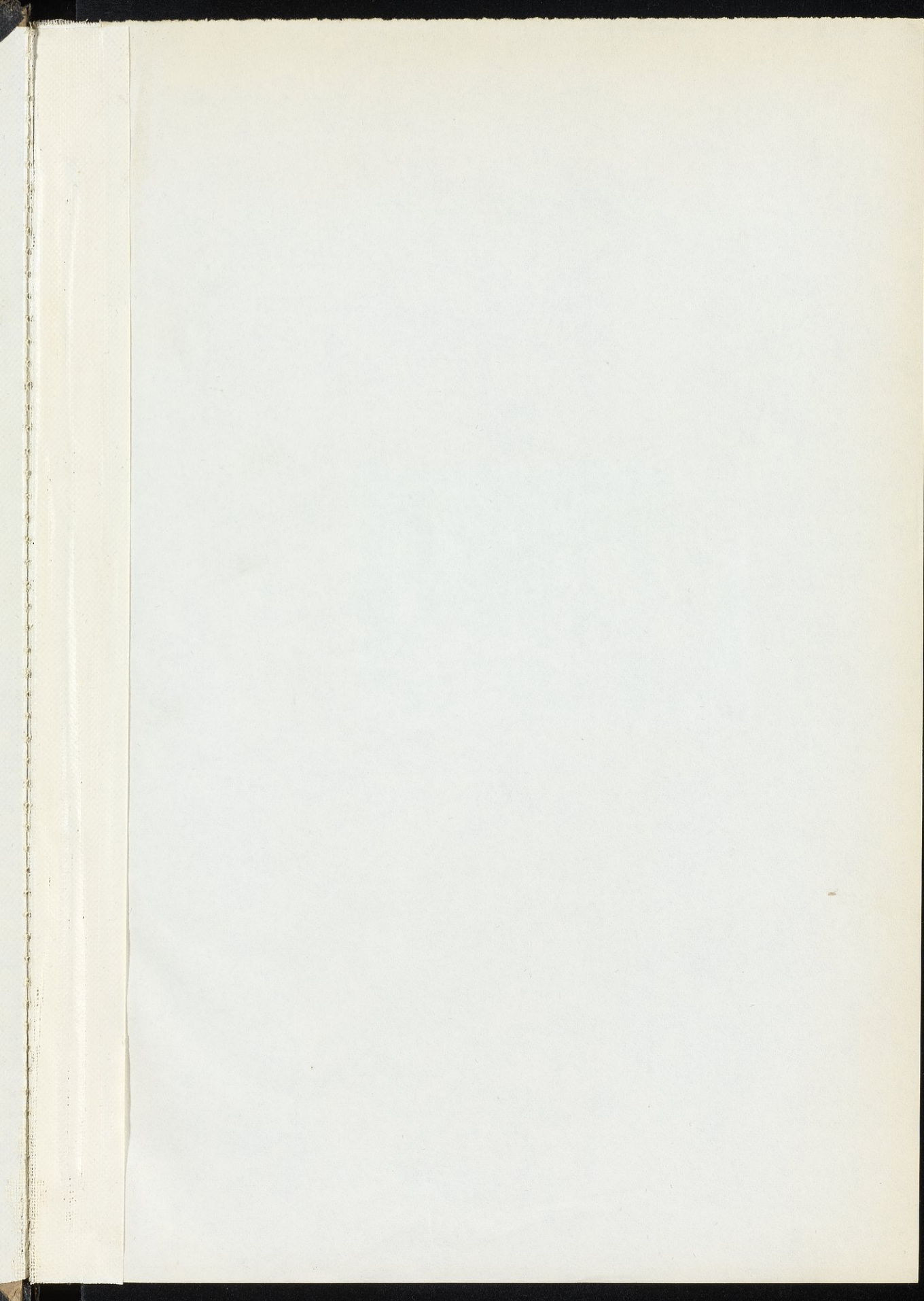
Baghdad - Iraq

1964

٧٥٠ ٦ ١

مطبعة دار التضامن - بغداد





LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

